جَامِعَةُ القُدْسِ المَفْتُوحَة

كُلِّيَّة الدِّرَاسات العُلْيا وَالبَحْثِ العِلْمِيّ

ماجستير اللُّغَة العَرَبِيَّة وَآدابِها/ الأَدَب وَالنَّقْد

"أَثَرُ الخَمْرَةِ فِي الاتِّجاهَاتِ الشِّعْرِيَّةِ عِنْدَ أَبِي نُواس: تَقْلِيدًا وَتَجْدِيدًا وَاسْتِحْدَاثًا"

إِعْداد: حَنين محمد مَحْمُود الدِّيريّه 0330011710022

إِشْراف: أ. د. فَيْصَل غَوَادِرَة.

قُدِّمَتْ هذه الرِّسالة استكمالًا لِمُتَطَلَّبَات الحُصول عَلى دَرَجَةِ الماجستير مِن كُليّة الدِّراسات العُليا/

جَامِعَةُ القُدْسِ المَفْتُوحَة فِي بَرْنامَج اللّغَة العَرَبِيَّة وَآدابِها/ الأَدَب والنَّقد

2020/2019

فِلَسْطِين

أَنا المُوَقِّعَة أَدْناه مُقَدِّمَة الرِّسَالَة المَوْسُومَة بِـ:

"أَثَرُ الخَمْرَةِ فِي الاتِّجاهَاتِ الشِّعْرِيَّةِ عِنْدَ أَبِي نُواس: تَقْلِيداً وَتَجْدِيداً وَاسْتِحْدَاثًا"

أُقِرُّ بِأَنَّ مَضْمُونَ الرِّسَالَةِ جُهْدٌ ذَاتِيٌّ بِاستِثْنَاءِ الاقتِبَاسَاتِ وَالإِشَارَاتِ الوَارِدَةِ فِي الحَوَاشِي.

وَأَنَّ الرِّسَالَةَ لَمْ تُقَدَّمْ مِنْ قَبْل لِلْحُصُولِ عَلَى دَرَجَةٍ عِلْمِيَّةٍ فِي أَيَّةِ جَامِعَةٍ أَوْ مُؤَسَّسَةٍ تَعْلِيمِيَّةٍ.

اسمُ الطَّالِبَة: حنين محمد محمود الدِّيريَّة.

التَّوْقِيع: حنين ديرية.....

التَّارِيخ: السبت/ 2020/10/17م.

نُوقِشَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ/الأُطْرُوحَةُ ("أَثَرُ الغُرْبَةِ فِي الاتِّجَاهَاتِ الشِّعْرِيَّةِ عِنْدَ أَبِي نُوَاس: تَقْلِيدًا وَتَجْدِيدًا وَاسْتِخْدَامًا") وَأُجِيزَتْ بِتَارِيخ: (السبت/ 2020/10/17م).

أَعْضَاء لَجْنَة المُنَاقَشَــة		التَّوْقِيــــع
١- أ. د. فيصل غوادرة.	(مشرفًا ورَئِيسًا)	
٢- د. حسن أبو الرب.	(مُمْتَحِنًا دَاخِلِيًّا)	
٣- د. طه طه.	(مُمْتَحِنًا خَارِجِيًّا)	

جَامِعَةُ القُدْسِ المَفْتُوحَة

كُلِّيَّةُ الدِّرَاسَات العُلْيا وَالبَحْثِ العِلْمِيّ

(نَمُوذَجُ تَفْوِيض)

أَنَا البَاحِثَةُ: حَنين محمد مَحْمُود الدِّيرِيَّة (0330011710022)، أُفَوِّضُ جَامِعَةَ القُدْسِ المَفْتُوحَةَ بِتَزْوِيدِ المَكْتَبَاتِ أَو المُؤَسَّسَاتِ أَو الهَيْئَاتِ أَو الأَشْخَاصِ بِنُسَخٍ مِنْ رِسَالَتِي عِنْدَ طَلَبِهَا، بِمَا يَتَّفِقُ وَتَعْلِيمَاتِ الجَامِعَة.

اسمُ الطَّالِبَة: حَنين محمد مَحْمُود الدِّيرِيَّة

التَّوْقِيع: .....

التَّارِيخ: السبت/ 2020/10/17م.

إِهْدَاء

إِلَى رَمْزِ الحُبِّ وَالتَّفَانِي . .

"أَبِي" رَحِمَهُ اللهُ

إِلَى نَبْعِ الحَنَانِ وَالعَطَاءِ . .

"أُمِّي"

إِلَى خَيْرِ سَنَدٍ أَشُدُّ بِهِ عَضُدِي . .

"إِخْوَتِي"

إِلَى مَنْ تَقَاسَمْتُ مَعَهَا البَسْمَةَ وَالدَّمْعَةَ . .

"أُخْتِي" (الحَيَاة)

إِلَى مَنْ سَاقَهُ القَدَرُ لِيَسْكُنَ حَنَايَا قَلْبِي

فَنَقَشْتُ اسْمَهُ تَرْتِيلَ فَرَحٍ عَلَى أَوْرَاقِ عُمُرِي

فَصِرْتُ بِنَبْعِ حُضُورِهِ خَضْرَاءَ يَانِعَةً . .

"زَوْجِي: أَبُو الحَسَن"

أُهْدِي أُطْرُوحَتِي هَذِهِ، سَائِلَةً اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْ تَكُونَ دِرَاسَةً يَسْتَفِيدُ مِنْهَا الدَّارِسُونَ مِنْ بَعْدِي، وَبَابًا مُيَسِّرًا لِتَنَاوُلِ مَوَاضِيعَ أَعَمَّ وَأَشْمَلَ.

حنين الدِّيرِيَّة

شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ

للهِ الحَمْدُ _أَوَّلًا_ عَلَى فَضْلِهِ وَنِعَمِهِ وَمَكَارِمِهِ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ وَعَظِيمُ الشُّكْرِ، لِإِتْمَامِ أُطْرُوحَتِي "**أَثَرُ الخَمْرَةِ فِي الاتِّجَاهَاتِ الشِّعْرِيَّةِ عِنْدَ أَبِي نُواس: تَقْلِيدًا وَتَجْدِيدًا وَاسْتِحْدَاثًا**" فَمَا أَصَابَنِي مِنْ خَيْرٍ إِلَّا بِفَضْلِهِ وَتَيْسِيرِهِ، أَمَّا بَعْدُ, فَإِنِّي أَتَقَدَّمُ بِجَزِيلِ الشُّكْرِ إِلَى الأُسْتَاذِ الدُّكْتُورِ الفَاضِلِ "**فَيْصَل غَوَادِرَة**" الَّذِي سَهَّلَ عَلَيَّ مَشَقَّةَ البَحْثِ، وَكَانَ خَيْرَ مُشَجِّعٍ وَمُعِينٍ لِي بِنَصَائِحِهِ وَتَوْجِيهَاتِهِ وَمُتَابَعَتِهِ، فَكَانَ نِعْمَ السَّنَدُ وَالمُعِينُ، كُلَّمَا دَبَّ اليَأْسُ فِي نَفْسِي غَرَسَ فِيَّ الأَمَلَ لِأَنْهَضَ مِنْ جَدِيدٍ، وَكُلَّمَا أَظْلَمَتْ الدُّرُوبُ أَمَامِي، أَنَارَهَا لِي بِحِكَمِهِ الزَّاهِرَةِ وَعَقْلِهِ السَّدِيدِ، وَكُلَّمَا احْتَجْتُ لِنَصَائِحِهِ وَفَّرَ لِي مِنْ وَقْتِهِ الثَّمِينِ، فَالكَلِمَاتُ لَا تَفِيهِ حَقَّهُ بِصَبْرِهِ الكَبِيرِ عَلَيَّ وَبِتَوْجِيهَاتِهِ الزَّاخِرَةِ لِي.

دُمْتَ أَهْلًا للعَطاءِ وَجَزاكَ اللهُ الخَيْرَ كُلَّه.

"أَثَرُ الخَمْرَةِ فِي الاتِّجاهَاتِ الشِّعْرِيَّةِ عِنْدَ أَبِي نُواس: تَقْلِيدًا وَتَجْدِيدًا وَاسْتِحْدَاثًا"

إعدادُ الباحِثَة: حنين الدِّيرِيَّة

إشرافُ: أ. د. فَيْصَل غَوَادِرَة

مُلَخَّص

وُسِمَتْ هَذِهِ الأُطْرُوحَةُ بِعُنْوانِ: **"أَثَرُ الخَمْرَةِ فِي الاتِّجاهَاتِ الشِّعْرِيَّةِ عِنْدَ أَبِي نُواس: تَقْلِيدًا وَتَجْدِيدًا وَاسْتِحْدَاثًا"**، وَقَدْ تَكَوَّنَتْ مِنْ مُقَدِّمَةٍ، وَتَمْهِيدٍ، وَأَرْبَعَةِ فُصُولٍ، وَخَاتِمَةٍ وَنَتَائِجَ وَتَوْصِيَاتٍ، إِضَافَةً إِلَى قَائِمَةِ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ وَفَهْرَسِ المُحْتَوَيَاتِ فِي النِّهَايَةِ.

وَقَدْ دَرَسَتْ، فِي الفَصْلِ الأَوَّلِ، تَعْرِيفَ الخَمْرَةِ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا، وَحَيَاةَ الشَّاعِرِ أَبِي نُواسٍ الشَّخْصِيَّةَ وَالشِّعْرِيَّةَ، وَأَبْرَزَتْ الدِّراسَةُ، فِي الفَصْلِ الثَّانِي، الاتِّجَاهَاتِ الشِّعْرِيَّةَ التَّقْلِيدِيَّةَ عِنْدَ أَبِي نُواسٍ وَالتَّجْدِيدَ فِيهَا، مَعَ بَيَانِ أَثَرِ الخَمْرَةِ فِيهَا، فَتَنَاوَلَتْ التَّقْلِيدَ وَمُسَبِّبَاتِهِ عِنْدَ أَبِي نُواسٍ، وَالتَّجْدِيدَ فِي شِعْرِ أَبِي نُواس، وَفُنُونَ أَبِي نُواسٍ الشِّعْرِيَّةَ بَيْنَ التَّقْلِيدِ وَالتَّجْدِيدِ، كَالغَزَلِ وَالمَدْحِ وَالهِجَاءِ وَالرِّثَاءِ وَالوَصْفِ وَالفَخْرِ.

بَيْنَمَا قَدَّمَ الفَصْلُ الثَّالِثُ الاتِّجَاهَاتِ الشِّعْرِيَّةَ الجَدِيدَةَ (المُسْتَحْدَثَةَ) عِنْدَ أَبِي نُواسٍ وَأَثَرَ الخَمْرَةِ فِيهَا، كَالخَمْرِيَّاتِ، وَالزَّنْدَقَةِ، وَالطَّرْدِيَّاتِ، وَالمُجُونِ، وَالشُّعُوبِيَّةِ، وَالزُّهْدِ، وَالسُّخْرِيَّةِ وَالفُكَاهَةِ، وَالعِتَابِ وَالاعْتِذَارِ، أَمَّا الفَصْلُ الرَّابِعُ فَعَرَضَ لِلسِّمَاتِ الفَنِّيَّةِ فِي شِعْرِ أَبِي نُواسٍ عَامَّةً، وَالخَمْرِيّ خَاصَّةً، وَالشِّعْرِ الشُّعُوبِيّ، كَمَا تَنَاوَلَ اللُّغَةَ عِنْدَ أَبِي نُواسٍ، وَالصُّورَةَ الفَنِيَّةَ، وَالتَّنَاصَّ وَالطِّبَاقَ وَالجِنَاسَ.

وَقَدْ سَارَتْ هَذِهِ الدِّراسَةُ وَفْقَ المَنْهَجِ الوَصْفِيِّ التَّحْلِيلِيّ، ثُمَّ أُنْهِيَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ بِالخَاتمَةِ وَالنَّتَائِجِ وَالتَّوْصِيَاتِ، وَبَعْدَهَا قَائِمَةُ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ، ثُمَّ المُحْتَوَيَات.

وَقَدْ كَشَفَتْ هَذِه الدِّرَاسَةُ عَنْ التَّأْثِيرِ الكَبِيرِ لِلْخَمْرَةِ فِي كَثِيرٍ مِن الفُنُونِ الشِّعْرِيَّةِ عِنْدَ أَبِي نُواس، وَلَمْ يَنْجُ مِنْ هَذَا التَّأْثِيرِ إِلَّا فُنُونٌ قَلِيلَةٌ مِنْ شِعْرِ عَمِيدِ الشِّعْرِ الخَمْرِيّ العَرَبِيّ، وَخَاصَةً فِي العَصْرِ العَبَّاسِيّ، وَلَعَلّي فِي هَذِهِ الدِّرَاسَةِ أَكُونُ قَدْ وُفِّقْتُ فِي تَقْدِيمِ شَيْءٍ جَدِيدٍ يَصْلُحُ لِأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ فِي قَابِلِ الأَيَّامِ –إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى–.

الكَلِمَاتُ المِفْتَاحِيَّةُ: أَثَر، الخَمْرَة، الاتّجَاهَات، الشِّعْرِيَّة، أَبِي نُواس، تَقْلِيد، تَجْدِيد، استِحْدَاث.

The effect of the Wine on poetic trends according to Abu Nowwas: tradition, innovation and creation.

Prepared by Researcher**: Haneen Al-Diriyah**

Supervisor Prof**. Faisal Ghawadreh**

Abstract

This thesis described with: **"The effect of the wine in the poetic trends according to Abu Nowwas: tradition and innovation and creation"**, and it consisted of an introduction, preface, four chapters, a conclusion, the results and the recommendations, in addition to the list of sources, references and index content at the end, and this thesis had been studied, in the first chapter, the definition of a wine language idiomatically, and the life of the poet Abu Nowwas personal and poetic, and this study highlighted, in the second chapter, the traditional poetic trends and innovation of it according to Abu Nowwas, together with the impact of the wine where, and it studied tradition and its causes according to Abu Nowwas, and innovation of Abu Nowwas poetry, and Poetic arts of abu nowwas between tradition and innovation, such as flirtation, praise, spelling, lamentation, description and pride, while the third chapter showed the New poetic (created) trends according to Abu Nowwas and the impact of the wine where, such as yeast, and heresy, and parcels, promiscuity, populism, asceticism, cynicism and humor, and admonitions and apologize, while the fourth chapter introduced technical features of public poetry and private wine poetry of Abu Nowwas, and populism poetry, also is studied the language of Abu Nowwas, and the artistic image, the intertextuality, the counterpoint, the alliteration. This study has proceeded according to a specific approach, and then I finished this letter with the conclusion, the results, and the

recommendations, after which the list of sources and references, and the index content.

This study has revealed the significant impact of the wine in many poetic arts from Abu Nawas, only a few arts from poetry of the vinic Arabic poetry Dean was escaped from this effect, especially in the Abbas's era, and in this study, I have been able to show something new fit for It to the next days, on God's willing, the Almighty.

Key words: Effect, Wine, Trends, Poeticism, Abu Nowwas, Tradition, Innovation, Creation.

مُقَدِّمَةٌ

الحَمْدُ للهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى شَفِيعِنَا وَحَبِيبِنَا، نَبِيِّنَا الكَرِيمِ، نَبِيِّ الهُدَى محمد وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين.

أَهَمِيَّةُ البَحْثِ

تُسْهِمُ هَذِهِ الأُطْرُوحَةُ فِي تَفْعِيلِ البَحْثِ العِلْمِيِّ وَالارْتِقَاءِ بِهِ، فِي مَجَالِ الدِّرَاسَةِ الأَدَبِيَّةِ وَالنَّقْدِيَّةِ حَسْبَ مَا وَرَدَ فِي خُطَّةِ البَحْثِ وَفُصُولِهَا وَمَبَاحِثِهَا. وَتُعَدُّ استِجَابَةً لِلذَّوْقِ الأَدَبِيِّ الشِّعْرِيِّ بِاسْتِمْدَادِ مَا قَامَ بِهِ الشُّعَرَاءُ المُبْدِعُون، وَالنُّقَّادُ المَاهِرُون، فِي صَقْلِ التَّجْرِبَةِ الشِّعْرِيَّةِ وَالنَّقْدِيَّةِ وَالإِفَادَةِ مِنْهَا فِي تَطْوِيرِ الحَاضِرِ الأَدَبِيِّ وَالنَّقْدِيِّ؛ حَتَّى يَزْدَادَ قُوَّةً وَصَلَابَةً فِي رَفْدِ القَادِمِ مِن الإِبْدَاعِ وَالنَّقْدِ.

وَلَعَلَّ هذِهِ الرِّسَالَة دَمَجَتْ بَيْنَ الأَسْبَابِ الفِكْرِيَّةِ فِي اخْتِيَارِ هذَا المَوْضُوعِ وَالأَسْبَابِ الاجْتِمَاعِيَّةِ الّتِي أَبَانَتْ أَثَرَ الخَمْرَةِ في المُجْتَمَعِ، وَالأَسْبَابِ الفَنِّيَّةِ الّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا أَبْيَاتُ أَبِي نُواسٍ وَقَصَائِدُه الشِّعْرِيَّةُ.

مُسَوِّغَاتُ البَحْثِ

الكَشْفُ عَنْ مَدَى تَغْطِيَةِ (الخَمْرَةِ) عَلَى سَائِرِ الأَغْرَاضِ الشِعْرِيَّةِ عِنْدَ الشَّاعِرِ.

الدِّرَاسَاتُ السَّابِقَة

لَمْ تَعْثُرْ البَاحِثَةُ عَلَى دِراسَاتٍ سَابِقَةٍ تَحْمِلُ العُنْوَانَ نَفْسَهُ، أَوْ المَوْضُوعَ نَفْسَهُ، وَإِنْ وُجِدَتْ بَعْضُ الدِّرَاسَاتِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنْ الخَمْرَةِ عِنْدَ أَبِي نُواس، من قبيل دراسة "زَهِيَّة سَعْدُو" فِي جَامِعَةِ الجَزَائِرِ لِعَام (1986/1985م)، وَهِيَ رِسَالَةُ مَاجِسْتِير عَامَّةٌ لَا تُرَكِّزُ عَلَى المَوْضُوعِ الَّذِي بِصَدَدِهِ هَذِهِ الأُطْرُوحَةُ.

وَهُنَاكَ رِسَالَةٌ أُخْرَى بِعُنْوَان "الشِّعْر الحِسِّيّ عِنْدَ أَبِي نُواس" لِلْبَاحِثِ "محمد النُّوَيْرِي" عَام (1982/1981م)، وَهِيَ رِسَالَةٌ عَامَّةٌ أَيْضًا. وَيَبْدُو أَنَّ الدِّرَاسَتَيْنِ هَاتَيْنِ لَمْ تَتَنَاوَلَا المَوْضُوعَ –قِيدَ الدِّرَاسَةِ– بِالشُّمُولِيَّةِ وَالفَنِّيَّةِ الَّتِي أُرِيدُهَا، وَالَّتِي ظَهَرَتْ فِي دِرَاسَتِي هَذِهِ.

وَعِنْدَمَا قَرَّرْتُ الكِتَابَةَ فِي هَذَا المَوْضُوعِ وَاجَهَتْنِي بَعْضُ الصُّعُوبَاتِ؛ مِنْهَا:

- عَدَمُ وُجُودِ مَصَادِرَ أَوْ مَرَاجِعَ تَتَنَاوَلُ مَوْضُوعَ دِرَاسَتِي بِالكَيْفِيَّةِ الَّتِي أُرِيدُهَا.
- ظُهُورُ جَائِحَةِ كُورُونَا أَثَّرَتْ عَلَيَّ، مِنْ حَيْث الحُرِّيَّةُ فِي إِحْضَارِ بَقِيَّةِ المَرَاجِعِ، أَوْ الذَّهَابِ إِلَى مَكْتَبَاتٍ أُخْرَى فِي الضِّفَّةِ كَمَكْتَبَةِ جَامِعَةِ النَّجَاحِ الوَطَنِيَّةِ.

أَسْئِلَةُ الدِّرَاسَة

- ما أثر الخمرة في الاتجاهات الشعرية والفنية عند أبي نواس؟
- كيف تعامل أبو نواس في خمرته مع الاتجاهات التقليدية والمستحدثة في شعره؟
- مَا مَدَى تَغْطِيَةِ (الخَمْرَةِ) لِلْأَغْرَاضِ الشِّعْرِيَّةِ الأُخْرَى عِنْدَ الشَّاعِرِ؟

مَنْهَجُ البَحْث

اخْتَارَتْ البَاحِثَةُ المَنْهَجَ التَّحْلِيلِيّ فِي عَرْضِ مُكَوِّنَاتِ الأُطْرُوحَةِ وَفُصُولِهَا وَمَبَاحِثِهَا. وَقَدْ تَوَزَّعَتْ الأُطْرُوحَةُ عَلَى مُقَدِّمَةٍ وَتَمْهِيدٍ وَأَرْبَعَةِ فُصُولٍ وَخَاتِمَةٍ مَعَ نَتَائِجَ وَتَوْصِيَاتٍ، حيث رَصَدَ الفَصْلُ الأَوَّلُ تَعْرِيفَ الخَمْرَةِ، وَأَبَانَ حَيَاةَ أَبِي نُواس الشَّخْصِيَّةَ وَاسْمَهُ وَمَوْلِدَهُ وَكُنْيَتَهُ وَوَفَاتَهُ، وَحَيَاتَهُ الشِّعْرِيَّةَ وَثَقَافَتَهُ وَدِيوَانَهُ.

أَمَّا الفَصْلُ الثَّانِي تَطَرَّقْتُ فيه إِلَى الاتّجَاهَاتِ الشِّعْرِيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ وَالتَّجْدِيدِ فِيهَا وَأَثَرِ الخَمْرَةِ فِي المَدْحِ وَالهِجَاءِ وَالرِّثَاءِ وَالفَخْرِ وَالوَصْفِ وَالغَزَلِ وَالعِتَابِ وَالاعْتِذَارِ.

أَمَّا الفَصْلُ الثَّالِثُ فَتَنَاوَلَ الاتّجَاهَاتِ الشِّعْرِيَّةَ الجَدِيدَةَ المُسْتَحْدَثَةَ وَأَثَرَ الخَمْرَةِ فِيهَا؛ كَالخَمْرِيَّاتِ، وَالمُجُونِ، وَالزَّنْدَقَةِ، وَالشُّعُوبِيَّةِ، وَالزُّهْدِ، وَالطَّرْدِ، وَالسُّخْرِيَّةِ وَالفُكَاهَةِ.

وَقَدْ بَيَّنَ الفَصْلُ الرَّابِعُ السِّمَاتِ الفَنِّيَّةَ لِشِعْرِ الخَمْرَةِ عِنْدَ أَبِي نُواس، كَاللُّغَةِ وَالأَوْزَانِ وَالقَوَافِي، كَذَلِكَ الصُّوَرُ وَالتَّشْبِيهَاتُ، وَمَظَاهِرُ البَدِيعِ عِنْدَهُ بَيْنَ الطَّلَلِ وَالخَمْرَةِ، وَالأَسَالِيبُ الإِنْشَائِيَّةُ الطَّلَبِيَّةُ (الأَمْرُ وَالاسْتِفْهَامُ وَالنِّدَاءُ)، وَالتَّكْرَارُ وَالتَّنَاصُّ.

تمهيد

أولًا: الخمرة في أشعار الجاهليين.

بالرغم من أن شعر الخمرة قديم في شعرنا العربي، إلا أن نقادَنا الأقدمين وشعراءنا لم يفردوا له بابًا، أو يجعلوه فنًا مستقلًا، بل غلب عليهم إلحاقه ببعض الفنون الأخرى[1]، أو ذكره خلال قصائدهم كأبيات معدودة.

لقد أدمن الجاهليون على الخمرة، وإذا كان الشعر الذي نظموه في وصفها، قد ضاع وتشوه أكثره، فإن ثمة شعراء ممن وصلنا شعرهم يرسمون لنا صورة لما شاع في الجاهلية من تهتك ومجون، كما أن ترددها في بعض القصائد والاستهلال بها في بعض المعلقات؛ يدلنا على أنها شاعت فيهم وأصبحت كالطلل، تقيلدًا من تقاليد الشعر.

لقد استهل عمرو بن كلثوم معلقته بذكر الخمرة ومصدرها، ووصف ألقها ومدى تأثيرها في النفس والطّباع؛ حتّى إنها تدفع بالمقتر البخيل إلى الاستهانة بأمر المال والإسراف فيه. فلو لم تشع الخمرة في حياة الجاهليين لما قدر لها أن تكرس لمطالع قصائدهم[2]. ومن ذلك مثلًا ما قاله عمرو بن كلثوم:

أَلا هُبّـــــي بِصَـــــحْنِكِ فَأصْبَحينـــــا وَلَا تُبْقـــــي خُمـــــورَ الأَنْـــــدَرِينا

مُشَعْشَـــــعَةً كَـــــأَنَّ الحُـــــصَّ فيهـــــا إذا مـــــا المـــــاءُ خالَطَهـــــا سَـــــخينا[3]

---

[1] خريس، حسيني: **حركة الشعر العباسي في مجال التجديد بين أبي نواس ومعاصريه**. ط:1، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1994م، ص:33.

[2] ينظر: الحاوي، إيليا: **فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب**. (د.ط)، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص:11.

[3] التبريزي، يحيى بن علي بن محمد الشيباني: **شرح المعلقات العشر المذهبات**. (د.ط)، دار الأرقم، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص226.

وقد كان التجار من نصارى ويهود يرحلون بخمورهم إلى البوادي العربية؛ فطبيعة الاحتكاك باليهود والنصارى، وتوفر الخمرة، من العوامل التي ساعدت على انتشارها بين العرب، وشربهم لها، ووصف شعرائهم لها.

فالجاهليون يزخرفون شعرهم الخمري ويلقونه بشتى التصاوير والتشابيه الطريفة، فهذا "علقمة الفحل" يشبه كأس الخمرة بالظبي في طول عنقه، وبأنه موشًّى، بالخطوط وهو مصنوع من الفضة مكسو بالريحان، فيقول:

كَـــأَنَّ إِبْـــرِيقَهُمْ ظَبْـــيٌ علـــى شَـــرَفٍ مقـــــدمٌ بِسَـــــبَأِ الكتـــــان مَلْثـــــومُ

أبـــــيضُ أبـــــرزهُ للضـــــحِّ راقَبَـــــهُ مُقلـــدُ قُضُـــبَ الريحـــانِ، مفغـــومُ[1]

ولكننا لا نجد في أشعار الجاهليين قصائد تستوفي أوصاف الخمرة، بل كانوا يتناولونها عرضاً في بيت أو أبيات من قصائد عامة.

ومن التمثيل على ذلك وصف "عمرو بن كلثوم" للخمرة؛ إذ جاء وصفه يخطف خاطفًا، نكاد لا نحدق أو نتفرس فيه، حتّى ينطفئ ويُمْحَى، ويتجاوزه الشاعر إلى الغزل أو الفخر وما إلى ذلك، كما أشرت إلى ذلك قبل قليل.

ولم يقتصر الأمر على "عمرو بن كلثوم" بل إن "الأعشى" على الرغم من إدمانه إياها وشهرته بها، إلا إنه لم يكن يتصدى لها بقصيدة مستقلة، بل كان يتناولها في قصائد يهدف فيها إلى أغراض شتى، من مدح وهجاء وغيرها، ولاعجب في ذلك؛ لأن طبيعة القصيدة الجاهلية كانت تخالف طبيعة القصيدة المعاصرة؛ إذ كانت على سنّة متناقلة، يعرض الشاعر فيها بعض الأغراض التي كانت تتأثر بها حياته، فهو ينتقل في شعره كما ينتقل في حياته، كما في قول الأعشى:

---

[1] الحاوي، إيليا: **فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب**. ص:34.

ولـــــقدْ شـــــربتُ الخمـــــرَ تَـــــرْ كُـــــضُ حَـــــوْلَنا ثُـــــرْكٌ وكابُـــــلْ

كـــــــدمِ الـــــــذبيحِ غريبـــــــةً ممـــــا يُعتِّـــــقُ أهـــــلُ بابِـــــلْ[1]

وبذلك تكون الخمرة مطروحةً في الشعر الجاهلي، فقد ذكرت لها أوصاف، وتغنى الشعراء بها، إلا إنها لم تنل الحظ الوافر من الاهتمام، كما هو الحال في عصور لاحقة[2].

ثانيًا: الخمرة في شعر صدر الإسلام.

حرم الإسلام الخمرة، ولكن بعض الشعراء ربما لم يحسنوا الالتزام بالامتناع عنها، كما حدث للشاعر الإسلامي "أبي محجن الثقفيّ"، الذي لم نلمح في شعره نزعة وصفية طاغية، أو انصرافًا خاصًا إلى ذكر لونها وشعاعها وكأسها، وإلى غير ذلك مما يذهب إليه شعراؤها.

ومن ذلك قوله:

ألا سَـــقِّنِي يـــا صـــاحِ، خمـــرًا فـــإنني بمـــا أنـــزلَ الرحمـــنُ فـــي الخمـــرِ عـــالِمُ

وجُـــدْ لـــي بهـــا صِـــرفًا لأزدادَ مـــأثمًا ففـــي شُـــرْبها صِـــرفًا تـــتمُّ المـــآثِمُ

هـــي النـــارُ، إلا أننـــي نلـــتُ لَـــذةً وقضَّـــيتُ أوطـــارِي، وإنْ لامَ لائِـــمُ[3]

وقد التزمت الأغلبية الساحقة بتعاليم الإسلام في عصر صدر الإسلام، ولم ينل شعر الخمرة الحظ الوافر الذي ناله في عصور لاحقة؛ وذلك لانتشار الإسلام الذي جاء يؤكد على حُرْمته، وانشغال المسلمين بالفتوحات ونشر الإسلام، ومعالم الدين الجديد وأفكاره ومبادئه؛ أما الخمرة فإنها بحاجة

---

[1] الأعشى، ميمون بن قيس: **شرح ديوانه**. تح: د. حنا نصر الحقّي. (د.ط)، دار الكتاب العربي، بيروت، 2010م، ص: 247.

[2] ينظر: الحاوي، إيليا: **فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب**. ص:(14،15).

[3] هدارة، محمد مصطفى: **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري**. ط:2، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص:475.

للاستقرار، وتوفر حياة البذخ والترف والمجالس التي تساعد على انتشاره، وهذه العوامل كان لها الحظ الوافر في العصر الأموي الذي بدأت الخمرة وشعرها بالتطور والازدهار فيه.

ثالثًا: الخمرة في الشعر الأموي.

بعد انتشار الدعوة الإسلامية، وتعدد الفتوحات الإسلامية، أخذت الأموال تتدفق على المسلمين؛ ما جعلهم يقضون حياة ناعمة مُترفة، يسرف البعض في اللهو والمجون، ويقبل الآخر على الشرب والغناء، بالرغم من النواهي الدينية، وبذلك اختلفت معالم حياة الأمويين عن حياة الجاهليين؛ إذ كثر العمران، وفاضت الأموال، وأسرفوا في اقتناء الخدم والجواري؛ فولدت البيئة الجديدة أدبًا جديدًا؛ على الرغم من حرمة الخمرة، إلا إنّ بعض المسلمين لم ينصرفوا عنها أو عن مجالسها، ولطالما سمعنا عن الشاعر الأخطل، الذي يعد رائد الخمرة في الشعر الأموي، لكثرة إدمانه عليها في حياته، ولكثرة ذكرها في شعره، إلا إنه لم يخصص لها قصائد مستقلة يستطرد فيها غالبًا، أو يشرح عذابه وضياعه في تهافته عليها، وفي ذلك يقول:

كأنـــي غـــداةَ انصـــعْنَ للبَـــيْنِ مُســـلمٌ بضربـــــةِ عنـــقٍ، أو غـــويّ معـــذلُ

صـــريعُ مُـــدام، يرفـــعُ الشـــربُ رأسَـــهُ ليحيـــا، وقـــد مـــاتَتْ عظـــامٌ ومِفْصَـــلُ

نُهاديـــــهِ مُـــــدام، وحينًـــــا نجـــــرهُ ومـــــا كـــــادَ، إلا بالحَشـــــاشَةِ، يعقـــلُ

فقلـــتُ: أصبحـــوني، لا أبَـــا لِأَبـــيكمْ ومـــا وضَـــعوا الأثقـــالَ إلا ليفعلـــوا[1]

وبذلك تكون الخمرة في العصر الأموي في صورتها امتدادًا للخمرة في العصر الجاهلي، إذ يتعرض إليها الشعراء في قصائدهم التي تتناول أغراض المدح أو الغزل والهجاء وغيرها. ولم تخصص

[1] الحاوي، إيليا: **فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب**. ص:97-98.

قصائد مستقلة للخمرة، إلا في قليل منها. وإننا نجد أحد الخلفاء الأمويين وهو "الوليد بن يزيد بن عبد الملك" يتغنى بالخمرة فيقول:

طــابَ يــومي ولــذَّ شُــرْبُ السُّــلافه إذ أتــانـي نَعِــيُّ مَــنْ بالرُّصــافه

وأتــانا البريــدُ يَنْعَــى هشــامًا وأتانــا بخــاتَمٍ للخلافــه

فاصْــطَبَحْنا مــن خمــرِ عانــةَ صِــرْفاً ولَهوْنــا بِقَيْنــةٍ عَزَّافــه[1]

رابعًا: الخمرة في الشعر العباسي.

لقد تطورت أشعار الخمرة في العصر العباسي عما كانت عليه سابقًا، بسبب حياة البذخ والترف الناجم عن الاستقرار السياسي والاقتصادي، إضافة إلى وجود الشعوبيين الحاقدين على العرب والإسلام، كل ذلك أدى إلى وجود جيل من الشعراء اللاهين المُجَّان، كـ"أبي نواس" و"والبة بن الحباب" و"حماد عجرد" وغيرهم، إضافة إلى الاستقرار السياسي الذي نعموا به في عهد الدولة العباسية، كذلك الشعوبية التي تولدت في العصر الأموي وقويت في العصر العباسي.

ويعد "أبو الهندي" من شعراء فن الخمرية وهو المتميز بين الشعراء؛ إذ إنه خصص كل شعره للخمرة، ولم يهبه لغيرها من الأغراض، وهو تخصص لم يقنع فيه بتصويرها في مقطوعات قصيرة مستقلة، بل مده ووسعه حتّى أخذ شكل قصيدة مطولة، ولم يقف فيه عند الانتفاع بتراث الماضين والاقتصار على معانيهم وصورهم، بل فرع فيها تفريعات لاتحصى، وأضاف إليها إضافات شتى، يتداخل فيها الذوق العربي بالذوق الأجنبي والخيال البدوي بالخيال الحضري، تداخلًا غريبًا.

[1] ضيف، شوقي: **التطور والتجديد في الشعر الأموي**. ط:6، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص:293-294.

وكان القدماء يعرفون له هذا التقدم والسبق ويشيرون إليه ويبالغون فيه، ولعله يعد أول شعراء الخمريات في الأدب العربي؛ لأنه قصر شعره على وصف الخمرة دون غيرها من فنون الشعر[1]. ومن ذلك قوله[2]:

أديـــرا علـــيّ الكـــأس إنـــي فقـــدتها كمـــا فقـــد المفطـــومُ درَّ المراضـــعِ

وهناك شعراء آخرون في هذا العصر يصفون الخمرة باحترافية عالية؛ منهم الشاعر "علي بن الخليل"، و"إبراهيم الموصلي" و"أبو شيص" وغيرهم. إلى أن نصل إلى أستاذ فن الخمرية الشاعر العباسي "أبي نواس" الذي له باع طويل فيها لم يطاوله أحد، وهذا ما سنتعرف عليه في العرض القادم من هذه الرسالة.

[1] ينظر: هدارة، محمد: **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري**. ص:483.

[2] **المرجع السابق نفسه**. ص:483.

الفَصْلُ الأَوَّل: حياة الشاعر أبي نواس.

المَبْحَثُ الأَوَّل: تعريف الخَمْرَة لُغَةً وَاصطِلاحًا.

المطلب الأول: الخمرة لغة.

المطلب الثاني: الخمرة اصطلاحًا.

المَبْحَثُ الثَّانِي: حَيَاةُ الشَّاعِرِ أَبِي نُواس الشَّخْصِيَّة والشعرية.

المطلب الأَوّل: حياة الشاعر أبي نواس الشخصية.

الفرع الأول: اسمُهُ وَمَوْلِدُه.

الفرع الثَّانِي: كُنْيَتُهُ وَلَقَبُه.

الفرع الثَّالِث: وَفَاتُه.

المَطلب الثَّاني: حَيَاةُ الشَّاعِرِ أَبِي نُواس الشِّعْرِيَّة.

الفرع الأَوّل: ثَقَافَتُهُ الشِّعرِيَّة.

الفرع الثَّانِي: دِيوَانُه.

الفرع الثَّالِث: مَلَامِحٌ مِنْ حَيَاةِ أَبِي نُواس الشِّعْرِيّة.

المَبْحَثُ الأَوَّل: تَعْرِيفُ الخَمْرَةِ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا.

المطلب الأول: تعريف الخَمْرة لغةً.

لقد اختلف في دلالة الخمرة، فمنهم من قال: الخمر ما أسكر من عصير العنب لأنها خامرت العقل[1]. وقيل الخمر اسم لكل مسكر من العنب وغيره، وقد حرمت وما بالمدينة عنب، وما كان شرابهم إلّا ... والتمر[2]. الخمر في اللغة الستر والتغطية، ومنه خمار المرأة أي غطاء رأسها، ويقال خامر الشيء أي قاربه وخالطه، وسميت خمرًا؛ لأنها تغطي العقل وتستره، ويجوز فيها التذكير والتأنيث وهو الأشهر[3].

الخُمْرَة، (بِالضَّمّ): ما خُمِّرَ فيه، كالخَمِيرِ، والخَمِيرَةِ، وعَكَرُ النَّبيذِ، وحَصيرَةٌ صغيرَةٌ من السَّعَفِ، وأشياءُ من الطِّيبِ تَطَّلِي بها المرأةُ لتُحَسِّنَ وجْهَها، وما خامَرَكَ، أي: خالَطَكَ من الريحِ، كالخَمَرَةِ، والرائحةُ الطَّيِّبَةُ، وأَلَمُ الخَمْرِ وصُداعُها وأذاها، كالخُمَارِ، وهي كل ما خامر العقل أي غطاه من أي مادة كان[4].

والخمرة حَصِيرَةٌ أَوْ سِجَّادَةٌ مِنْ سُعُفِ النَّخْلِ، وَهِي أَصْغَرُ مِنَ المُصَلَّى، وقِيلَ الحَصِيرُ الصَّغِيرُ الّذِي يُسْجَدُ عَلَيْه، وسُمِيَتْ خمرة لِأَنَّ خُيُوطَها مَسْتُورَةٌ بِسُعُفِها[5]. وهِي حَصِيرَةٌ صَغِيرَةٌ تُنْسَجُ مِنْ سُعُفِ النَّخْلِ وتُرَمَّلُ بِالخُيُوطِ.

وهي كل ما أسكر من عصير العنب وغيره؛ لأنها تغطي العقل، وهي مؤنثة وقد تُذَكَّر، وفي المثل السائد "خمر أبي الروقاء ليست تسكر" يضرب للغني الذي لا فضل له على أحد ولا إحسان،

---

[1] ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**. ط:5، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1998م، مادة: **خمر**.

[2] الفيروزأبادي، محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط**. ط:1، مكتب التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1995م، مادة: **خمر**.

[3] مصطفى، إبراهيم (وزملاؤه): **المعجم الوسيط**. ط:2، المكتبة الإسلامية، تركيا، (د.ت)، مادة: **خمر**.

[4] الفيروزأبادي، محمد: **القاموس المحيط**. مادة: **خمر**.

[5] ابن منظور، محمد: **لسان العرب**. مادة: **خمر**.

وخمر العنب، والخمر كل مسكر من الشراب، جمع خمور، ونقول اختمر العصير: صار خمرًا، ورجل خمر: أصابه خمار من السكر. والخمار: هو بائع الخمر، والخمارة: محل بيع الخمر، والخَمْرة: الخَمْر[1].

المطلب الثاني: الخمرة اصطلاحًا.

لقد شاع ذكر الخمرة وتعريفها في كتب الأدب والشعر والفقه، وغيرها، ومن ذلك: "هي فن وصفي من الفنون الشعرية المتطورة، عرفها العرب منذ القدم، وبدت بسيطة عند الجاهليين تحاكي بساطة حياتهم، ولكنها كانت جزءًا من حياة العرب، يقبلون على شربها على اختلاف طبقاتهم دون تحرج، ويصفونها في شعرهم باعتبارها مظهرًا من مظاهر الفتوة والكرم وسماحة النفس"[2].

والخمرة تعني ما أسكر من عصير العنب والحبوب وغيرها، وقد اشترط في صفة الخمرة، أن يوضع عصير العنب في الجرار المزفتة، وبعد أن يصفى مدة من الزمن في الشمس، ثم ينقل إلى الظل، ويمر شاربها بثلاث مراحل: نشوان، ثم ثمل، ثم سكران[3].

وتفنن العرب في وصفها، وفي تعداد أسمائها، فقالوا: الراح، والعقار، والمدام، والقهوة، والسُلاف، والكميت، والخندريس والشمول[4]. وقد عرف العرب الخمرة في جاهليتهم وإسلامهم، كغيرهم من شعوب الأرض، ووصفوها في أشعارهم[5].

المبحث الثاني: حياة الشاعر أبي نواس الشخصية.

المطلب الأول: اسمه ومولده.

---

[1] مصطفى، إبراهيم (وزملاؤه): **المعجم الوسيط**. مادة: **خَمِرَ**.

[2] هدارة، محمد: **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري**. ص:473.

[3] المقري، علي: **الخمر والنبيذ في الإسلام**. (د.ط)، رياض الريّس للكتب والنشر، بيروت، 2007م، ص:5.

[4] حرياتي، سليمان: **الخمرة في المجتمع العربي الإسلامي**. ط:1، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1996م، ص:7.

[5] **المرجع السابق**. ص:5-7.

قال فيه ابن قتيبة: إنه "الحسن بن هانئ مولى الحكم بن سعد العشيرة من اليمن"[1]. هو الحسن بن هانئ الحَكَمِيّ، شاعر معروف ومشهور[2]. وهو من أب عربي وأم فارسية، مات أبوه فكفلته أمه، وكان لا بد له من أن يعمل ليعيل نفسه وأمه، فعمل صبيًّا عطارًا، وهو يوالي حضور حلقات الدرس في اللغة والأدب، وأتم دراسته على يدي "والبة بن الحباب الأسدي" الشاعر الماجن المتهتك، ثم رحل أبو نواس إلى البادية، واتصل "بخلف الأحمر" الراوية المشهور، وابتدأ بقرض الشعر، وأجاد فيه؛ حتّى لمع نجمه، وذاع صيته، شاعرًا لا يبارى ولا يجارى، فارتحل إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية في عصرها الذهبي، واتصل بالرشيد ثم بالأمين[3].

فكما نلاحظ فإن أبا نواس اعتنى بتعليم نفسه بنفسه؛ إذ كان مداومًا على حضور حلقات الدرس، واتصل ببعض الأدباء والفقهاء ليتم تعليمه.

لقد ولد "أبو نواس" في الأهواز سنة (143هـ/762م)[4]، وكما يرى صاحب ديوانه أن هناك اختلافًا في سنة ولادة "أبي نواس" فقد قال: "وقيل ولد في سنة خمس وأربعين، وقيل سنة ست وثلاثين ومائة"[5]. وفي بعض المراجع إنه ولد عام (141هـ)، وقد ولدته أمه في "باستان ماترد" من كورة خوزستان، لأب عربي دمشقي حكمي، وأم فارسية واسمها جلبّان، والمرجح أن والده كان من جند "مروان بن محمد" آخر خلفاء بني أمية في دمشق، بعد هزيمة مروان في معركة الزاب الأعلى، وانتقل

---

[1] ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم: **الشعر والشعراء**. ط:3، عالم الكتب، بيروت، 1984م، ج:1، ص:577.

[2] السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور: **الأنساب**. تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي. ط:1، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1962م، ج:2، ص:242.

– ابن خلكان، القاضي أحمد: **وفيات الأعيان**. (د.ط)، مطبوعات دار المأمون، مصر، (د.ت)، ج:4، ص:190.

[3] ينظر: الروضان، عبد عون: **موسوعة شعراء العصر العباسي**. ط:1، دار أسامة، الأردن، 2001م، ج:1، ص:50.

[4] **أبو نواس... قصيدة العراق إلى العالم**. جريدة البينة الجديدة، ع:1588، 2012م، ص:17.

[5] أبو نواس، الحسن بن هاني: **ديوانه**. ط:1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1997م، ص:5.

إلى البصرة فنشأ بها، وربما الأصح في تاريخ ميلاده أنه ولد سنة خمس وأربعين ومئة، كما ذكر الخطيب أبو بكر في تاريخ بغداد.

المطلب الثاني: كنيته ولقبه.

ويعتقد أن لقبه "أبا نواس" جاء؛ لأن الأمير "خلف الأحمر" أحد عمال اليمن استدعاه يومًا وكان يودّه أكثر من غيره من الشعراء، فسماه أبا نواس واشتهر بهذه الكنية[1]. قيل: "أبو نواس؛ لذؤابة كانت في رأسه، والنواس: الذؤابة، ومنه سمي ذا نواس، وقيل: سمي ذا نواس لضفيرتين كانتا تقعان على عاتقه، والنوس الحركة من كل شيء مدلى، وعندما سئل أبو نواس عن كنيته ما يراد منها، وهل نَواس بفتح النون أو نُواس بضمها؟ فقال: بضم النون؛ فرد أن سبب الكنية كان رجلًا من الجيران بالبصرة دعى إخوانًا له، فأبطأ عليه واحد منهم، فخرج من بابه يطلب من يبعثه إليه يستحثه، فوجدني هذا الجار ألعب مع الصغار، وكانت ذوائبي في وسط رأسي، فصاح بي: امض إلى فلان فجئني به، فمضيت أعدو وذوائبي تتحرك، فلما جئت بالرجل قال: أحسنت يا "أبا نواس" فشاعت هذه الكنية[2]. "وقيل: اتخذ شاعرنا كنيته بسبب قربه من اليمنيين"[3]. وربما الأصح في تسميته بهذا الاسم؛ هو لذؤابة كانت في رأسه؛ لتكرار هذا المعنى في الروايات المختلفة.

المطلب الثالث: وفاته.

روي أنه قال: غفر الله لي بأبيات قلتها، وهي تحت وسادتي، فجاؤوا فوجدوها برقعة في خطه[4]:

---

[1] ينظر: شمس الدين، سالم: **أبو نواس في نوادره وبعض قصائده**. ط:1، المكتبة العصرية، بيروت، 2010م، ص:8.

[2] ينظر: الشيباني، أبو المجد أسعد بن إبراهيم: **المذاكرة في ألقاب الشعراء**. ط:1، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1988م، ج:1، ص:4.

[3] الفاضل، أحمد: **تاريخ وعصور الأدب العربي**. ط:1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 2003م، ص:177.

[4] ينظر: **أبو نواس... قصيدة العراق إلى العالم**. ص:17.

يـــا ربِّ إنْ عَظُمَـــتْ ذُنـــوبي كثـــرةً فَلَقَـــدْ عَلِمْـــتُ بِـــأَنَّ عَفْـــوَكَ أَعْظَـــمُ

إنْ كـــانَ لا يَرْجـــوكَ إلّا مُحْسِـــنٌ فَـــبِمَنْ يَلـــوذُ ويســـتجيرُ المجـــرِمُ

أدعـــوكَ ربِّ كمـــا أمـــرتَ تَضـــرُّعًا فـــإذا رَدَدْتَ يـــدي فمـــنْ ذا يـــرحَمُ

مـــالي إلَيْـــكَ وســـيلةٌ إلا الرَّجَـــا وجميـــلُ عفـــوِكَ ثُـــمَّ أنـــيَ مســـلمُ[1]

وكما إن هناك اختلافًا في تاريخ ولادته، فإن هناك أيضًا اختلافًا في تاريخ وفاته؛ فقد جاء في تحقيق ديوانه: إنه قد توفي في "سنة خمس، وقيل: ست، وقيل: ثمان وتسعين ومئة هـ ببغداد، ودفن في مقابر السونيزي"[2]. وهناك من يرى أنه مات ببغداد سنة (198)[3].

وروي "أنه تراءى له شبح الموت بعد موت الأمين فراعه، وأحس أن قواه تحطمت من كثرة فسوقه واستهتاره، ففزع إلى ربه يستغفره، وأقلع عن المجون وشرب الخمرة، وتنسك حتّى هلك، وهو على أشد ما يكون من الندم، وكانت وفاته في بغداد، وله من العمر نحو أربع وخمسين سنة، ودفن في مقابر الشونيزي"[4].

المبحث الثالث: حياة الشاعر أبي نواس الشعرية.

المطلب الأول: ثقافته الشعرية.

ونبدأ حديثنا هنا بما روي: ولم يسمح له "خلف الأحمر" بقول الشعر حتّى يحفظ جملة صالحة من أشعار العرب، ويقال: إن أبا نواس كلما أعلن عن حفظه لما كلفه به، كان خلف يطلب إليه نسيانها، وفي هذا لون رفيع من ألوان التعليم، وقد روي عن أبي نواس قوله: ما ظنّكم برجل لم يقل

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:508.

[2] **المصدر السابق**. ص:2.

[3] ينظر: الهاشمي، أحمد: **جواهر الأدب، في أدبيات وإنشاء لغة العرب**. (د.ط)، مؤسسة المعارف، بيروت، (د.ت)، ج:1، ص:171.

[4] البستاني، بطرس: **أدباء العرب في الأعصر العباسية**. (د.ط)، دار مارون عبود، (د.م)، 1988م، ص:66.

الشعر حتّى روى دواوين ستين امرأة من العرب، منهنّ الخنساء وليلى الأخيلية فما ظنكم بالرجال؟ وما كاد أبو نواس يبلغ الثلاثين حتّى ملك ناصية اللغة والأدب، وأطل على العلوم الإسلامية المختلفة من فقه وحديث ومعرفة بأحكام القرآن، وبصر بناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه[1].

كان أبو نواس مطّلعًا على ثقافات عصره وسائر الشعوب والحضارات، وكان كذلك عارفًا بأمور الدين والدنيا؛ فقد كان لثقافته واطلاعه أثر كبير على تجديده ورفضه للتقليد، وكان له معرفة وتجربة طويلة في الشعر؛ إذ كان يقول في كل فن من فنون الشعر، فكان أحد أهم شعراء عصره، وأكثرهم تأثيرًا، وكان لغويًا فذًّا، له في كل منها باع طويل من المعرفة والتجربة، وفي ذلك قال ابن قتيبة: "كان أبو نواس متفنّنًا في كل علم، وقد ضرب في كل نوع منه بنصيب"، وقال أبو عبيدة معمر بن مثنى واصفًا أهميته: "كان أبو نواس للمحدثين كامرئ القيس للأقدمين"، وثقافته واطلاعه الواسع وعيشه نبض عصره؛ كانت العوامل الأساسية التي دفعت أبا نواس إلى رفض التقليد، والتعامل مع التجربة الشعرية بصدق، سيخرج بالضرورة عن منطق الاتّباع إلى روح الإبداع؛ ليشكل عالمًا خالصًا متمرّدًا على كافة المعايير التي وضعها نقاد عصره؛ فكانت دعوة أبي نواس إلى هدم بناء القصيدة العربية القديمة أولًا، أوضح مظاهر الثورة على التقاليد البالية[2].

أما أقوال العلماء الأفذاذ في ثقافة أبي نواس فتظهر في قول: "أبي الحسن بن حمدان": سمعت أبا تمام الطائي يقول بخراسان: أشعر الناس وأسهبهم في الشعر كلامًا بعد الطبقة الأولى: بشار والسيد وأبو نواس ومسلم بن الوليد بعدهم، وعن أبي عثمان الجاحظ قال: ما رأيت أحدًا كان أعلم باللغة من

---

[1] ينظر: **أبو نواس... قصيدة العراق إلى العالم**. ص:17.

[2] ينظر: معلوف، فادي: **إضاءة على تجليات الحداثة في الأدب العباسي، أبو نواس وأبو تمام نموذجًا**. ص:3. AdiMalouf-Academia.edu (Doc)...

أبي نواس، ولا أفصح لهجة مع حلاوةٍ ومجانبة الاستكراه، وحدّث الجاحظ كذلك فقال: سمعت "النظام" يقول: –وقد أنشد شعرًا لأبي نواس في الخمرة– هذا الذي جمع له الكلام فاختار أحسنه[1].

لقد كان أبو نواس أشعر الناس في الشعر؛ إذ يعدّ من الطبقة الأولى في أشعر الشعراء، كما أنه في رأي الجاحظ من أعلم الناس باللغة وأفصحهم لهجة. لقد تصدّر أبو نواس مجالس العلماء وشارك فيها، ومن ذلك ما ورد في تهذيب تاريخ مدينة دمشق: "كان أبو نواس يجلس معنا في حلقة يونس، فينتصف منا في النحو، "وشهد له العديد من علماء عصره بتقدمه وحسن تكوينه المعرفي، وقال "أبو عبد الله الجماز" في وصفه: "كان أظرف الناس منطقًا، وأغزرهم أدبًا، وأقدرهم على الكلام... وكان فصيح اللسان، جيد البيان، عذب الألفاظ، حلو الشمائل، كثير النوادر، وأعلم الناس كيف تكلمت العرب رواية للأشعار علاقة بالأخبار"، هكذا كوّن أبو نواس شخصيته الشعرية، وجمع ما يمكن جمعه من علوم عصره؛ فكان عالمًا شاعرًا غزير اللغة[2].

نشأ أبو نواس في عصر الخلافة العباسية الذهبي، عصر القوة والرخاء؛ حيث الثراء الذي ينصبّ في حاضرة البلاد الأولى، والبذخ الذي أصاب الشعراء منه الحظّ الوافر والنصيب الكبير، والغنى الفكري الذي فجرته الحضارة الجديدة أمام نواظرهم، فكانت بغداد حاضرة العلم والحضارة، حاضرة اللهو والترف والمجون، جمعت علماء وأدباء شتى من كل أصقاع المعمورة، وجمعت كذلك الحانات والملاهي والأغاني والمجون، وكانت بحق كما وصفها الشافعي ليونس بن عبد الأعلى بالدنيا: قال الشافعي: هل دخلت بغداد؟ قال: لا، قال: إذن ما رأيت الدنيا، فالذي لم يزر بغداد لا يعرف الدنيا الحقة في عبثيتها وتناقضاتها، ولم يكن أبو نواس بعيدًا عن هذه الأجواء، فنهل منها خير ما يمكن لوارد ماء أن يستزيد، غَرَفَ من علمها وعلمائها حتّى ارتوى؛ فكان عالمًا وعرّج على حاناتها

---

[1] ينظر: ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين: **تاريخ مدينة دمشق**. (د.ط)، دار الفكر، بيروت، 1995م، ج:13، ص:412.

[2] ينظر: **المرجع السابق**. ص:9.

وغلمانها فكان ماجنًا لاهيًا، واستطاع أن يحمل لواء التجديد الحق؛ إذ عبّر عن الحياة الواقعية في باب اللذائذ حينما أطلق صرخته:

دعِ الأطـــــلالَ تســـــفيها الجنـــــوبُ وتبلـــــي عهـــــدَ جِـــــدّتها الخُطـــــوبُ

فأطيـــــبَ منـــــهُ صـــــافيةٌ شمـــــولُ يطـــــوفُ بكأسِـــــها ســـــاقٍ أديـــــبُ[1]

درس أبو نواس على أيدي علماء كبار، فاختلف إلى "أبي زيد" فكتب الغريب من الألفاظ ثم نظر في نحو "سيبويه" ثم طلب الحديث، فكتب عن "عبد الواحد بن زياد"، و"يحيى القطان" و"أزهر السمان" وغيرهم، فلم يتخلف عن أحد منهم، كذلك درس عند "أبي عبيدة بن المثنى" و"خلف الأحمر" وهو من أوسع الرواة حفظًا وأكثرهم رواية لأشعار البادية، وقال علماء عصره عن علمه أقوالًا كثيرة، وقال بعض الرواة: "كان أقل ما في أبي نواس قول الشعر، وكان فحلًا راوية عالمًا"، "وكان أبو نواس متكلمًا جدلًا راوية فحلًا رقيق الطبع، ثابت الفهم في الكلام اللطيف"، وقال الإمام الشافعي: "لولا مجون أبي نواس لأخذت عنه العلم"، وقال ابن خالويه: "لولا ما غلب عليه من الهزل لاستشهد بكلامه في كتاب الله، وذلك لأنه تعلم اللغة من أساطينها ورحل إلى البادية فأخذ عن العرب وحفظ لغاتهم وأتقنها"[2].

المطلب الثاني: ديوانه.

ديوان أبي نواس ضخم ضمّ بين دفّتيه أغراضًا شعرية عديدة، تتقدمها الخمريات؛ فقد خصّ لها جلّ الديوان، متغنيًا وصّافًا ناقلًا مجالس اللهو والغناء، كما قال في الغزل، وعدّد في قصائده أسماء أهمها: "جنان" و"نرجس" و"حُسن"، ونظم في المدح ومن ممدوحيه هارون الرشيد وابنه الأمين، والوزير

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:32.

[2] انظر: الشمري، حنان بنت سعود: **القيم الإسلامية في شعر أبي نواس**. أطروحة ماجستير، إشراف: محمد بن عبد السلام القاسمي. جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2013م، ص:44.

الفضل بن الربيع، وأمير مصر على الخراج "الخصيب بن عبد الحميد"، وقد أكثر من الهجاء والتجنّي على قبائل عربية وشخصيات من الكبراء، ونظم في الفخر بنفسه وعِرْقِهِ الفارسي وأصحابه، وقال في الطرد؛ فوصف مشاهد الصيد والقنص، وخصّ مقطّعات في الزهد؛ فالتمس العفو الإلهي معلنًا ندمه عما أسلف في اللهو[1].

المطلب الثالث: ملامح من حياة أبي نواس الشعرية.

قيل عن أبي نواس: هو بمنزلة بانٍ كملت آلته ونقص بناؤه، وكان ينبغي أن يكون بناؤه أجود، ولعلّ القائل يقصد أن أبا نواس كان مطبوعًا لا يستقصي، ولا يحلل شعره ولا يقوم عليه، ويقوله على السكر كثيرًا، فشعره متفاوت؛ لذلك يوجد فيه ما هو في الثريا جودةً وحسنًا، وما هو في الحضيض ضعفًا وركاكة[2].

وقد وصل أبو نواس إلى مرتبة شعرية عالية، ومع ذلك نجد من قدماء النقاد من لا يراه كذلك؛ لأنه يعده من الشعراء المحدثين، كما روي عن إسحاق الموصلي الذي كان يتعصب على أبي نواس ولا يعجبه شعره؛ لأن الموصلي كان يعد أبا نواس من المحدثين، والموصلي كان ينتصر للقدماء من الشعراء ويفضلهم على المحدثين مهما كان نتاجهم الشعري جيدًا. فعندما أُنْشِد الموصلي من شعر أبي نواس قوله:

وخيمـــــةِ ناطـــــورٍ بـــــرأسِ مُنيفـــــةٍ تَهُـــمُّ بـــدا مَـــنْ رامَهـــا بِزَلِيـــلِ[3]

وبقي على رأيه، فقيل للموصلي: والله لو كانت لبعض أعراب هذيل لجعلتها أفضل شيء سمعته[4].

---

[1] ينظر: ابن صالح، هند الشويخ: **التجديد في الشعر العربي**. ط:1، دار محمد علي، تونس، 2008م، ص:49.

[2] ينظر: المرزباني، محمد بن عمران بن موسى: **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء**. تح: محمد حسين شمس الدين. ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1995م، ص:303.

[3] أبو نواس: **ديوانه**. ص:412.

[4] ينظر: المرزباني: **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء**. ص:304،303.

وفي سنة (795م) انتقل أبو نواس من البصرة إلى بغداد يائسًا قلقًا؛ فأكب على شرب الخمرة، واتصل بالبرامكة ومدحهم، ثم انقطع إلى آل الربيع وأكثر مدحهم، وكانت سيرة الخلاعة والمجون والانحراف الأخلاقي والسلوكي تبعده عن قصر الخلافة[1]. فقد كان يخضع لحالة نفسية غريبة؛ زجته في حياة الخمرة والمعصية، لدرجة تصريحه بالكفر في بعض شعره؛ بسبب التظرف وامتداد المعصية والانفعالات الجنسية[2]. كقوله:

ألـــمْ تَرَنِـــي أبحـــثُ اللهـــوَ نفســـي ودينـــي واعتكفـــتُ علـــى المعاصـــي

كـــأني لا أعـــودُ إلـــى مَعـــادٍ ولا أخشـــى هنالِـــكَ مـــن قِصـــاصِ[3]

وهو يدعو للإباحية والتهتك وتزيين المجون، والمجاهرة بشرب الخمرة والفسق إلى درجة التصريح بالكفر، فيقول:

ألا فاسْـقني خَمْـرًا وقـلْ لـي: هـي الخَمْـرُ ولا تسْـــقِنِي سِـــرًّا إن أمكـــنَ الجهـــرُ

فمـــا العـــيشُ إلا سَـــكْرةً بعـــدَ سَـــكْرةٍ فـــإن طـــالَ هـــذا عنـــدهُ قَصُـــرَ الـــدَّهرُ

ولا خيـــرَ فـــي فتـــكٍ بـــدونِ مجـــانَةٍ ولا فـــي مُجـــونٍ لـــيسَ يتبعـــهُ كُـــفْرُ[4]

وقد انغمس أبو نواس في الخمرة، حتّى وصل به الأمر إلى أنه كان يعد شربها يخفف عن همومه، ويقلل من وطأة الناس والدهر عليه[5]، فهو يقول بهذا الصدد:

---

[1] ينظر: الفاخوري، حنّا: **الجامع في تاريخ الأدب العربي؛ الأدب القديم**. ط:2، دار الجيل، بيروت، 1995م، ص:692.

[2] **المرجع السابق**. ص:694.

[3] أبو نواس: **ديوانه**. ص:339.

[4] **المصدر السابق**. ص:202.

[5] ينظر: الزعيم، أحلام: **أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد**. ط:2، دار الحقائق للطباعة والنشر، بيروت، 1986م، ص:93.

أديـــرا علـــي الكـــأسَ ينقشـــعُ الغـــمُّ ولا تَحْبِسـا كأسـي، ففـي حَبْسِـها إثـمُ[1]

وقولـه: **صـفراءُ تسـلبُكَ الهمـومَ إذا بـدتْ وتعيـــرُ قلبَـــكَ حُلَّـــةَ الـــسَّرَّاءِ**[2]

لقد اتخذ أبو نواس من الخمرة "أداة للتعبير عن الحياة المعاصرة، منطلقًا في موقفه هذا من روح التمرد والثورة، منسجمًا في هذا من موقفه العام النابع من الذات والرافض لكل ما يصدر عنها؛ من هنا ثار على نظام القصيدة القديمة، وإصرارها على نمط خاص تبدأ فيه بالوقوف على الأطلال، مواجهًا تيار الشعر القديم، معلنًا رفضه لنمط القصيدة الجاهلية وهيكلها، والحياة القبلية وأعرافها وطرق عيشها"[3] كقوله:

لا تبـكِ ليلـى ولا تطـربْ إلـى هنـدِ واشربْ علـى الـوردِ مـن حمـراءَ كـالوَرْدِ[4]

وقولـه: **عـاجَ الشّـقي علـى دارٍ يُسَـائِلها وَعُجْـتُ أَسْـأَلُ عَـنْ خَمَّـارَةِ البَلَـدِ**

لا يُرْقِـئُ اللهُ عَيْنَـيْ مَـن بَكـى حَجَـرًا ولا شـفى وَجْـدَ مـن يصـبو إلـى وتـدِ[5]

لقد أخذ تبادل الأدوار بين الأطلال والخمرة عند أبي نواس دورًا محوريًّا ارتكز عليه في مقدمات قصائده، بل وفي متنها، فمثلًا نجده يقول:

دع الأطـــلالَ تَسْـــفيها الجَنُـــوبُ وتُبلـــي عهـــدَ جـــدَّتِها الخطـــوبُ[6]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:467.

[2] **المصدر السابق**. ص:16.

[3] الزعيم، أحلام: **أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد**. ص:210.

[4] أبو نواس: **ديوانه**. ص:150.

[5] **المصدر السابق**. ص:150. وورد (رسمٍ يُسائله).

[6] **المصدر السابق**. ص:32.

وقولــه: **دعْ الألبـــانَ يشـــربُها رِجـــالٌ رقيـــقُ العـــيشِ بيـــنهُمْ غَريـــبُ**[1]

وقولــه: **فَأَطْيَـبُ منـــهُ صـــافيةٌ شَمـــولُ يطـــوفُ بكأسِـــها ســـاقٍ أديـــبُ**[2]

كما نجد في شعره الذي جاشت فيه شاعرية أبي نواس، يتهكم على العرب، بل وعلى القبائل العربية؛ بعد أن سفه وقوفهم على الأطلال وبكاءهم عليها؛ لأنه يفضل مجالس اللهو والخمرة على أي موضوع آخر[3]، فهو يقول بنبرة شعوبية:

إذا مـــا تميمـــيٌّ أتـــاكَ مُفـــاخِرًا فقـل عـدِّ عـن ذا كيـفَ أكـلكَ للضَّـبِّ

تفـــاخرُ أبنـــاءَ الملـــوكِ ســـفاهةً وبولُـكَ يَجْـري فـوقَ سـاقِكَ والكعـبِ[4]

وها هو يمدح الرشيد بقصيدة تكاد تكون من أفضل مدائحه[5]. فبعد أن يشكو طول وقوفه على الديار وغناءه من ذلك، يذكر الخمرة فيقول مادحًا الخمرة ثم الرشيد:

تـرى ضَـوْءَها مـن ظـاهرِ الكـأسِ سـاطعًا عليـــكَ وإن غَطَّيْتَهـــا بِغِطـــاءِ

تبـــاركَ مَـــنْ سَـــاسَ الأمـــورَ بعلمِـــهِ وفضَّـــلَ هارونًـــا علـــى الخلفـــاءِ[6]

وإن من يقلب ديوان أبي نواس يجد فيه عدة إشارات واضحة إلى مبادئ المانوية والمزدكية... مع كثير من الشكوك في العقيدة الإسلامية؛ فهو يهاجم الدين، ويدعو إلى الإباحية المطلقة، ويتغزل بالمذكر، ويقرر ذلك كله بتعصب شديد للفرس، فيشيد بهم وبأمجادهم، على حين يحط من شأن العرب

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:32.

[2] **المصدر السابق**. ص:32.

[3] ينظر: إسماعيل، عز الدين: **في الأدب العباسي؛ الرؤية والفن**. (د.ط)، دار النهضة العربية، بيروت، 1975م، ص:88،89.

[4] أبو نواس: **ديوانه**. ص:77.

[5] ينظر: الخواجة، إبراهيم: **شعر الصراع السياسي في القرن الثاني**. ط:1، الكويت، 1984م، ص:366.

[6] أبو نواس: **ديوانه**. ص:19،20.

وعاداتهم وتقاليدهم، ويسفه أحلامهم، ويسخر من أدبهم وأساليبهم... حتّى يصل به الأمر لأن يكون من غلاة الشعوبية؛ فإن كانت عند غيره عبارة عن إشارات ورموز؛ فهي عنده تخلع ثوب الأفعى وتتزيا بأزياء الفرس الساسانيين، وتتبلور في زندقة مقيتة معيبة، ممزوجة بمجون وفسق وفجور يقوده إلى إلحاد وتهكم وسخرية من الدين[1]، فمن ذلك قوله لغلام:

يـــا أحمـــدُ المرتجـــى فـــي كـــلِّ نائبـــةٍ قـــمْ ســـيدي نعـــصِ جبـــارَ الســـماواتِ[2]

وقولـه: **عُـجْ للوقـوفِ علـى راحٍ وريحـانِ فمـا الوقـوفُ علـى الأطـلالِ مـن شـانِي**[3]

وقولـه: **عـاجَ الشـقيُّ علـى دارٍ يسـائلُها وعجـــتُ أســـألُ عـــن خَمَّـــارَةِ البلـــدِ**[4]

وقولـه: **أرضٌ تَبَنَّـــى بِهَـــا كِسْـــرَى دَســـاكِرَهُ فمـــا بهـــا مِـــنْ بنـــي الرَّغْنـــاءِ إنســـانُ**[5]

لقد تدحرجت كرات الخمرة والسخرية من العرب والفحش في غزله وتنوعه، والإلحاد والبعد عن الدين، على جل جوانب شعره وأغراضه وسائر الموضوعات الشعرية، حتّى ظهر وكأن شاعريته تكاد تشرب ماءها من معين هذه الكرات التي سيطرت على عقله، وعلى ما يتفوه به من أشعار يتغنى بها في مجالسه الشعرية. وهذا ما سنحاول تبيانه في عرض هذا البحث إن شاء الله تعالى.

وأذكر أخيرًا أن لأبي نواس هفوات أو سقطات، ومنهم من وصفها بالعيوب، وإن شئت أن تتعرف عليها فانظر كتاب الموشح للمرزباني[6] ومع ذلك يبقى أبو نواس –خاصة من الناحية الفنية–

---

[1] ينظر: الخواجة: **شعر الصراع السياسي**. ص:367–370.

[2] أبو نواس: **ديوانه**. ص:98.

[3] **المصدر السابق**. ص:526.

[4] **المصدر السابق**. ص:150.

[5] **المصدر السابق**. ص:528.

[6] ينظر: المرزباني: **الموشح**. ص:303–329.

كالعلَم في رأسه نار؛ لكثرة ما تفنن في عرضه لموضوعات شعره؛ حيث وشَّاه بقضايا فنية، مع ألفاظ مختارة، وصور جميلة فاتنة ألبست شعره ثوب الجمال، وسربلته بقيمة عالية من الفنية والاقتدار.

الفصل الثاني

الاتجاهات الشعرية التقليدية عند أبي نواس والتجديد فيها، مع بيان أثر الخمرة فيها

المبحث الأول: التقليد ومسبباته عند أبي نواس

المبحث الثاني: التجديد في شعر أبي نواس

المبحث الثالث: فنون أبي نواس الشعرية بين التقليد والتجديد

المطلب الأول: الغزل.

الفرع الأول: الغزل العذري العف.

الفرع الثاني: الغزل الفاضح الصريح.

الفرع الثالث: الغزل الشاذ.

1. الغزل بالغلاميات والساقيات.
2. الغزل بالغلمان والساقين (بالمذكر).
3. الغزل بالخمرة.

المطلب الثاني: المدح.

المطلب الثالث: الهجاء.

المطلب الرابع: الرثاء.

المطلب الخامس: الوصف.

المطلب السادس: الفخر.

الفصل الثاني: الاتجاهات الشعرية التقليدية عند أبي نواس والتجديد فيها، مع بيان أثر الخمرة فيها.

المبحث الأول: من مظاهر التقليد ومسبباته عند أبي نواس.

إني أجد أنه "رغم التحولات السريعة الاجتماعية والحضارية في المجتمع العباسي؛ فقد ظلت رواسب القديم –الطابع البدوي– ماثلة في نفوس كثير من الشعراء، توجه فنهم الشعري توجيهًا خاصًّا"[1]؛ لأن المذهب الجديد لا يلغي القديم بل قد يصاحبه أو يعاصره، وقد يتفوق عليه الجديد، أو يأخذ منه على الأغلب، يستمد طاقته الشعرية التجديدية.

لقد كان مربد البصرة وإقامة أبي نواس حولًا كاملًا في البادية؛ ليتثقف باللغة من منابعها الحقيقية، فربّت ذوقه اللغوي، ونمّت سليقته الأدبية؛ حتّى صار من أعلم الناس بالعربية، ولم يقل أبو نواس الشعر حتّى روى دواوين شعرية كثيرة للنساء والرجال، ومئات الأراجيز، كما أنّه كان يتردد على حلقات الفقهاء والمحدِّثين والمتكلِّمين[2].

لقد نهج أبو نواس في أغلب أغراضه الشعرية منهج القدماء من الجاهليين والإسلاميين، خاصة في أغراض الشعر التقليدية، إضافة إلى العوامل الأخرى التي منها:

قدسية الأدب القديم: فقد نظر الشعراء –في عصر أبي نواس– إلى الشعر القديم نظرة احترام وتقديس، وبأنه المثل الذي يحتذى ويحاكى؛ لأنه يمثل عصر النقاء العربي، ولا مانع أن يأخذ من جديد الحضارة، بحيث لا يخرجه ذلك عن المألوف من الشعر.

---

[1] المنصوري، حافظ كوزي عبد العالي: **البداوة في شعر العصر العباسي الأول**. أطروحة ماجستير، إشراف: مزهر السوداني. جامعة البصرة، 1989م، ص:160.

[2] **المرجع السابق**: ص:161،162.

وقد جاءت القدسية للشعر القديم؛ لاستخدامه في تفسير القرآن الكريم، والاستعانة به في وضع أسس النحو العربي؛ للوقوف في وجه اللحن الذي شاع في ذلك الزمن[1].

كما حرص أهل السنة والمعتزلة والمتكلمون على تدعيم تأويلاتهم للمجاز القرآني؛ بالرجوع إلى لغة العرب والشعر القديم[2].

وضع اللغويون القواعد الصحيحة للغة؛ حفاظًا عليها من اللحن وفساد الألسن، ولتكون وسيلة ثابتة لمن يريد أن يتعلم العربية من الأعاجم، فقد كان منبعهم الذي اعتمدوا عليه في ذلك: هو القرآن الكريم، والشعر الجاهلي، ولغة الأعراب، وكان هؤلاء يعتمدون على الشعر الجاهلي في طريقة صياغة القصيدة بأركانها الثابتة، من نسيب أو تشبيب ممزوج بذكر الأطلال ووصف الديار والصحراء، والناقة والرحلة إلى الممدوح، وهذا الأثر الخالص على مر الزمن كان على أبي نواس وغيره الالتزام به، وإلا سيواجه الحبس إن خالف ذلك، كما حصل لأبي نواس مع الخليفة عندما خرج عن ديباجة القصيدة العربية بوقوفه على الخمرة بدل الأطلال، فقد قال:

أَعِـرْ شِـعرَكَ الأطـلالَ والـدمنَ القَفْـرا فقـدْ طـالَ مـا أزرى بـهِ نعتُـكَ الخَمْـرا

دعـاني إلـى نَعْـتِ الطّلـولِ مُسَـلَّطٌ تضيـق ذراعـي أن أجـوزَ لـه أَمْـرا

فسـمعٌ أميـرَ المـؤمنينَ وطاعـةٌ وإن كنـتَ قـد جَشَّـمْتَنِي مَرْكبًـا وعْـرا[3]

لقد أصبح الشعر في زمن أبي نواس، وخاصة الذي يقال في حضرة الخلفاء شعرًا سلطانيًّا؛ لأنه يجب على الشاعر أن يراعي ذوق الخليفة أو المسؤول، ممن اشتهروا بذوقهم الأدبي وحفظهم

---

[1] المنصوري، حافظ: **البداوة في شعر العصر العباسي الأول**. ص:164،163.

[2] **المرجع السابق**. ص:168.

[3] أبو نواس: **ديوانه**. ص:203.

وروايتهم للشعر، ومن جهة أخرى كان الشعراء في هذا العصر يحرصون على أن ينال شعرهم رضا الخليفة؛ طلبًا للمال وأعطيات الخلفاء وهباتهم، وذلك من باب التكسب في الشعر[1].

لقد حرص الشعراء الموالي –وعلى سبيل المنافسة مع الشعراء العرب– على إثبات مقدرتهم في اللغة والأدب؛ ومن ثَمَّ بذلوا جهدهم في إتقان اللغة والأدب وإبراز ذلك فيما يقولون، وبأنهم جديرون بفهم اللغة والتفقه بأسرارها[2].

إن أبا نواس في ثورته على القصيدة العربية التي تزعمها ودعا إليها لم يطبق هو مبادئها في شعره، وبقيت أفكاره مجرد ادعاء دون تطبيق، وبقي أبو نواس شاعرًا تقليديًّا ينزع إلى الثورة على عمود الشعر، ولكن ظل يرسف فيه طول حياته[3].

ورغم دعوة أبي نواس إلى التجديد في منهج القصيدة إلا إنه ظل يرزح تحت تأثير الأسلوب القديم في كتابة الشعر[4].

وقف أبو نواس في شعره موقفين متناقضين؛ موقف المقلد وموقف المجدد؛ فهو حين أراد أن يجدد في شعره لم يستطع الانفصال عن القديم ما جعله لا يبرح الأساليب البدوية القديمة، كما ظهر ذلك في شعره الرسمي، واختياره للألفاظ الجزلة القوية، كوصف الصحراء، أو تقديم وصف الأطلال على الناقة على طريقة القدماء[5].

ومنها قصيدته التي يمدح بها "الفضل بن ربيع" والتي يبدؤها بمخاطبة الديار والدمن واستحسانها[6]، ومنها:

---

[1] المنصوري، حافظ: **البداوة في شعر العصر العباسي الأول**. ص:170.

[2] **المرجع السابق**. ص:171.

[3] **المرجع السابق**. ص:173.

[4] **المرجع السابق**. ص:194.

[5] **المرجع السابق**. ص:194.

[6] **المرجع السابق**. ص:195.

لِمَـــنْ دمـــنٌ تـــزدادُ حُسْـــنَ رســـومِ علـــى طـــولِ مـــا أقـــوَتْ وطِيـــبِ نسيـــمِ

تجـــافي البِلَـــى عـــنهنَّ حتّـــى كـــأنّما لبسْـــنَ علـــى الإقْـــواء ثـــوبَ نعـــيمِ[1]

ونجد أبا نواس يذكر الأطلال في بعض قصائد الهجاء كقوله في بائيته:

ألا حـــيِّ أطـــلالًا بســـيْحانَ فالعَـــذْبِ إلـــى بُـــرَعٍ فـــالبئرِ بئـــرِ أبـــي زُغْـــبِ

تمـــرُّ بهـــا عُفْـــرُ الظِّبـــاءِ كأنـــها أَخاريـــدُ مـــن رومٍ يقسَّـــمنَ فـــي نَهْـــبِ

إلـى قولـه: **إذا مـا تميمـيٌّ أتـاكَ مفـاخرًا فقـل عَـدِّ عـن ذا كيـفَ أَكْلُـكَ للـضَّبِّ**[2]

وكذا الأمر في وصفه للرحلة والراحلة والصحراء والنسب، ثم يخلص إلى المدح، وهو في ذلك أقرب إلى القصيدة الجاهلية التقليدية النموذج، وهو في حديثه ووصفه لهذه المكونات في البيئة البدوية أشبه ما يكون بالبدوي الذي طالت صحبته لها[3] فمثلًا نجده في قصيدته الميمية والتي يبدؤها بذكر الأطلال يقول:

يـــا دارُ مـــا فعلـــتْ بـــكِ الأيـــامُ ضـــامَتْكِ والأيـــامُ لـــيسَ تُضَـــامُ

ومنهـا: **وتجشـمتْ بـي هَـوْلَ كـلِّ تنوفـةٍ هوجـــاءُ فيهـــا جُـــزْأَةً، إقـــدامُ**

تـــذرُ المطـــيَّ وراءَهـــا فكأنَّهـــا صـــفٌ تَقَـــدَّمَهُنَّ وهْـــيَ إمـــامُ[4]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:499.

[2] **المصدر السابق**. ص:76،77.

[3] ينظر: المنصوري: **البداوة في شعر العصر العباسي الأول**. ص:197-201.

[4] أبو نواس: **ديوانه**. ص:497.

المبحث الثاني: التجديد في شعر أبي نواس.

قاد أبو نواس ثورةً على التقاليد الفنية القديمة في الشعر، ودعا إلى التجديد في القصيدة العربية: تجديد على مستوى اللفظ، وآخر على مستوى المعنى، فقد كان شعراء الجاهلية والإسلام حريصين على متانة اللفظ ورصانته وبداوته، وكانت معانيهم كذلك، بدوية أعرابية.

فقاد "أبو نواس" ومن معه من الشعراء كـ"بشار بن برد" و"مسلم بن الوليد" وغيرهما حركة التجديد، ودعوا إلى الشعر الذي يعتمد المفردة السهلة العذبة التي ألفها الناس، لا تلك التي لا يعرفها إلا علماء اللغة، ولا مكان لها إلا في بطون القواميس والمعاجم اللغوية.

وشمل ذلك المعاني بترك البكاء على الأطلال، وذكر الخيام والصحراء، والإبل والخيل والسلاح والذئاب، إلى القصور والأنهار والرياض والمدن، وما تحفل به الحياة في العصر العباسي الأول من المستحدثات الحضرية التي لم يعهدها الأعراب، وفي هذا يقول أبو نواس رأس حركة التجديد:

عـــاج الشّـــقيُّ علـــى رســـمٍ يســـائِلُهُ وعجـــتُ أســـألُ عـــنْ خمـــارةِ الـــبلدِ

علـــى طَلَـــلِ الماضـــينَ مِـــنْ أســـدٍ لا درَّ درُّك قـــلْ لـــي مَـــنْ بنـــو أســـدِ

ومَـــنْ تمـــيمٌ ومَـــنْ قيـــسٌ وإخـــوتُهُم لـــيس الأعاريـــبُ عنـــدَ اللهِ مِـــنْ أحـــدِ

لا جـفَّ دمـعُ الـذي يبكـي علـى حَجَـرٍ ولا صَـفا قلـبُ مَـنْ يصـبو إلـى وَتَـدِ

كـمْ بـينَ مَـنْ يشـتري خمـرًا يَلَـذُّ بهـا وبـينَ بـاكٍ علـى نُـؤْيٍ ومُنْتَضَـدِ[1]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص: 150،151.

- الروضان، عبد عون: **موسوعة شعراء العصر العباسي**. ص:51.

وكذلك فقد عرف عن أبي نواس أنه متفننٌ في العلم، وقد ضرب في كل أصناف العلوم ومنها علم النجوم، فيقول في النجوم:

أمـــا تـــرى الشـــمسَ حلـــتِ الحَمَـــلا وقـــــامَ وزنُ الزمـــــانِ فاعْتـــــدَلَا

وغنـــــتِ الطيـــــرُ بـــــعد عُجْمَتِهـــــا واســـتوفتِ الـــخمرُ حولَهـــا كَمَـــلا[1]

لقد قاد أبو نواس حركة التجديد –كما قلنا– إذ جدّد في الألفاظ والمعاني، ومن ذلك أنه دعا إلى الانتقال من الاستهلال بالأطلال والبكاء عليها وذكر الخيل والإبل والصحراء، إلى ذكر القصور والأنهار والرياض والمدن، وربما يعود ذلك –في رأيي– إلى تأثير حضارة العصر العباسي، وحياة الترف التي كانت فيها على الشعراء وأساليبهم الإبداعية.

ومن مظاهر تجديد "أبي نواس" أننا نجده صار يمجّد الخمرة ويعطيها القيمة الكبرى، وكأنه بهذا يتحدى القديم، "ويعلن مبادئ عصره وخصوصيته، فكما أن الطلل هو رمز للتقاليد البالية، صارت الخمرة في قاموسه رمزًا للحياة الحديثة، يشربها ويسلّمها زمام نفسه، فهي الملازمة له، وهي الدائمة الشباب، وهي المشعة التي منها تتولد الأضواء والأنوار، وفي قربها نأي للهموم وراحة للنفس، فالثورة على الطلل ونقد الشعراء المقلدين شكّل في قصائد عديدة عند الشاعر مفتتحًا لقصيدته، فنجده هازئًا بكل من يعوج على رسمٍ يسائله، ويحرص على وضع ابنة الكرم بديلًا لهذا السلوك"[2]، وهو بهذا الأسلوب قد ثار على الوقوف على الأطلال، ودعا الشعراء كذلك إلى ترك هذه العادة القديمة واستبدالها بشيء جديد ألا وهو الخمرة.

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص: 416.

[2] معلوف، فادي: **إضاءة على تجليات الحداثة في الأدب العباسي؛ أبو نواس وأبو تمام نموذجًا**. ص:3.

المبحث الثالث: فنون أبي نواس الشعرية بين التقليد والتجديد.

أبدع أبو نواس في كل فنون الشعر وتفوق فيها، ومن الفنون الشعرية التي قال فيها وكان له ضرب منها: الخمريات والغزل والمدح والوصف والطرديات والرثاء، وقد تفوق أبو نواس في الخمريات على غيره من الشعراء؛ ويرجع ذلك إلى عشقه للخمور وإدمانه على شربها؛ أما الغزل، فكان غزلًا فاحشًا عنده، ومنوعًا، خاصة الغزل بالمذكر، ونال ضربًا من المدح وخصوصًا مدح الخلفاء والأمراء والوزراء؛ وذلك لنيل رضاهم والتكسب بمدحهم، وليس حبًا في هذا الفن؛ فالوصف لم يكن فنًّا مستقلًّا بذاته بل كان في معرض حديثه عن مدح الخلفاء أو الغزل أو الخمرة فكان بذلك يمدح الأشياء المتعلقة بهذه الفنون، ومن حيث الرثاء فقد كان ينبع من قلبه، ومن حسرة كبيرة على المتوفى.

إننا نجد غزليات أبي نواس تشتمل على العاطفة المشبوبة، وعلى أفحش العبث والمجون، ويميل في هجائه إلى الفحش، وكان مجاهرًا بالفسوق، وكثيرًا ما افتخر بارتكاب جميع الموبقات ما عدا الشرك[1].

أما الآن فسوف أتناول بعض فنون الشعر التي أبدع وتفوق فيها أبو نواس، ومنها:

المطلب الأول: الغزل في شعر أبي نواس.

يعدّ الغزل كغيره من الأغراض الشعرية القديمة التي شغلت حيزًا في الشعر العربي القديم، والتي كذلك شغلت بال الشعراء، فأصبح الغزل سمة من سمات كل عصر، والغزل بذاته يكشف عن مشاعر الشاعر وانفعالاته وأحاسيسه الواقعية، ويكشف كذلك عما يدور في داخله وأعماقه الشعورية، وكان أبو نواس من الشعراء الذين انشغلوا في أغلب شعرهم في الغزل؛ وذلك لافتتانه بالمرأة، وسنلاحظ فيما يلي أنواع الغزل التي افتتن بها أبو نواس:

---

[1] بروكلمان، كارل: **تاريخ الأدب العربي**. ق:1، أشرف على الترجمة: محمود حجازي. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993م، ص:345-347.

الفرع الأول: الغزل العذري العفّ.

أحب أبو نواس الجارية "جنان" وعشقها فكانت هي ذلك الآخر الذي يخاطبه، يقول:

إنـــي صـــرفتُ الـــهوى إلـــى قمـــرٍ لا يتحـــــدَّى العيـــــونَ بـــــالنّظرِ

إذا تأمّلتَـــــــــهُ تعـــــــــاظَمَكَ الإ قْـــــرارُ فـــــي أَنّـــــهُ مِـــــنَ البَشَـــــرِ

ثُـــــمَّ يعـــــودُ الإنكـــــارُ معرفـــــةً منـــــكَ إذا قِسْـــــتَهُ إلـــــى الصـــــوَرِ

مباحـــــةٌ ســـــاحةُ القلـــــوبِ لـــــهُ يأخـــــذُ منهـــــا أطايِـــــبَ الثّمـــــرِ[1]

ففي هذه الأبيات يظهر شَغَفُ أبي نواس بالآخر "حبيبته جنان" وهيامه بها ويشكو وجده بحبها وهو لا يعرفها، وقد طال سؤاله عنها فلم يقع على خبر منها.

ويتغزّل الشاعر بجنان في هذه الأبيات علّه يكسب ود الحبيب الذي جفاه بكلمات أشد لطافة ورقة، ومن ذلك قوله:

وذاتِ خـــــــــدٍّ مُـــــــــوَرّدْ فتّانـــــــــــةِ المُتَجَـــــــــــرِّدْ

تأمـــــــلَ النـــــــاسُ فيـــــــها محاســـــــنًا لـــــــيسَ تَنْفَـــــــدْ

الحُسْـــــنُ فـــــي كـــــلِّ جُـــــزْءٍ مِنْهـــــا مُعـــــادٌ مُـــــرَدَّدْ

فبعضُـــــــهُ فـــــــي انتهـــــــاءٍ وبـــــــعضُهُ يَتَوَلّـــــــدْ[2]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص: 237.

[2] **المصدر السابق**. ص:164.

فالشاعر في هذه الأبيات يتغزل بذلك الآخر الحبيب "جنان" فتلك الحبيبة هي من امتلكت قلبه فصبر وتجلّد لرفضها له، وزاد عمق حبه وأصبح ثقيلًا على صدره، فما عذر هذا المحب الذي يتيه في الطرقات طالبًا الود، بينما هي تواصل المنع والزجر[1].

لقد تتلمذ أبو نواس في غزله العذري العفيف على يد من سبقه من الشعراء في العصر الأموي, وفي عصره العباسي. وقد كان خير من يمثل الغزل العف في العصر العباسي الشاعر "العباس بن الأحنف البغدادي"، ومع صدق العاطفة في هذا الغزل في العصر العباسي والمماثل له في عصر بني أمية؛ حيث نحس في شعر العفة الأموي نارًا تستعر في صدورهم. وألمًا لا يماثله ألم, ما تعجز النفوس عن حمله، والألم الذي يعصف بهم كالسيل المندفع لا يترك لهم روية ولا أناة, بل الحزن المُمِضّ والدموع الغزار[2].

هذا وقد وجدت الغزل العذري أو العف ينتشر في ديوان أبي نواس في نحو (13) قصيدة أو مقطوعة وموضعًا، لم يذكر أبو نواس الخمرة فيها، إلا في موطن واحد.

ومن المواطن التي تغزل فيها أبو نواس غزلًا عفًا ما يلي:

يقول أبو نواس في مقطوعة له:

حامـــــــلُ الهـــــــوى تَعِـــــبُ يســـــــــــــتخفهُ الطـــــــــــــربُ

إن بكـــــــــى يُحَـــــــقُّ لـــــــه لـــــيس مـــــا بـــــه لعـــــب[3]

وقولـه فـي أخـرى: **مـا هـوىً إلّا لـه سببُ يبتـــــــدي منـــــــه وينشعـــــــبُ**

---

[1] رواق، نور الهدى: **الأنا والآخر في ديوان أبي نواس**. أطروحة ماجستير، إشراف: سامية بوعجاجة. جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2016م، ص:38.

[2] الساديسي، عمر عبد الرحمن (وزملاؤه): **نصوص شعرية(2)**. (د.ط)، جامعة القدس المفتوحة، المكتبة الوطنية، عمّان، الأردن، 2008م، ص:171.

[3] أبو نواس: **ديوانه**. ص:46.

فتنـــــــتْ قلبـــــــي مُحَجبـــــــةٌ وجهُهـــــا بالحســـــنِ منتقـــــبُ[1]

وقولــه: ومــا أنــا إن عَمِــرْتُ أرى جِنانًــا وإن بخلـــتْ بمحبـــوسِ النصـــيبِ

مقنعـــةٌ بثـــوبِ الحســـنِ ترعـــى بغيـــر تكَلُّـــفٍ ثمـــرَ القلـــوبِ[2]

وقولــه: ســأعطيك الرّضــا وأمــوتُ غَمًّــا وأسْـــكُتُ لا أَغُمّـــكِ بالعتـــابِ[3]

وقولــه: نــالَ مِنِّــي الهــوى منــالًا عجيــبًا وتَشَـــكَّيْتُ عـــاذلي والرقيبـــا

أســـعديني علـــى الزمـــان عَريـــبُ إنمـــا يســـعد الغريـــبُ الغريبـــا[4]

وقولــه: خرجــتُ للهــوِ بالبســتان عنــك فمــا لهــوتُ بــل عَكَــفَ البســتانُ يلهــو بــي[5]

وقولــه: سأشــكرُ للــذكرى صــنيعتها عنــدي وتمثيلَهــا لــي مــن أحــبُّ علــى البعــدِ[6]

وقولــه: لقــد عاجلــتْ قلبــي جنــانُ بهجرِهــا وقـــد كـــان يكفينـــي بـــذلك وعيـــدُ

لعـــل جِنانًـــا ســـاءها أن أحبهـــا فقـــلْ لجنـــانٍ: ثابـــت ويزيـــدُ[7]

وقولــه: وجنـــانُ قـــد شـــفني مبتـــداها وســـعادُ فـــديتُ مبـــدا سعـــاد

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:47.

[2] **المصدر السابق**. ص:49.

[3] **المصدر السابق**. ص:50.

[4] **المصدر السابق**. ص:51.

[5] **المصدر السابق**. ص:62.

[6] **المصدر السابق**. ص:164.

[7] **المصدر السابق**. ص:165.

لـــو ترانـــي أحـــبُّ حقًّـــا سِـــواها أبـــدًا مـــا بقيـــت حتّـــى التنـــادي[1]

وقولـه: **قَنِعْـتُ، إذ نِلْـتُ مـن أحبـاي النظـرا وقلـت: يـا رب مـا أعطيـتَ ذا بشـرا**

لـم يَبْـقَ منـي, مـن قَرْنـي إلـى قـدمي شـيءٌ سـوى القلـبِ إلّا هنّـأ البصـرا[2]

وفـي أخـرى: **فـدتْكَ نفسـي يـا أبـا جعفـر جاريـــــةٌ كـــــالقمر الأزهـــــرِ**

تعلّقتْنـــــــــي وتعلقْتُهـــــــــا طفلـــينِ فـــي المهـــدِ إلـــى المحشَـــرِ[3]

أما الموطن الذي تغزل فيه أبو نواس غزلًا عذريًّا عفًّا مع ذكره للخمرة، ففي قصيدته التي يقول فيها:

لـــــولا حِـــــذارِيَ مـــــنْ جنـــــانِ لخلعـــــتُ عـــــن رأســـــي عِنـــــاني

لـــم تَلْـــقَ مـــنْ حُـــرَقِ الهـــوَى مـــا قـــد لقيـــت علـــى عِنـــانِ

قـــد خضـــتُ فـــي لجـــج الهـــوى وشـــــربت صـــــافيةَ الدّنـــــان

ومُضَـــــــــمَّخَاتٍ بالعبيـــــــــ ـــــرِ نـــزلْنَ مـــن غـــرفِ الجِنـــانِ

لا يشـــــغلَنّكَ غيـــــرُ مـــــا تهـــوى فكـــلُّ العـــيش فـــانِ[4]

ولولا أنني أحببت أن ينضم هذا اللون من الغزل إلى مجموعة الغزل الكلية, لوضعت هذا النوع مع الفنون التي ندر فيها أو خلت من ذكر الخمرة.

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:171.

[2] **المصدر السابق**. ص:240.

[3] **المصدر السابق**. ص:242.

[4] **المصدر السابق**. ص:546،545.

الفرع الثاني: الغزل الفاضح الصريح (الغزل بالنساء).

لم يكن مزاج أبي نواس ومذهبه في الحياة اللاهية الشاردة وراء اللذة الوقتية اكتناف الحب الصحيح الخالص، أو ليكون يومًا من العاشقين، وهو إذا تغزل يصطنع الغزل اصطناعًا، ومع ذلك فقد يبالغ أبو نواس أحيانًا في غزله، وهذا الشيء من الإجادة الفنية؛ ولا يخفى لما فيه من مخادعة في العاطفة، وتكلف بارد وردي وساقط.

والقارئ لديوانه يعجب لهذا التنقل الزئبقي الذي يمارسه بين قلب وقلب، فإذا هو معجب "بجنان حينًا وبحنان مرة أخرى"، وما يلاحظ أن أبا نواس أحب الجارية جنان على وجه التحديد، إلا أن ما قابلته، من صد وجفاء؛ كان سببًا جديدًا يضاف إلى الأسباب التي صنعت منه شخصية غامضة، ورسمت من شعره هذه الصورة الحزينة التي تكون واضحة حتّى في حالات مجونه وغيه، يقول:

أتـــاني عنـــكِ سَـــبُّكِ لـــي فَسُـــبِّي ألـيس جـــرى بفيـــكِ أســـمى فحســـبي؟

وقـــولي مـــا بَـــدا لـــكِ أن تقـــولي فمـــــــاذا كُلُّـــــــهُ إلا لِحُبِّـــــــي[1]

هذه الأبيات رد فيها على محبوبته "جنان"، يحن فيها إليها، ويتودد، ويظهر حبه لها، وكان ذلك من خلال ما يرسله من شعر غزلي لها[2].

لقد كان أبو نواس، كما هو واضح، من الذين أبدعوا في الغزل الماجن الفاحش؛ فقد أوصله هذا إلى حد الفحش والفجور في الغزل، إذ يقول في إحدى جواريه:

كَتَبَـــتْ علـــى فـــصّ لِخاتَمِهَـــا: مـــن مَـــلَّ محبوبًـــا فـــلا رَقَـــدَا

فكتبـــتُ فـــي فـــصّ لِيَبْلُغَهَـــا: مـــن نـــامَ لـــم يعقـــلْ كمـــنْ سَـــهِدَا

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص: 47.

[2] آدم، عمر بن الخطاب: **صورة المجتمع في العصر العباسي الأول من خلال شعر أبي نواس**. أطروحة دكتوراه، إشراف: بابكر البدوي دشين. جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2006م، ص:159.

فمحتْـــــهُ واكتتبـــــتْ ليبلُغَنِـــــي: لا نـــــام مـــــن يهـــوى ولا هَجَـــدَا

فَمَحَوْتُـــــهُ ثـــــم اكتتبْـــــتُ: أنـــــا واللهِ أَوّلُ ميّـــــتٍ كَمَـــــدَا

فمحتْـــــهُ واكتتبـــــتْ تعارِضُـــــنِي: واللهِ لا كلّمـــــــــتُهُ أَبَـــــــــدَا[1]

فلقد تغزّل أبو نواس بالجواري وهام بهنّ وكان غزله فاحشًا، كما تغزّل أيضًا بالغلمان، واستطاع أن يحقق أعلى درجات المجون التي وصل إليها العصر العباسي، وتعد من مظاهر عولمة هذا العصر بعد أن كان عصرًا عربيًّا أعرابيًّا، ليصبح بدخول العنصر الأعجمي عربيًّا أعجميًّا، وتهيأ أبو نواس أن يكون من أول مبتدعي هذا الباب عند العرب وأشهر أعلامه، وغزله يحمل من وصف المنكرات والعار والمرض الأخلاقي؛ فغزله لا يخلو من الاستهتار والفحش، ويأخذ ظاهرة الميل إلى المذكر التي كانت ظاهرة في ذلك العصر.

ونجد أبا نواس يسلم تسليمًا كاملًا بإثم ما يفعل، وإن كان يحاول تفسير ذلك، بأنه بسبب اللذة التي لا يستطيع مقاومة إغرائها، وقد بلغت قوتها أن دفعته إلى هذا العناد الثائر[2] وفي ذلك يقول أبو نواس:

فـــإن قـــالوا حـــرام، قـــل حـــرام! ولكـــن اللـــذاذة فـــي الحـــرام[3]

لم يكن الغزل الذي أبدع فيه أبو نواس نتيجة حب حقيقي لامرأة بعينها، ولكنه كان غرضًا أحب أن يخوض في غماره كما خاض الشعراء السابقون من قبله، ولكن في بداية تغزله كان محبًّا لامرأة اسمها جنان، وصدّها له وتردُّدُها عنه؛ هو الذي دفعه للتغزّل بأي امرأة كان يراها وتعجبه، فهو عندما يصف جمال محبوبه، يقول:

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص: 166.

[2] النويهي، محمد: **نفسية أبي نواس**. (د.ط)، مكتبة الخانجي، مصر، 1970م، ص:101.

[3] أبو نواس: **ديوانه**. ص:481.

بـــــــراهُ اللهُ مِـــــــنْ ذهـــــــبٍ وَدُرٍّ فأَحْسَـــــــنَ خَلْقَـــــهُ لَمَّـــــا بَـــــراهُ

فلمّـــــا خَطَّـــــهُ بَشَـــــرًا سَـــــوِيًّا حَـــذا حـــورَ الجِنَـــان علـــى حِـــذاهُ[1]

في هذه الأبيات لا يكتفي الشاعر بأن يوظف التراث الميثولوجي الإسلامي، بل إنه يستعمل أسلوب المبالغة؛ إذ يتعدى مفهومًا شائعًا وثابتًا في المخيلة العربية الإسلامية التي ترى حور الجنان مثالًا للجمال الكامل؛ فهو عندما أراد وصف محبوبه جعل الله يخلق الحور شبيهًا بهذا المحبوب، في حين أن شاعرًا تقليديًّا كان ليشبّه محبوبه بحور الجنان[2].

ومن مظاهر الغزل عنده التشنيع بالنساء، والتشبيب بهن، فأصبح لا يعنيه إلا وصفهن بخلاعة؛ والسبب هو ما واجهته به محبوبته "جنان"؛ فأصبح الحب لذة وقتية، وفي قصيدة أخرى يقول:

تَسْـقيكَ مـن عينهـا خمـرًا، ومـن يـدها خـمرًا فمـا لـكَ مِـنْ سُـكْرَيْنِ مـن بُـدِّ

لـــي نشـــوتان وللنَّـــدْمانِ واحـــدةٌ شـيءٌ خُصِصْتُ بـهِ مـن بَيْـنِهِم وَحْـدِي[3]

لا ينفك شعر الغزل عنده عن الخمرة؛ فما ذكر الغزل إلا وجاءت الخمرة في بعض الأحيان، ولم تذكر الخمرة إلا أعقبها الغزل أحيانًا. وتعد هذه المرحلة من بعد الصدِّ، فقد بدأ يشعر بالجواري اللاتي يعملن بالحانات، بأن له سكرين سكر الخمرة من كأس، وسكر من القبل، فهو يشعر بالجارية[4].

وقال في مرة أخرى:

يـــــا قمـــــرًا أَبْـــــرَزَهُ مـــــأْتَمٌ ينـــــدُبُ شَـــــجْوًا بـــــينَ أَتْـــــرابِ

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:597.

[2] معلوف، فادي: **إضاءة على تجليات الحداثة في الأدب العباسي؛ أبو نواس وأبو تمام نموذجًا**. ص:4.

[3] أبو نواس: **ديوانه**. ص:150.

[4] آدم، عمر: **صورة المجتمع في العصر العباسي الأول من خلال شعر أبي نواس**. ص:160.

يبكـــي فيَـــذْري الـــدُّرَّ مـــن نـــرجسٍ وَيَلْطُـــــــمُ الـــــــوَرْدَ بِعُنَّـــــــابِ

لا تبـــكِ ميتًـــا حـــلَّ فـــي حُفْـــرَةٍ وابـــــكِ قتـــــيلًا لـــــك بالبـــــابِ[1]

لقد كان لأبي نواس شِعْر في الغزل العفيف الطاهر، ولكن بعد صدّ جنان محبوبته عنه؛ أدخلت شعره الغزلي في نوع شبه رديء؛ فأصبح عديم الحياء وتبدو الخلاعة عليه ظاهرة.

لقد رأيت أن أقسم الغزل عند أبي نواس, بحسب الشكل والمضمون الذي وجد عنده، فقد تغزل أبو نواس غزلًا عذريًّا عفًّا، وربما كان هذا الغزل مرحليًّا ومتعلقًا بحسنائه "جنان" ومن شابهها, لكننا نجد أن أبا نواس قد تغزل في النساء الأخريات بشكل عام، جمع فيه بين الغزل العادي العام وغيره, دون تحديد أحيانًا، ودون الولوج بالفحش أحيانًا أخرى, وتارة نجده يجمع بين الاثنين, ويضيف إليهما الخمرة وصفاتها وميزاتها..

ولكن أبا نواس تعلق بالخمرة تعلقًا شديدًا لم يكد يسبق إليه, فلذا نراه يضيف لونًا جديدًا من الغزل هو الغزل بالخمرة؛ نأيًا بنفسه عن الغزل بالمرأة التي يرى فيها الخداع والكذب, ثم نجد أبا نواس يتغزل بالغلاميات والغلمان (ساقية أو ساقٍ)؛ ولذا سأحاول الوقوف على تلك القصائد مبديةً مدى تأثره بالخمرة في هذه الأنواع.

وقد جاء النوع الثاني من الغزل العام, والذي وصل عدد مرات تكراره (ما عدا الغزل العذري العف) إلى نحو زاد على تسعين قصيدة أو موضعًا أو مقطوعة، ذُكِرتِ الخمرة في نحو عشرة مواضع، وإليك بعض الأمثلة:

يقول أبو نواس في مقطوعة له:

نَضَـــتْ عنهـــا القمـــيصَ لصـــبِّ مـــاءٍ فـــــورّدَ وجْهَهَـــــا فـــــرطُ الحيـــــاءِ

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:48.

فســـــبحان الإلـــــه وقـــــد براهـــــا كأَحْسَـــنِ مـــا يكـــون مـــن النســـاء[1]

ومن قصيدة لـه يقول: **مـلأْتِ قلبـي نُـدوبًا فصـــــــــرتُ صـــــــــبيًّا كئيبـــــــا**

عـــــددْتِ أحســـــنَ مـــــا فِـــــ ـــــيّ, يـــــا ظَلُـــــومُ, ذُنوبـــــا[2]

وقولــه: **وَيْلـــي علـــى الـــرِّيمِ الغريـــ ـــــرِ الشـــــادنِ الأَحْـــوَى الأقَـــبِّ**

تتـــــــرى لـــــــدَيَّ ذنوبُـــــــه ويحـــــلُّ فـــــي عينيـــــه ذنبـــــي[3]

وقولــه: **أَنْحلنـــــي الحـــــبُّ فأصـــــ ـــــبحتُ شبيـــــــه القصبـــــــهْ**

إنَّ الـــــــــــذي أحببتـــــــــــهُ لـــــــه بِجُبِّـــــــي الغلبـــــــهْ[4]

وقوله في لبنى مع ذكر الخمرة:

سُـــقْيا للبنـــى ولا سُـــقيا لعنـــاتِ سقيـــــا لقطرَبُّـــلٍ ذات اللـــــذاذاتِ

وإن فيهـــا بنـــات الكـــرْمِ مـــا تركـــتْ منهـا الليـالي سـوى تلـك الحُشاشـاتِ[5]

وقولــه: **جفـــنُ عَيْنـــي قـــد كـــاد يَسْـــ ـــقطُ مـــن طـــولِ مـــا اختـــلجْ**

وفـــــؤادي مـــــن حَـــــرِّ حُبّـــــ ـــــكِ والهجـــــرِ قـــــد نضـــــجْ[6]

وفـي أخـرى: **وعاشـقَيْنِ التـفَّ خدّاهـما عنـــدَ التثـــامِ الحَجَـــرِ الأســـودِ**

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:24.

[2] **المصدر السابق**. ص:49.

[3] **المصدر السابق**. ص:61.

[4] **المصدر السابق**. ص:63.

[5] **المصدر السابق**. ص:97.

[6] **المصدر السابق**. ص:116.

إلى قوله: **نفعلُ في المسجدِ ما لم يكنْ يفعَلُهُ الأبرارُ في المسجدِ**[1]

ويقول في قصيدة له وقد ذكر الخمرة:

قلْ للمليحة في الخمارِ الأسودِ ماذا فعلْتِ براهبٍ مُتعبِّدِ

قد كان شمّر للصلاة إزارَهُ حتّى وقفت له بباب المسجدِ

والخمرُ شاغلةٌ إذا ما عوقرتْ يابن الزبيرِ عن الندى والسُّؤْدَدِ[2]

وقوله: **حسْبي جوىً إن ضاقَ بي أمري ذكري لرَحْمٍ وهْي لا تدري**

لم يعرفوا حقَّ الهوى فَلَحَوْا لو جَرَّبوهُ تبينوا عُذْري[3]

وقوله: **إذا أنت لم يدعُ الهوى فتجيبه ولم تأته طوعًا خرجتَ بلا وطرْ**[4]

ومن قصيدة غزلية خمرية بدأها بالغزل وأنهاها بالخمرة:

ونابهٍ في الهوى لنا ناسِ قطّع لي بالهجرانِ أنفاسي

يطعمني لحظُها ويؤنسني باللفظ منها فؤادُها القاسي

وقوله: **ثم تحسّتْ حتّى إذا شربتْ نصفًا كما قيس ليس بمقياسِ**

نازعتُها الكأسَ فيه فضلتُها ففزتُ بالكأسِ بعد إمراسِ

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:164.

[2] **المصدر السابق**. ص:191.

[3] **المصدر السابق**. ص:238.

[4] **المصدر السابق**. ص:253.

فكـــادت الـــنفس للســـرور بهـــا تخـــرجُ بـــينَ المُـــدامِ والكـــاسِ[1]

وقوله في أخرى من مقطوعاته:

إن اســـم حُسْـــنٍ لوجههـــا صـــفةٌ ولا أرى ذا فـــي غيرهـــا اجتمعَـــا

فهْـــي إذا سُميـــتْ فقـــد وُصفـــتْ فَيَجْمَـــعُ اللفـــظُ معنيَـــيْنِ معَـــا[2]

وقوله في أخرى ممزوجة بذكر الخمرة:

ومجلـــسٍ مـــا لـــه شـــبيهٌ حـــلّ بـــه الحســـنُ الجمـــالُ

نأخـــذُ صـــهباءَ بنـــت كـــرْمٍ عـــذراءَ لـــم تُؤْوهـــا الحجـــالُ[3]

وقولـه: **اكتبـي إنْ كتبـتِ يـا منيـة النفـ ـــسِ بنصـــحٍ ورِقّـــةٍ وبيـــانِ**

كثّـــري الســـهْوَ فـــي الكتـــاب ومجيـــ ـــهِ بريـــق اللســـانِ لا بالبنـــانِ[4]

وقوله في قصيدة غزلية وصفية قلّ وجود مثيلٍ لها في ديوانه:

وجـــهُ بنـــانٍ كأنـــه قمـــرٌ يلـــوحُ فـــي ليلـــةِ الثلاثـــينِ

والجيـــدُ زيـــنٌ لمَـــنْ تأمَّلـــهُ أشـــبهُ شـــيءٍ بجيـــد تِنِّيـــنِ

وأقـــربُ النـــاسِ فـــي الخطـــا خَفـــرًا خطوتُهـــا مـــن نَسَـــا إلـــى الصـــينِ

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:319،318.

[2] **المصدر السابق**. ص:351.

[3] **المصدر السابق**. ص:420.

[4] **المصدر السابق**. ص:543.

ولـــــدْتِ مـــــن أســـــرةٍ مباركـــــةٍ لا عيـــبَ فـــيهمْ مـــن الشـــياطينِ[1]

الفرع الثالث: الغزل الشاذ عند أبي نواس.

أدخل أبو نواس صنفًا آخر من الغزل إلى الأدب العربي لم يكن معروفًا من قبل في الشعر الغزلي العربي، وهو الغزل بالغلمان والغلاميات والتشبيب بهم، فأصبح هذا الصنف صورة جديدة، ومظهرًا جديدًا من مظاهر الحضارة العباسية؛ إذ إن أبا نواس كان مغرمًا بتلك الظواهر فوصفها، وتغزل بهن –الغلاميات– في شعر يلائمهن خفة وسوء أدب؛ وقوفًا عند الزخرف السطحي والأشكال الحسية الخارجية، من غير تغلغل إلى العاطفة الصادقة والجمال الحق؛ أما الغلمان فكان أبو نواس يندفع إلى التغزل بهم واضطرام الشعور وحلاوة الفن والموسيقا، وجمال الصورة بالمقدار الوافر؛ ومن ثم فقد عُدَّ أول مبدعي باب الغزل المذكر عند العرب، وأشهر أعلامه، حيث يقول الشاعر:

فقالـــت: مَـــنْ الطُّـــرَّاق؟ قلنـــا: عصـــابة خفـــافُ الأَداوَى يُبْتغَـــى لهـــم خمـــرُ

ولا بـــد أن يزنـــوا فقالـــت: أو الفِـــدا بِـــأَبْلَجَ كالدينـــارِ فـــي طرفـــهِ فَتْـــرُ

فقلنـــا لهـــا: هاتِيـــهِ مـــا إنْ لِمِثْلِنَـــا فـــديناك بـــالأهْلينَ عـــن مثـــلِ ذا صَـــبْرُ

فبِتنـــا يرانـــا الله شَـــرَّ عِصـــابةٍ نُجَـــرِّرُ أذيـــالَ الفســـوقِ ولا فخـــرُ[2]

هذه الأبيات من ديوانه الخمريات وهي مصنفة في شعر الخمرة عنده، ولكن نجد أنه يجمع بين المجون والغزل الفاضح والشذوذ مما يصعب تحديد الموضوع؛ فهو يطلب الخمرة من صاحبة المحل وهي كبيرة، ثم تعرج عصبته بأن لا بد من أن يزنوا وهو فحش ومعصية، وأكبر من ذلك ردها

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:574.

[2] **المصدر السابق**. ص:203.

بأنه لديها غلامًا، وبدأوا يصفونه وَيَرَوا أنهم أصبحوا شر عصابة تجر أذيال الفسق والفجور؛ إن شعره هذا يجمع المجون والفجور والفسق والتشهير والمجاهرة بالمعصية[1].

لقد تهيّأ أبو نواس أن يكون من أول مبتدعي هذا الباب عند العرب وأشهر أعلامه، إلا أن شهرته في الواقع مخزية؛ لأن أغلب شعره في هذا الموضوع حافل بالشذوذ والخلاعة العارمة، يحمل من وصف المنكرات والعار والمرض الأخلاقي، فغزله هذا لا يخلو من الاستهتار والفحش، يأخذ ظاهرة الميل إلى المذكر التي كانت ظاهرة في ذلك العصر، ويراها بعضهم ظاهرة حضارية مألوفة في الحضارات الإنسانية الكبرى، ولكن بعض النقاد يعزون سبب ميل أبي نواس إلى الغزل بالمذكر؛ إلى الصدّ والبين الذي كان يلقاه من امرأة أحبها كانت تسمى "جنان" وهي جارية لآل "عبد الوهاب الثقفي" أحبها "الحسن بن هانئ" حبًا عنيفًا قويًّا، وكتب فيها أرق أشعاره، لكن "جنان" لم تبادله هذا الشعور، فلم يكن هذا الحب إلا من جانب واحد فحسب، وكانت "جنان" تنكر أشد الإنكار هذه العلاقة، فلم يحظ منها حتّى بعطف الرثاء والإشفاق، وقالت لامرأة تعرضت لها بشيء مما يتحدث به الناس: واضيعتاه؟ لم يبق لي غير أن أحب هذا الكلب، ويقال إن أبا نواس لم يخلص في حبه إلا لها، وكان أبو نواس أول من ابتدع فن الغزل بالمذكر وهو عيب على الأعراب[2]، ويصرح بذلك جهرًا في قوله:

دع الرسمَ الذي دَثَرَا ... يقاسي الرّيحَ والمَطَرَا

أَلَمْ تَرَ ما بنى كِسْرَى ... وسابورٌ لمنْ غَبَرَا

مَنَازهُ بين دِجْلَةَ والْـ ... ـفُرَاتِ تفيّأتْ شَجَرَا

بأرضٍ باعدَ الرَّحمنُ ... عنها الطّلحَ والعُشَرَا

---

[1] آدم، عمر: **صورة المجتمع في العصر العباسي الأول من خلال شعر أبي نواس**. ص:162.

[2] ينظر: العبادي، عبد الحميد: **صور وبحوث من التاريخ الإسلامي**. ط:1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1953م، ص:40.

ولـــــــمْ يجعـــــــلْ مَصَـــــــايِدَهَا يَرابيعًـــــــــــا ولا وَحَـــــــــــرَا

ولكـــــــنْ حـــــــورُ غـــــــزْلانٍ تراعـــــــي بـــــــالْمَلا بقَـــــــرَا[1]

وعمد أبو نواس إلى وصف الغلمان وتغزّل بهم، ووصف إثارتهم وذبول أعينهم وتفنّنهم في صبّ الشراب، وفي الغناء والعزف، فلا بدّ لأبي نواس من سكرين أو أكثر، حيث يقول واصفًا الغلام الساقي:

ومـــــا زالَ يَسْـــــقِينا ويشـــــرَبُ دائبًـــــا إلـــى أن تغَنَّـــى حـــينَ مالـــتْ بـــهِ سُـــكْرَا

فيـــا حُسْـــنَهُ لحنًـــا بَـــدا مـــن لِســـانِهِ ويـــا حســـنَهُ لحظًـــا! ويـــا حســـنه ثغـــرا[2]

أما الغزل بالغلاميات فنرى فيه أن المرأة التي يبحث عنها أبو نواس امرأة مختلفة؛ نموذج متمرد، متقلب، امرأة حرة لا تخضع للتقاليد أو القيم دينية كانت أم أخلاقية، إنها أنثى لم تنضج بعد، فتقترب بصفاتها من الغلام أو تكاد تكون غلامًا، هي المذكرة المؤنثة، التي تبعد عن خشونة الذكورة وقسوتها، وعن مساوئ المرأة وسلبيَّاتها، والتي تغري عاشقها برقتها الأنثوية، وبلباسها الغلامي وإهمالها لزينة النساء، وفيها يقول:

لقـــد صُـــبِّحَتْ بـــالخيرِ عَـــيْنٌ تَصَـــبَّحَتْ بوجهِـــكِ يـــا "معشـــوقُ" فـــي كـــلِّ شـــارقِ

مُقَرْطَقَـــةٌ لـــم يَحْنِـــهَا سَـــحْبُ ذَيْلِهـــا ولا نازعَتْهـــا الـــريحُ فضـــلَ البَنَـــائِقِ

تشـــارِكُ فـــي الصّـــنعِ النســـاءَ وسُـــلِّمَتْ لَهُـــنَّ صُـــنوفُ الحلـــي غيـــر المناطِـــقِ

وَمَطْمومَـــــةً لـــــمْ تَتَّصِـــــلْ بِذُؤابَـــــةٍ ولـــم تَعْتَقِـــدْ بالتَّـــاجِ فـــوق المَفَـــارِقِ

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:285.

[2] **المصدر السابق**. ص:216.

– ابن صالح، هند: **التجديد في الشعر العربي**. ص:71.

غُـــــلَامٌ وإِلّا فَـــــالغُلامُ شَبيهُهَـــــا وَرَيْحَـــــانُ دنْيـــــا لـــــذّةٌ للمُعَانِـــــقِ

تجمّـــع فيهـــا الشـــكْلُ والـــزّيُّ كُلّـــهُ فلـــيس يـــوفِّى وصـــفَها قـــولُ ناطـــقِ[1]

لقد خاطب الشاعر تلك الغلامية بالمعشوق، وخلع عليها من الصفات ما يؤهلها لتشبه الغلام، فهي مقرطقة ترتدي ثيابًا قصيرة، فلا تضطر إلى جرّ ذيلها، وشعرها قصير لم تطل على جوانبه ذوائب، ولم تزين وجهها بالأصباغ تزيينًا كاملًا كما تفعل النساء، إلا أنها بدت ساحرة تستميل النفوس بكل ما لديها من تيه ودلال[2].

وفي موضع آخر نطالع أبا نواس يقول في غلام:

رُبَّ غـــــزالٍ كأنـــــهُ قَمَـــــرٌ لاحَ فجلَّـــى الـــدجونَ فـــي البلـــدِ

ســـألتُهُ الوَصْـــلَ كـــيْ يجـــودَ بـــهِ فَضَـــنَّ عنـــي بـــه ولـــم يَجُـــدِ

فقلـــتُ للظبـــيِ فـــي صُـــعُوبَتِهِ: يـــا طيّـــبَ الريـــقِ طيّـــبَ الجســـدِ

كـــمْ مِـــنْ أخٍ جـــادَ بالوصـــالِ فمـــا أُحْبِـــلَ مـــنْ وَصَـــلْنا ولـــم يلـــدِ!

فقـــــال: هيهـــــاتَ ذا يُرَقّقُنـــــي ولـــــنْ يَـــــرِقَّ الغـــــزالُ للأســـــدِ![3]

من بدهيات شخصية أبي نواس، شذوذه الجنسي الذي قاده إلى ثورة من التمرد على المألوف من العلاقات العاطفية، التي اتجه فيها صوب الغزل بالمذكر؛ فبدأ وصفه في النص بتشبيه الغلام بالقمر إشراقًا وبريقًا أذهب حلكة الظلام بحضوره، ويدور الخطاب في جلّه حول رغبة الشاعر في نوال مبتغاه من هذا الغلام؛ حيث يبدأ الصراع بين المتخاطبين الشاعر والغلام، الذي لا يجيب عن أسئلة

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:380،379.

[2] عودة، آلاء عزام عبد الوهاب: **الانقلاب المعرفي والمواجهة الثقافية في شعر أبي نواس**. أطروحة ماجستير، إشراف: عبد الخالق عيسى. جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2014م، ص:133.

[3] أبو نواس: **ديوانه**. ص:161.

أبي نواس رفضًا وتمنّعًا، ومن أجل كسر حاجز عدم القبول، يعمد الشاعر إلى الطيب من الكلام؛ في وسيلة منه لإخضاع قلب الغلام الذي يزداد قسوة في صدّه، وهذا التناقض الذي قصده الشاعر بين الدلالة المألوفة والدلالة العرضية المتداولة؛ هو ما منحه الحرية لفكّ القيود الاجتماعية المتعارضة مع تناقضات الواقع، فالشاعر يدعوه إلى الوصل كغيره من الغلمان الذين واصلهم أبو نواس، فلا حمل ولا ولادة وراء هذا الوصال؛ في إشارة منه إلى خلو هذا القرب الذي يطلبه من أية مشاكل تعكر صفو راحته، فالمتكلم يعمد إلى غاية تواصلية يهدف إلى تحقيقها عبر شذوذه الجنسي الذي يوجهه في الخطاب، لكن الغلام قابله بالرفض والامتناع، إذ لم يرقّق قلبه الكلام الطيب من لدن الشاعر، أو وسائل الإقناع التي قدمها ملخصًا توصيف تلك العلاقة بالبعد الذي لا يؤمل منه تقارب إطلاقًا، كما في نفور الغزال وهربه من الأسد الذي يطلبه[1].

وإلى التفصيل في ذكر الأشعار التي قالها أبو نواس متغزلًا في غلامياته وغلمانه والساقين والساقيات أقول:

1. الغزل بالغلاميات والسّاقيات:

الغلاميات هن ذاك الجنس البشري الأنثوي الذي لم يصل إلى درجة البلوغ والنضج العقلي, فالواحدة منهن تعد في عداد الأطفال الذين لم يرتقوا إلى درجة البلوغ الجنسي الكامل أو النضج العقلي الواضح, فكنّ يلبسن ملابس الغلمان, ولا يضعن وسائل الزينة على وجوههن أو لباسهن, وكان الرجال يميلون بشهوتهم إليهن؛ بسبب رقتهن وأنوثتهن، فهنّ أكثر متعة ولذة للرجل من الغلمان. وقد شاع هذا النمط الجنسي في العصر العباسي بكثرة قد تفوق الغزل بالغلمان، والمتعة الجنسية عندهن أكثر مما وجد عند الغلمان.

---

[1] الإبراهيمي، كرار عبد الإله عبد الكاظم: **المفارقة في شعر أبي نواس**. رسالة ماجستير، إشراف: عامر صلال راهي الحسناوي. جامعة المثنى، العراق، 2017م، ص:133.

ونجد أبا نواس لم يقصر في مدح الغلاميات والتغزل بهن في شعره. ومع ذلك إذا ما قورن بغزله بالمذكر أو بالغلمان نجد العدد ضئيلًا جدًا فقد ذكر النواسي قد ذكر الغلاميات والساقيات في نحو ثمانية وعشرين موضعًا, في معظمها ذكر معهن الخمرة، وغالبًا ما ينطبق على الغلاميات ينطبق على كثير من الساقيات، ويبدو أن الرقم مع الغلمان والغزل بالمذكر يفوق ذلك كثيرًا، وهو ما سنتعرف عليه لاحقًا.

يقول أبو نواس في قصيدة له في وصف غلامية بعد أن وصف الخمرة:

دعْ عنك لَوْمي فإن اللومَ إغراءُ ... وداوني بالتي كانت هي الداءُ

صفراءُ لا تنزلُ الأحزانُ ساحَتَها ... لو مسّها حجرٌ مسته سرّاءُ

من كفِّ ذاتِ حِرٍّ في زيٍّ ذي ذكرٍ ... لها مُحِبَّان لوطيٌّ وَزَنَّاءُ

قامتْ بإبريقها، والليل معتكرٌ ... فلاحَ من وَجْهها في البيت لألاءُ[1]

ويقول أبو نواس في ساقية جمع بينها وبين الخمرة:

واشربْ سلافًا كعين الديك صافيةً ... من كفِّ ساقيةٍ كالريمِ حوراءُ[2]

وقوله في ساقية أخرى:

قد سقتني والصبحُ قد فتّقَ الليـ ... ـلَ بكأسَيْنِ ظبيةٌ حَوْراءُ

عن بنانٍ كأنّها قضبُ الفضـ ... ـةِ قنى أطرافَها الحِنَّاءُ[3]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:7.

[2] **المصدر السابق**. ص:9.

[3] **المصدر السابق**. ص:18.

وقولـه: **مـن كـفِّ سـاقيةٍ، ناهيـك سـاقيةً فـي حُسْـنِ قـدٍّ, وفـي ظـرْفٍ وفـي أدبِ**

إلـى قولـه: **تّمّـتْ فلـمْ يَـرَ إنسـانٌ لهـا شـبهًا فـيمن بـرى الله مـن عَجْـمٍ ومـن عـربِ**[1]

وبعد مقدمة خمرية يصل أبو نواس إلى الغلاميات فيقول:

عـــــذبني حـــــب غلاميـــــاتِ ذواتِ أصـــــــــداغٍ معقربـــــــــاتِ

مقوَّمـــــاتِ القـــــدِّ مهضـــــوماتِ يمشـــينَ فـــي قمـــصٍ مـــزَرَّراتِ

يصـــــــلحن للّاطَـــــــةِ والزُّنَـــــاةِ أكْنـــــي بوصـــــفهنّ عـــــن مـــــولاتِ

تلـــك التـــي فـــي يـــدها حيـــاتي[2]

وقال في غلامية أخرى وقد أشرك الخمرة في مغامرته:

غلاميـــــةٌ فـــــي زيّهـــــا, برمكيـــــةٌ مزوقـــةُ الأصـــداغ, مطمومـــة الشَّـــعرِ

كلفـتُ بمـا أبصـرتُ مـن حسـنِ وجههـا زمانًـا ومـا حـبُّ الكواعـب مِـن أمـري

فقلـــتُ لهـــا: أهـــلًا! ودارتْ كؤوســـنا بمشـمولةٍ كـالوَرْسِ أو شُـعَلِ الجمـرِ[3]

وبعد مقدمة خمرية طويلة ينتهي أبو نواس إلى محطته الأخيرة في وصف الجارية الغلامية فيقول:

معتقـــــةٌ كمـــــا أوفـــــى لنـــــوحٍ ســـوى خمســـين عامًـــا ألـــفُ عـــامِ

وخـــذْ مـــن كـــفِّ جاريـــةٍ وصـــيفٍ رخـــيمِ الـــدّلِّ ملثـــوغِ الكـــلامِ

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:36،37.

[2] **المصدر السابق**. ص:97.

[3] **المصدر السابق**. ص:239.

لهـــا شـــكلُ الإنـــاثِ وبـــينَ بـــينٍ تـــرى فيهـــا تكاريـــهَ الغـــلامِ[1]

وفـي أخـرى: **علـى شـطِّ الشَّـامِ وسـاكنيهِ: ســـلام مُسَـــلِّمٍ لقـــيَ الحِمامَـــا**

مـــــذكرةٌ مؤنثـــــةٌ، مهـــــاةٌ، إذا بـــــرَزَتْ تشـــبهُها غُلامَـــا[2]

ويقـول: **وشـاطرةٍ تتيـهُ بحسـنِ وجـهٍ كضَـوْءِ البـرقِ فـي جـنحِ الظـلامِ**

رأت زِيَّ الغـــلامِ أتـــمَّ حســـنًا وأدنـــى للفســـوقِ والأثـــامِ

فمـــا زالـــت تصـــرِّف فيـــه حتّـــى حكثْـــهُ فـــي الفعـــالِ وفـــي الكـــلامِ

إلى قوله على لسانها:

أنـا ابـن الخمـرِ مـا لـي عـن غِـذاها إلـــى وقـــتِ المنيـــةِ مـــن فطـــامِ[3]

ومع ساقية أخرى يقول:

تســـعى بهـــا حـــوراءُ فـــي طرْفهـــا ضَـــحْكٌ وفـــي المَضْـــحَكِ تَقْيـــينُ

مـــا النـــاسُ إلا رجـــلٌ فاتـــكٌ أو رجـــلٌ وقّـــرهُ ديـــنُ[4]

وفي غلامية أخرى يقول:

أضـــحكني الحـــبُّ وأبكـــاني وهـــاج شـــوقي طـــول كتمـــاني

مـــن حـــب حـــوراءَ رُصـــافيةٍ كأنهـــا غصـــنٌ مـــن البـــانِ

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:480-482.

[2] **المصدر السابق**. ص:484،483.

[3] **المصدر السابق**. ص:491.

[4] **المصدر السابق**. ص:535.

مخروطـــــةُ الكُمَّـــــينِ قصـــــريةٌ جنيـــــةٌ فـــــي خلْـــــقِ إنســـــانِ

مطمومـــــةُ الشـــــعرِ غلاميـــــةٌ تصـــــلح للـــــوطيّ والـــــزانِ[1]

2. الغزل بالغلمان والساقين (الغزل بالمذكر) (الغزل بالمؤنث)*:

لعل غزل أبي نواس بالمذكر, غزل لم تعرفه العربُ في جاهليتها أو في صدر إسلامها, ولكنه بدأ يظهر مع دخول كثير من الموالي العجم بلاد العرب, فمنهم من حسن إسلامه وأصبح من المسلمين له ما لهم, وعليه ما عليهم، ومنهم من لم يدخل الإيمان في قلوبهم, وبقى يظهر الإسلام نفاقًا وتَقِيَّةً, حتّى إذا ما حانت فرصته للنيل من العرب والغض من شأنهم؛ انقض عليهم بلسانه وسيفه، انقضاض الحاقد الذي عزّ عليه انتصار المسلمين والقضاء على دولتي فارس والروم؛ فلذا أراد أن يثأر من العرب المسلمين بأي وسيلة؛ للنيل منهم والثأر لنار الفرس وحقد المجوس المتأجج في قلبه وعقله, أو الثأر لصليبية الروم؛ حتّى يعيد مجد الصليب إلى ديار العرب والمسلمين.

ولعل من الوسائل التي لجأ إليها مثل هؤلاء هي النيل من العرب المسلمين والإقلال من شأنهم, كما فعل بشار بن برد وأبو نواس وغيرهما كثير.

ولهذا فإنّ أبا نواس يلجأ إلى سلوك متهتك مهين, وهو التغزل بالمذكر سلوكًا وقولًا؛ حتّى يعمل على القضاء على هيبة العرب المسلمين بزعمه، وكما يتراءى له، وما علم أنه يهين نفسه ويفضحها ويحط من شأنها على مر السنين والدهور. وغزله المذكر هذا مع الغلمان والسّقاة طبقه عمليًا على نفسه وأشاعه بين الناس, في حانات الخمور والأماكن المناسبة لذلك, ولهذا فإني أجد أبا نواس، قد

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:547.

* **المخنث:** هو الغلام المذكر المتشبه بالنساء, ويقابله الغلامية, وهي المتشبهة من النساء بالغلمان (أو بالرجال)، وكلاهما بهدف خدعة الرجال لِأن يميلوا إلى أحد الطرفين جنسيًا بهدف اللذة.

تحدث عن غزله هذا في نحو مئتي قصيدة أو مقطوعة أو موضع من قصيدة, وقد ذكر الخمرة مع هذا النوع من الغزل في نحو (ثلث) هذا العدد أو يزيد على ذلك.

ومن الأمثلة على ذلك قول أبي نواس في غزله المذكر ممزوجًا بالخمرة:

بـــين المُـــدام وبـــين المـــاء شـــحناءُ تنقـــدّ غيظًـــا إذا مـــا مسّـــها المـــاءُ

مـــن كـــف ذي غـــنجٍ حلـــوٌ شـــمائلُهُ كأنـــــه عنـــــد رأي العيـــــنِ عـــــذراءُ[1]

ومن قصيدة خمرية أشاع فيها الغزل بالمذكر قوله:

يســـعى بهـــا خَنِـــثٌ، فـــي خُلُقِـــهِ دَمَـــثٌ يســـتأثرُ العـــينَ فـــي مُسْـــتَدْرَجِ الرّائـــي[2]

وفي أخرى تشبهها قوله:

ومُهَفْهَـــــفٍ نبهتُـــــهُ, لمّـــــا هـــــدا وتَغلّقـــــــتْ عينـــــــاه بالإغفـــــــاءِ

وشـــــكا إلـــــيّ لســـــانُهُ مـــــن سُـــــكْرِهِ بِـــــــتَلَجْلُجٍ كـــــــتلجلُجِ الفأفـــــــاءِ[3]

وفي أخرى: **يسعى بها من وُلْدِ يافِثَ أحورٌ كقضـــيبِ بـــانٍ فـــوقَ دِعْـــصٍ نقـــاءِ**

وفتـــىً كـــأطْوَعِ مـــنْ رأيـــتَ إذا انتشـــى غنّـــــى بحســـــنِ لباقـــــةٍ وحيـــــاءِ[4]

وفي قصيدة خمرية أخرى يتغزل فيها أبو نواس بالساقي فيقول:

وســـاقٍ غريـــرِ الطـــرْفِ والـــدلِّ فـــاتنٍ ربيـــبِ مُلـــوكٍ, كـــان والـــدهم كســـرى

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:13.

[2] **المصدر السابق**. ص:15.

[3] **المصدر السابق**. ص:16.

[4] **المصدر السابق**. ص:17.

حثثنـــا مغنينـــا علـــى شـــربِ كأســـهِ فتدركـــهُ كـــأسٌ وفـــي كفّـــهِ أخـــرى

فأمســـك مـــا فـــي كفـــه بشـــماله وأومـــا إلـــى الســـاقي ليســـقيَ بـــاليمنى[1]

ويقول في قصيدة طللية خمرية شعوبية فيها زندقة وغزل بالمذكر:

تمـــدُّ بهـــا إليـــكَ يـــدا غـــلامٍ أغـــنَّ, كأنـــه رشـــأٌ ربيـــبُ

يكـــادُ مـــن الـــدَّلالِ إذا تثنّـــى عليـــك ومـــن تســـاقُطِه يـــذوبُ[2]

وفي أخرى: **يدور بها ساقٍ أغنُّ ترى لـهُ علـــى مســـتدار الأذنِ صُـــدْغًا مُعَقْرَبـــا**

ســـقاهم ومنّـــاني بعينيـــه منيـــةً فكانـــت إلـــى قلبـــي ألـــذَّ وأطيبـــا[3]

وفي أخرى:**يسعى عليهم بالكأس ذو نُطَفٍ أحـــذاه ظبـــيُ الصـــريمةِ اللببـــا**

مـــن قهـــوةٍ مُـــزَّةٍ مُشعشـــعةٍ تـــرى لهـــا عنـــد مزجهـــا حَبَبَـــا[4]

وفي قصيدة حوارية خمرية وصفية يتغزل فيها بالساقي:

يشـــمُّ النـــدامى الـــوَرْدَ مـــن وجناتِـــهِ فلـــيس بـــه غيـــرُ الملاحَـــةِ طيـــبُ

فمـــا زال يســـقينا بكـــأسٍ مُجِـــدَّةٍ تُوَلِّـــي وأخـــرى بعـــد ذاك تـــؤوبُ

وغنّـــى لنـــا صـــوتًا بلحـــنٍ مُرَجَّـــعٍ "ســـرى البـــرقُ غربيًـــا فحـــنَّ غريـــبُ"[5]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:26.

[2] **المصدر السابق**. ص:32،33.

[3] **المصدر السابق**. ص:34.

[4] **المصدر السابق**. ص:35.

[5] **المصدر السابق**. ص:40.

وفي أخرى: **يا حُسْنَهَا من بنانِ ذي خَنَثٍ تدعـــوك أجفانُـــهُ إلـــى الرَّيـــبِ**

صـــيحةُ ســـاقٍ بحـــابِسٍ قـــدحًا وصـــبرُ مُسْـــتكْرِهٍ لمُنْتَحِـــبِ

حـــلَّ مـــع وجهِـــهِ الجمـــالُ كمـــا حـــلّ يزيـــدٌ معـــاليَ الرّتـــبِ[1]

وقولـــه: **وزائـــرٍ زارَ بُعَيْـــدَ الكـــرى ذكّـــر قلبـــي كنـــه أطرابـــهِ**

أقبـــل يســـعى فـــي الـــدجى مقـــبلًا كالبـــدرِ يمشـــي بـــين أترابـــهِ[2]

وقوله دون ذكر الخمرة:

بُلِيـــتُ بشـــادنٍ أحـــوى ربيـــبٍ بعيـــد فـــي مودَّتـــهِ قريـــبِ[3]

ومن غزله بالمذكر يقول دون ذكر للخمرة:

أرســـلَ مـــنْ أهـــوى رســـولًا لـــه إلـــيَّ والمنســـوب محبـــوبُ

فقلـــت: أهـــلًا بـــك مـــن مُرْسَـــلٍ ومـــن حبيـــبٍ زانـــه الطيـــبُ[4]

وقوله في غزله المذكر دون ذكر الخمرة:

ومـــا زاده عنـــدي قبـــيح فَعالـــهِ ولا الســـبُّ والإعـــراض إلا تَحبُّبَـــا[5]

وفي خمرية أخرى يصل أبو نواس إلى غلامه الخنث فيقول:

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:41.

[2] **المصدر السابق**. ص:45.

[3] **المصدر السابق**. ص:46.

[4] **المصدر السابق**. ص:50.

[5] **المصدر السابق**. ص:54.

أروعُ, محمـــــــــودةٌ خلائقُـــــــــهُ يبـــذلُ فـــي الخمـــرِ أفضـــلَ الـــثمنِ

قـــمْ يـــا خليلـــي إلـــى المـــدام لكـــيْ تطـــرُدَ عنـــا عســـاكرَ الحَـــزَنِ[1]

وفي قصيدة خمرية وصفية يصف الخمرة وساقيها فيقول:

ومُزَنَّـــرٍ قـــد صـــبّ فـــي قـــارورةٍ ريـــقَ الســـحابِ علـــى النجيـــع القـــاني

شـــمسُ المـــدامِ بكفِّـــهِ وبوجهِـــهِ شـــمسُ الجمـــالِ, فبيننـــا شمســـانِ[2]

وفي طللية خمرية مخنثةٍ يقول:

مِـــنْ بيـــتِ خمّـــارةٍ تـــروحُ بِهـــا إليـــكَ مثـــل العـــرُوس مـــن وَطَـــنِ

مـــنْ كـــفِّ ظبْـــيٍ أغـــنَّ ذي غَـــنَجٍ أُبْـــدِعَ فيـــهِ طرائـــف الحُسَـــنِ

يَسْـــعَى بصـــفراءَ كالعقيقـــةِ فـــي الْـــ ـــكَأْسِ عليهـــا الوشـــاحُ مـــن مُـــزَنِ[3]

وفي خمرية أخرى غزلية بالمخنث يقول:

صـــفراءُ كرخيّـــةٌ, حمـــراءُ إذْ مُزِجَـــتْ كأنهـــا وَجِـــلٌ يعلـــوه لونـــانِ

يســـعى بهـــا خَنِـــثٌ فـــي زيّ جاريـــةٍ مطيـــبٌ صـــدغُهُ فـــي طيّـــبِ البـــانِ[4]

وفي مقطوعة أخرى يتغزل بمذكره ولا يذكر خمرته فيقول:

ومُعَقْـــرَبِ الصَّـــدْغَيْنِ فـــي لحظاتـــهِ ســـحرٌ, وفيـــه تظـــرُّفٌ ومجـــونُ

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:530.

[2] **المصدر السابق**. ص:532.

[3] **المصدر السابق**. ص:534،533.

[4] **المصدر السابق**. ص:536.

أبصـــارُنا تجنـــي محاســـنَ وجهـــهِ ففـــؤاد كـــلّ فتـــىً بـــه مفتـــونُ[1]

وقوله في أخرى دون ذكر للخمرة:

لـــمْ أزلْ أخلـــع فـــي الحـــبِّ الرسَـــنْ وفـــؤادي عنـــد ظبـــيٍ مُـــرْتَهَنْ[2]

وقوله في خمرية يتغزل بالمذكر على شكل مقطوعة شعرية:

مـــا مـــرَّ يـــومٌ ولـــيس عنـــدي مـــن طُـــرَفِ اللهْـــوِ خصلتـــانِ

كـــأسُ رحيـــقٍ, ووجـــه ظبْـــيٍ تضـــلُّ فـــي حسنـــهِ المعـــاني[3]

وفي قصيدة طللية خمرية يتغزل فيها أبو نواس بمخنثه فيقول:

يـــا أَلْبَـــقَ النـــاسِ كَفًّـــا حـــين يمزُجُهـــا وحـــين يشـــربُها صِـــرْفًا, ويســـقيها

فـــي مقلتيـــكَ صـــفاتُ الســـحرِ ناطقـــةٌ بـــاللفظ واحـــدةٌ شـــتّى معانيهـــا

إذا نظـــرتُ إليـــه تـــاهَ عـــن نظـــري فـــإن تزيَّـــدْتُ دلًّا زادنـــي تيهـــا[4]

وقوله في شادن أحبه: **وشادنٍ تَسْحَرُ عيناهُ أســـــفلُهُ يجـــــذِبُ أعـــــلاهُ**

ينظـــرُ مـــولاهُ إلـــى وجهـــهِ يـــا ليتنـــي عـــينٌ لمـــولاهُ

أَعَرْتُـــهُ روحـــي وقلبـــي؛ فقـــد عييـــتُ ممـــا أتقاضـــاهُ[5]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:550.

[2] **المصدر السابق**. ص:551.

[3] **المصدر السابق**. ص:553.

[4] **المصدر السابق**. ص:588،589.

[5] **المصدر السابق**. ص:596.

3. الغزل بالخمرة:

كان أبو نواس من أوائل الشعراء الذين خصوا الخمرة بوقفات مطولة، يصفون صناعتها ولونها وشكلها وأوانيها وساكبها وأثرها في شاربها، وكل ما تعلق بها من قريب أو بعيد، ومن ذلك قوله:

قُطْرَبُّـــلٌ مربعـــي، ولـــي بقـــرى الـــ ـــــكَرْخِ مَصِـــيفٌ، وأمـــي العنـــبُ

ترضـــــعني دَرَّهَـــــا، وتَلْحَفُنـــــي بظِلِّهـــــا، والهجيـــــرُ يلتهـــــبُ[1]

وقد ظهر اهتمام الشاعر في خمرياته بوصف الساقي وقد أكثر من التشبيه؛ فهو ظبي أو غصن بان أو بدر، وغالبًا ما قرن بين الخمرة والساقي في تشبيه واحد حيث يقول:

عاطِينهـــا كمـــا وَصَـــفْتَ خليلـــي مـــن يَـــدَيْ شـــادِنٍ رخـــيمِ الكَـــلامِ

علَّـــمَ السِّـــحْرُ مُقْلَتَيْـــهِ احـــوِرارًا شِيـــبَ تَفْتِيـــرُهُ بِلَـــوْنِ المُـــدامِ

وجْهُـــهُ البـــدرُ والمدامـــةُ بَـــدْرٌ يـــا لبَـــدْرَيْنِ رُكِّبَـــا فـــي نِظَـــامِ[2]

ويمكن القول: إن أبا نواس كان يأتي في تشبيهاته بعناصر من الطبيعة تمتاز بجمالها وحسنها من ناحية؛ لإبراز العنصر الجمالي المتوافر في محبوبيْه، الخمرة أو ساقيه، الذي وجد فيه ما يعوّض به عن أشياء أخرى، فالنفس البشرية تألف الطبيعة وتجد الراحة فيها، فقد اختار من الطبيعة المشبه به، ولكنه يمتاز بعلوه مرة، وضيائه مرة، ولمعانه مرة ثالثة؛ وكأن الشاعر هنا يحاول أن يزيل تلك

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:30.

– قدور، سكينة: **محاضرات في أدب العصر العباسي**. (د.ط)، المطبوعات البيداغوجية لكلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2013م، ص:23.

[2] أبو نواس: **ديوانه**. ص:480.

النظرة التي لحقت بالخمرة، ولهذا اختار الشمس والقمر والضياء والنور واللؤلؤ والياقوت؛ ليدفع بالقارئ للتعلق بها، كما يتعلق نظره في السماء بما أبدع الله –عز وجل– فيها من صنعه[1].

وكان أبو نواس كذلك شرّيبًا، بل إنه كان يعبد الخمرة ويقدّسها تقديسًا، ويدمن شربها فيشربها إذا أمسى، ويشربها إذا أصبح، وربما يعكف عليها ليله ويومه، وربما عكف عليها الأسبوع كله، وهو القائل في ذلك:

يـا خاطِـبَ القهـوَةِ الصَّـهباءِ يَمْهُرُهَـا بالرَّطْـلِ يأخـذُ منهـا مِـلْأَهُ ذَهَبَـا

قَصّـرْتَ بـالرّاحِ فاحـذَرْ أن تُسـمِّعها فَيَحْلِـفَ الكَـرْمُ ألا يحمـلَ العِنَبَـا

إنـي بَـذَلْتُ لهـا لَمَّـا بَصُـرْتُ بهـا صـاعًا مـن الـدُّرِّ والياقـوتِ مـا ثُقِبَـا

فاسْتَوْحَشَـتْ وبكـتْ فـي الـدنِّ قائلـةً: يـا أُمَّ وَيْحَـكِ! أَخْشَـى النـارَ واللهَبـا

إلـى قولـه: **يـا قهـوةً حُرِّمَـتْ إلا علـى رَجُـلٍ أَثْـرَى فَـأَتْلَفَ فيهـا المـالَ والنَّشَـبا**[2]

وفي تشبيه آخر يعتمد أبو نواس امتزاج الألوان واختلاطها، حيث يقول في وصف ساقي الخمرة:

مِـنْ كَـفِّ ظبـيٍ أَغَـنَّ ذي غَـنَجٍ أُكْمِـلَ مِـنْ قَرْنِـهِ إلـى القَـدَمِ

أَغْيَـدُ مُرْتَجَّـةٌ رَوَادِفُـهُ مُحْـتَلِمٌ أَوْ دُوَيْـنَ مُحْـتَلِمِ

كـأنّ خَدَّيْـهِ فـي بياضِـهِما قـد أُشْـرِبَتْ وجنتاهُمَـا بِـدَمِ

كـأنّ صُـدْغَيْهِ فـي سـوادِهِما خُطَّـا علـى العارِضَـيْنِ بـالقَلَمِ

---

[1] الحجاجرة، سعاد يوسف محمد: **خمريات أبي نواس ومسلم بن الوليد؛ دراسة أسلوبية**. أطروحة ماجستير، إشراف: حسام الدين التميمي. جامعة الخليل، 2012م، ص:208.

[2] أبو نواس: **ديوانه**. ص:38.

كأنـــــــــــــهُ دُرَّةٌ مُحَبَّـــــــــــــرَةٌ علَّقَهـــــا راهـــــبٌ علـــــى صَـــــنَمِ[1]

فبياض خد الساقي علامة جمال، ولكن جماله ازداد حسنًا بمزجه بحمرة الدم التي تزينت بها الخدود، ثم يأتي الأسود ليزيد الوجه بهجة، ولكن أبا نواس يبدو ممعنًا في التصوير؛ حتّى يظن القارئ أنه يرى الساقي أمامه مباشرة وقد خطّ شعره بالقلم الأسود؛ أي إنه رسم رسمًا على خدّيه وهذا يدل على مدى اهتمام هذا الساقي بحسن مظهره وهندامه، ومدى إعجاب الشاعر به، ومن شدة إعجابه به شبهه بالدرة المليئةِ بالألوانِ، التي علّقها الراهبُ على صدرهِ؛ دلالةً على منزلتِهِ في نفس الشاعر[2].

وللخمرةِ وقعٌ خاصٌّ في نفسهِ، فكان أكثر عشقًا للخمرة، حتّى ملأ الدنيا بأغاني الخمرة، وأحس بأمومة الكرمة؛ فهي ترضعه وتظلله بأوراقها فتقيه لهب الهجير:

قُطْرَبُّـــلٌ مَرْبَعِـــي ولـــي بِقُـــرَى الـــ ـــــكَرْخِ مَصِـــــيفٌ وأُمّـــــيَ العِنَـــــبُ

تُرْضِـــــــعُنِي دَرَّهَـــــا وَتَلْحَفُنِـــــــي بِظِلِّهَـــــا والهجيـــــــرُ يلتهـــــــبُ

فقمـــتُ أَحبـــو إلـــى الرّضـــاعِ كمـــا تحامَـــلَ الـــطفلُ مَسَّـــهُ سَـــغَبُ[3]

فكان أبو نواس مصورًا مجيدًا للخمرة في نوعها ومجلسها وأثرها في شاربها، وكأن القصيدة الخمرية عنده قصة لها شخوصها وزمنها ومكانها، في حوارية جميلة تجذب المتلقي إلى سماعها[4].

ومن تشبيهات أبي نواس المتوغلة في الخيال، قوله:

جُنِنْـــتُ علـــى عـــذراءَ غيـــرِ قَوِيَّـــةٍ شـــديدةِ بطـــشٍ فـــي الزجـــاجِ شَـــموسِ

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:475.

[2] الحجاجرة، سعاد: **خمريات أبي نواس ومسلم بن الوليد؛ دراسة أسلوبية**. ص:207.

[3] أبو نواس: **ديوانه**. ص:30.

[4] الخلايلة، محمد خليل: **قراءة في قصيدة أبي نواس التي مطلعها: "وفتية كمصابيح الدجى غرر"**. مجلة دراسات، مج:34، ع:3، 2007م، ص:504.

تــرى كأسَــها عنــدَ المِــزَاجِ كأنّهــا نثــرْتَ عليهــا حَلْــيَ رأسِ عــرُوسِ

فَتَهْتِــكُ أســتارَ الضّــميرِ مــن الحَشَــا وتُبْــدي مــن الأســرَارِ كــلّ حَبيــسِ[1]

فالخمرة عنده أصبحت عروسًا يشتاق إليها كل من أحبها، ولكن الشعر يزيد لوعة المشتاق إليها، حين يصوّر ما اعتلاها من حباب ناتج عن المزج بالماء، يشبهه بزينة العروس المنشورة على رأسها، وهذه المعطيات عنصر جذب للقارئ والشارب معًا؛ فهي تشدهم إليها، لتتمكن من الإيقاع بهم، وكشف أسرارهم، وهتك خباياهم، فالسحر الذي طغى على صورتها جعلها قادرة على أخذ ما تريد من شاربها، فصارت هي الفاعلة وغيرها المفعول بهم.

ويعمد أبو نواس إلى التشبيه البليغ مزيلًا كل الفواصل الفارقة بين المشبه والمشبه به، وهذا دليل على قوة العلاقة بينهما وكأنهما شيء واحد لا فارق بينهما ومن ذلك قوله:

لا تُعَــــرّجْ بـــــدارِسِ الأطـــــلالِ واســــــقِنيها رقيقـــــةَ السّـــــربالِ

مـــــاتَ أربابُهَـــا وبـــادتْ قُراهـــا وبراهـــا الزّمـــانُ بَـــرْيَ الخـــلالِ

فَهْـــيَ بِكْـــرٌ كأنهـــا كـــلُّ شَـــيْءٍ حَسَـــنٍ طَيّـــبٍ لذيـــذٍ زُلالِ[2]

وقولـه: **لا تبـكِ ليلـى ولا تطـربْ إلـى هنـدِ واشـربْ علـى الـوردِ مـن حمـراءَ كـالوَرْدِ**

كأسًـا إذا انحـدَرَتْ فـي حلـقِ شـاربِها أَجْدَتْـهُ حُمْرَتَهـا فـي العـينِ والخـدِّ

فـالخمرُ ياقوتـةٌ والكـأسُ لُؤلُـؤةٌ مـن كـفِّ جاريـةٍ ممشـوقةِ القـدِّ[3]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:307.

[2] **المصدر السابق**. ص:418،417.

[3] **المصدر السابق**. ص:150.

فخمرته هي فتاته البكر التي لم يلمسها أحد، ولم يدنسها أحد، كما صور الكأس التي حوت الخمرة باللؤلؤة دليل الطهارة، وكأن أبا نواس يبحث في قاموسه اللغوي عن كل ما يعلي شأن خمرته، ويجعلها مقدمة، سواء أكانت مشعّةً قوية، أم طاهرة نقية[1].

وقولـه: **واشـربْ سُـلافًا كعـينِ الـديكِ صـافيةً مـــنْ كَـــفِّ ســـاقيةٍ كـــالرّيمِ حـــوراءِ**

صـــفراءُ مـــا تُركـــتْ، زرقـــاءُ إن مُزِجَـــتْ تســـمو بحظَّـــيْنِ مـــن حُسْـــنٍ ولَأْلاءِ[2]

وحين يشرب الخمرة من الكأس يحسّ بأنه يقبّل حبيبته التي يزهر وجهها كالنجم أو البدر:

فَجَوَّزَهَـــا عَنّـــي عُقَـــارا تَـــرَى لَهـــا إلـــى الشَّـــرَفِ الأعْلـــى شُـــعاعًا مُطَنَّبَـــا

إذا عَـــبَّ فيهـــا شـــاربُ القـــومِ خِلْتَـــهُ يُقَبِّـــلُ فـــي داجٍ مـــن الليـــلِ كَوْكَبَـــا[3]

ويصوّر أبو نواس كذلك الخمرة امرأة لها كل صفاتها، فهي الأنثى التي شبع منها أبو نواس وارتوى؛ فيصورها مرة فتاة بكرًا، وأخرى عروسًا، وأخرى عجوز، حيث يقول:

تلـكَ التـي لـو خَلَـتْ مـن عَـيْنِ قَيّمِهـا لـم أَقْـضِ منهـا ولا مِـنْ حبّهـا أَرَبِـي[4]

وقولـــه: **رَضـــعتْ والـــدّهرَ ثَـــدْيًا وتَلَثْـــــهُ فـــــي الـــــوِلادِ**[5]

وقولـه: **ولا تَسْـقياني بِنْـتَ عَشْـرٍ فإنَّهـا كمـا عُصِـرَتْ لـم يـنسَ فِرْقَتَهَـا الكَـرْمُ**

---

[1] الحجاجرة، سعاد: **خمريات أبي نواس ومسلم بن الوليد؛ دراسة أسلوبية**. ص:205.

[2] أبو نواس: **ديوانه**. ص:9.

[3] أبو نواس، الحسن بن هاني: **ديوانه؛ الخمريات**. (د.ط)، مكتبة الهلال، 2008م، ص:44.

[4] أبو نواس: **ديوانه**. ص:37.

[5] **المصدر السابق**. ص:152.

ولكـــنْ عجـــوزًا بنـــت كِسْـــرَى قديمـــةً معتَّقَـــةً قـــد دَبَّ فـــي طَيّهـــا الحِلْـــمُ[1]

فأبو نواس كان يشعر في نفسه شيئًا لم يكن في نفوس غيره؛ لذا أخذ يسعى لتحقيق نوع من المتعة العقلية التي تجلت في عدد كبير من صوره الشعرية التي نسجها لتعبر عن رغبته تلك[2]، لقد صارت الخمرة عنده نورًا وخلودًا وروحًا وفكرًا يقول:

يـــا شـــقيق الـــنفس مِـــنْ حَكَـــمٍ نمْـــتَ عـــن ليلـــي ولـــمْ أَنَـــمِ

فاســـقني الخمـــرَ التـــي اختمـــرتْ بخمـــارِ الشـــيبِ فـــي الـــرّحِمِ[3]

ويقـول: **نَفْـتَضُّ بِكْـرًا عجـوزًا زانَهَـا كِبَـرٌ فـــي زِيّ جاريـــةٍ فـــي اللهـــو مِلحـــاحِ**[4]

هنا نلاحظ كيف يطرح الشاعر معنى جديدًا، فالخمرة لا تخضع للزمن، تكون جنينًا وعذراء وعجوزًا في الوقت ذاته؛ فهي تختمر بخمار الشيب في الرحم، وهي قديمة قدم الدهر، معتّقة وصبيّة حلوة المذاق، في اليوم الذي تفتح وتشرب به[5].

وأوجز تغزل أبي نواس بالخمرة بالآتي:

لقد أصبحت الخمرة عند أبي نواس شغله الشاغل, ملأت عليه قلبه وعقله وحياته؛ حتّى صار لا يفكر إلا بها, ولا يسرّ في مجلس ليست موجودة فيه, حتّى وصل به الأمر أنه استبدلها بالنساء, لدرجة أنه أخذ يتغزل بها, ويخطبها من صاحبها؛ وكأنها فتاة يريد الزواج منها, وقد تكرر هذا الأمر مرات عديدة في شعره، وفي ذلك كان يصورها بأجمل الصور, وأحلى التشبيهات وأغزل الكلمات:

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:467.

[2] الحجاجرة، سعاد: **خمريات أبي نواس ومسلم بن الوليد؛ دراسة أسلوبية**. ص:195.

[3] أبو نواس: **ديوانه**. ص:461.

– أبو نواس: **ديوانه؛ الخمريات**. ص:329.

[4] أبو نواس: **ديوانه**. ص:130.

[5] معلوف، فادي: **إضاءة على تجليات الحداثة في الأدب العباسي؛ أبو نواس وأبو تمام نموذجًا**. ص:5.

من ذلك ما قاله أبو نواس يمدح الخمرة:

اثْـــنِ علـــى الخمـــرِ بآلائِهـــا وسَـــمِّها أحســـنَ أســـمائِها[1]

وبعدها يعلن خطبتها من صاحبها الخمار فيقول:

وقلـت: "إنـي نحـوتُ الخمـرَ أخطِبُهـا.." قـال: "الـدراهم!.. هـل للمهـر إبطـاءُ"

لمّـا تبـين أنـي غيـرُ ذي بخـلٍ ولـيس لـي شـغلٌ عنهـا وإبطـاءُ

أتـى بهـا قهـوةً كالمسـك صـافيةً كدمعـةٍ منحتْهـا الخـدَّ مرْهـاءُ[2]

ثم يصورها بفتاة حسناء عذراء تتأثر بمن يقترب منها أو يلمسها؛ فيقول:

قـد قلـتُ، حـين تشـوفَتْ فـي كأسِـها وتضـايقتْ كتضـايق العـذراءِ

لا بـدّ مـن عـضِ المراشـفِ؛ فاسْـكني وتشـبُّكِ الأحشـاءِ بالأحشـاءِ[3]

ودائمًا ما يعلن أبو نواس حبه لفتاته (الخمرة) وعشقه وشوقه لها فيقول:

ولـدتُ فـي حبِّـك يـا منيتـي بطـالعٍ لـيس بمعطـاءِ[4]

وعند مزجها تعلن مَنْ تهوى:

فتـزدادُ عنـدَ المـزجِ طيبًـا كأنهـا إشـارةُ مـن تهـوى إلـى كـل مـا تهـوى[5]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:8.

[2] **المصدر السابق**. ص:14.

[3] **المصدر السابق**. ص:16.

[4] **المصدر السابق**. ص:17.

[5] **المصدر السابق**. ص:26.

ومن قوله في خِطبةِ الفتاة (الخمرة) من صاحبها تاجر الخمرة:

خطبنـــا إلـــى الـــدهقانِ بعـــضَ بناتِـــهِ فزوَّجَنـــا مِـــنْهنّ فـــي خـــدره الكبـــرى

ومـــا زالَ يُغْلِـــي مَهْرَهـــا ويزيـــدهُ إلـــى أن بلغْنـــا منـــهُ غايتـــه القُصـــوى[1]

وهي عنده كالفتاة التي لها خصرها وحركاتها:

ثـــم توجـــأتُ خصـــرَها بِشَـــبا الـــ إشْـــفَى، فجـــاءت كأنهـــا لهـــبُ[2]

ثم يأتي أبو نواس بمن يخطبها مرةً أخرى، فيقول:

يـــا خاطـــب القهـــوة الصـــهباء يمهُرُهـــا بالرّطْـــلِ يأخـــذُ منهـــا مِـــلْأَهُ ذهَبَـــا

قالـــت "فمـــن خـــاطبي هـــذا؟" فقلـــت "أنـــا" قالـــت "فبعلـــي؟" قلـــتُ "المـــاءُ إن عـــذبا"

قالـــت "لقـــاحي" فقلـــت "الـــثلجُ أُبـــردهُ" قالـــت "فبيتـــي، فمـــا أستحســـن الخشـــبا"

قلـــــت "القنـــــانيّ والأقـــــداح ولّـــــدَها فرعـــونُ" قالـــت "لقـــد هيجـــت لـــي طربـــا"[3]

ويستمر الحوار في سرد الشاعر القصصي لهذه الخطبة مع فتاته (الخمرة) على نحوٍ يلفت نظر المتلقي إلى هذا الأسلوب الحواري القصصي.

وقولـه في أخرى: **عدّ عن رسْمٍ وعن كُثُبِ والْـــــهُ عنـــــه بابنـــــةِ العنـــــبِ**

بـــــالتي إن جئـــــتُ أخطِبُهـــــا حُلِّيَـــــتْ حَلْيًـــــا مـــــن الذهـــــبِ[4]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:25.

[2] **المصدر السابق**. ص:31.

[3] **المصدر السابق**. ص:38.

[4] **المصدر السابق**. ص:44.

وعن خِطبةٍ أخرى يقول:

نـــادمتهُم قرقـــفَ الإســـفَنْطِ صـــافيةً مشـــمولةً سُـــبيتْ مـــن خمـــر تكريـــتِ

مـــن اللـــواتي خطبناهـــا علـــى عجـــلٍ لمـــا عَجَجْنـــا بربّـــاتِ الحوانيـــتِ[1]

وكأن الشاعر في الشطر الأول من البيت الثاني؛ يومئ إلى مجموعة من المخطوبات الّواتي اعتاد أبو نواس خطبتهن على عجلٍ وبسرعة.

ويشير أبو نواس في قصيدة أخرى إلى بنات كسرى (الخمرة المصنوعة ببلاد فارس), وإلى الخاطب الذي سيتقدم لخِطبتها فيقول:

بنـــاتُ كســـرى خيـــر مـــا بنـــاتِ جُلِـــبْنَ مـــن هِيـــتٍ ومـــن عانـــاتِ

مُحْتجَبَـــــاتٍ غيـــــرَ باديـــــاتِ إلّا بـــــأن يُجْلَـــــبْنَ بالطاســـــاتِ

للخاطـــــب المبتكِـــــرِ المـــــواتي فسَـــــمّها بالشـــــيخ لا الفتـــــاةِ[2]

ثم هي الأميرة التي ينزع نحوها الخاطبون، فيقول:

ثـــم اصـــطبح مـــن أميـــرةٍ حُجِبـــتْ عـــن كـــل عيـــنٍ بالصـــونِ والرّضـــدِ

لـــم يرَهَـــا خاطِـــبٌ فَيُمْنعَهـــا ولا دعـــاه لهـــا أخـــو فنـــدِ[3]

ومن وصفه الخمري للخمرة وتشبيهها بالعروس قوله:

معتقـــةٌ، حمـــراءُ، وَقْـــدَتُها جَمْـــرُ ونكهتُهـــا مســـكٌ، وطلعتُهـــا تِبْـــرُ

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:93.

[2] **المصدر السابق**. ص:96.

[3] **المصدر السابق**. ص:159.

وقولـه: **فقـال عـروسٌ كـان كسـرى ربيبَهـا، معتقــةٌ، مــن دونهــا البــابُ الســترُ**

وقولـه: **فلمّـا تـوجّى خصـرَها فـاح ريحُهـا فقلـت: أذا عِطـرٌ؟ فقـال: هـو العطـرُ**[1]

وقولـه: **فقلـت: فمـاذا مهرُهـا؟ قـال: مهرُهـا إليــك، فســقنا نحــوه خمســةً صُــفْرا**[2]

وقولـه: **عـروسُ خِدْرٍ مـن اليـاقوت نشـربُها تكــنّ تحــت ســماها بــدر أقمــارِ**[3]

وقولــه: **فــأتى خاطــبٌ ملــيحٌ إليهــا ذو وشــــاحٍ مــــؤزرٌ بــــإزار**

نقــد المهــرَ ثــم زُفَّــت إليــهِ فــي ســراويلِها وفــي الزّنّــارِ[4]

ثم يشبه الخمرة بالعجوز الشمطاء في قوله:

قولـه: **فــي بيــت كــافرة بــالخمر تــاجرةٍ شمطــاء شــاطرةٍ تعتــز بــالوالي**[5]

وقولـه: **ولكـن عجـوزًا بنـت كسـرى قديمـةً معتقــة قــد دبَّ فــي طيهــا الحِلْــمُ**[6]

وقولــه: **إذا بكــافرة شــمطاء قــد بــرزت فــــي زي مختشــــع لله زمِّيــــتِ**[7]

وقولـه: **شـمطاء تـذكر آدمًـا مـع شـيثه وتخبّــر الأخبــار عــن حــوراء**[8]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:210.

[2] **المصدر السابق**. ص:215.

[3] **المصدر السابق**. ص:220.

[4] **المصدر السابق**. ص:224.

[5] **المصدر السابق**. ص:428.

[6] **المصدر السابق**. ص:467.

[7] **المصدر السابق**. ص:93.

[8] **المصدر السابق**. ص:16.

وقولـه: **رأت نوحًـا وقـد شـمطت وشـابتْ وقـــد شـــهدَتْ قرونًـــا قبـــل نـــوحِ**[1]

المطلب الثاني: المدح.

أبدع أبو نواس كذلك في فن المدح إبداعه في فن الخمريات؛ وربما لجأ أبو نواس إلى فن المدح للتكسب من الخلفاء والأمراء، وقد اتجه إلى شعر المدح واتصل ببلاط الخلافة؛ ليستعين بما يناله من عطايا وجوائز على الاستمتاع بالحياة إلى أقصى درجات الاستمتاع[2].

فلقد مدح أبو نواس من الخلفاء هارون الرشيد وابنه الأمين، ومن الوزراء الفضل بن الربيع، وابنيه العباس ومحمد، كما مدح العباس بن عبيد الله، وأمير مصر الخصيب وغيرهم، وهو في مدائحه ينتهج الأسلوب التقليدي غالبًا، وإن كان يشذّ في بعض قصائده ليفتتحها بمقدمات خمرية أو غزلية لا سيما في مدائحه لخصيب مصر، فمن مدائحه في هارون الرشيد[3]، قوله:

تبـــارك مـــن ســـاس الأمـــور بعلمـــه وفضّـــل هارونًـــا علـــى الخُلَفَـــاءِ

نعـيش بخيـر مـا انطوينـا علـى التُّقَـى ومـــا ســـاس دنيانـــا أبـــو الأمنـــاءِ

إمـــام يخـــاف الله حتّـــى كأنـــه يؤمـــل رؤيـــاه صـــباحَ مســـاءِ[4]

فأبو نواس في مدحه يجري على السنن التقليدية التي جرى عليها القدماء من الجاهليين وغيرهم، فهو فيها قد يبدؤها بالنسيب ويمتطي النياق، ثم يذكر صفات الممدوح التي يتناولها الشعراء في العادة، لكنه ربما يجدد في صوره ومعانيه الشعرية وألفاظه، كما أن هناك ملاحظة ثانية على

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:132.

[2] الخشمان، محمد: **شعوبية أبي نواس**. ع:35، الهامش:2، مجلة أفكار، الأردن، 1977م، ص:87.

[3] الشمري، حنان: **القيم الإسلامية في شعر أبي نواس**. ص:75.

[4] أبو نواس: **ديوانه**. ص:20.

مدحه؛ وهي أنه كان يقوله ليتكسب به من الخلفاء والأمراء والوجهاء والكبار؛ ليستفيد من الأعطيات في إمتاع نفسه في الحياة الدنيا وملذاتها.

وأوجز مدح أبي نواس وأثر الخمرة في مدحه في الآتي:

لقد مدح أبو نواس الخلفاء العباسيين والبرامكة وغيرهم، ولكن ركز في مدحه على بعض خلفاء بني العباس أكثر من غيرهم، وقد وقع المدح عنده في نحو (58) قصيدة، وكان أبو نواس إذا مدح – وخاصة الخلفاء– نظم قصيدته على نظام القصيدة الرسمية النموذج وذلك في أغلب الأحيان، وقلما يخرج أبو نواس فيها عن نمط القصيدة العربية، وتأدُّبًا مع ممدوحه كان يتجنب ذكر الخمرة في شعره هذا، ومع ذلك فقد وقع في ذكر الخمرة في نحو تسع قصائد مدحية فقط. وسأتحدث عن هذا الموضوع وفق محورين:

المحور الأول: من قصائده المدحية التي خلت من الخمرة، قوله:

ركز مدحه للخلفاء العباسيين، وخاصة للخليفة الأمين، ومن ذلك قوله:

قـــل للأمـــين جـــزاك الله صـــالحةً لا تجمـعِ الـدَّهر بـين السـخل والـذيبِ[1]

وقوله: **لقد قام خير الناس من بعد خيرهم فلـــيس علـــى الأيـــام والـــدهر مَعْتَـــبُ**

فأضـــحى أميـــرُ المـــؤمنين محمـــدٌ ومـــا بعـــده للطَّالـــبِ الخيـــرِ مَطْلَـــبُ

لـــك الطينـــةُ البيضـــاءُ مـــن آل هاشـــمٍ وأنـــت وإن طـــابوا أعـــف وأطيـــبُ[2]

فالشاعر جعل الخليفة الأمين خير الناس وأكرمهم وأطيبهم وأعفهم، ومن قوله في مدح الأمين:

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:72.

[2] **المصدر السابق**. ص:72.

يـــا أمـــين الإلـــه يكلـــؤكَ اللَّـــــه مقيمًـــا وظاعنًـــا حيـــث ســـرتا

يـــا شـــبيه المهـــديّ جـــودًا وبـــذلًا وشـــبيه المنصـــور هـــدْيًا وســـمتا[1]

وقد جعل أبو نواس ممدوحه الأمين يشبه المهدي جودًا وعطاء، ويشبه المنصور هديًا وصفة، وذلك بعد أن دعا الله أن يحفظه ويحميه حيثما حلّ أو سار.

وقوله في مدح الحسين مذكرًا بفضله ومرتبته ومكانته:

تلقـــى المراتـــب للحســـين ذليلـــةً وإذا ســـــواه يرومُهـــــا تَتَعَصَّـــــبُ

أعطيـــتَ أثمـــانَ المحامـــدِ أهلَهـــا وكســـبتَ صـــفوَتَها ونعـــم المكســـبُ

إن الإمـــــام إذا اجتبـــــاك بســـــرّهِ لمســـــدَّدٌ فيمـــا أتـــى ومصـــوّبُ[2]

ومن مدحه للربيع بن يونس حاجب المنصور:

كمـــا الربيـــع كفـــى أيـــام نكبـــتِهم صـــدْعَ الأمـــورِ وأَدْنـــى وُدَّ مـــن نَزَحَـــا[3]

والأمين إمام هدى وعدل وكرم في قوله:

إمـــام هـــدىً عـــمّ الأنـــامَ بعـــد لـــهِ وجار على الأموالِ فـــي الحكمِ واعتدى[4]

وقوله في صورة مدحية جميلة:

صـــببتُ علـــى الأميـــرِ ثيـــابَ مـــدحي فكـــلٌ قـــال: أحســـنَ! واســـتجادا

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:109.

[2] **المصدر السابق**. ص:76.

[3] **المصدر السابق**. ص:142.

[4] **المصدر السابق**. ص:178.

ولـــولا فضـــلُهُ مـــا جـــاد شِـــعْري ولا ملـــك الثنـــا منـــي القيـــادا[1]

وقوله يمدح الفضل بن يحيى البرمكي:

تـــرى النـــاس أفواجًـــا إلـــى بـــاب داره كـــأنهم رَجْـــلا دَبـــىً وجـــرادِ

أظلّـــت عطايـــاه نـــزارًا، وأشـــرفتْ علـــى حِمْيَـــرٍ فـــي دارِهـــا ومـــرادِ

أَمـــامَ خمـــيسٍ أُرجـــوانٍ كأنـــه قمـــيصٌ محـــوكٌ مـــن قَنـــا وجِيـــادِ

ســـلام علـــى الـــدنيا إذا مـــا فُقِـــدتُم بنـــي برمـــكٍ مـــن رائحـــين وغـــادِ

بفضـل بـن يحيـى أشـرقت سُـبُلُ الهـدى وأَمَّـــن ربـــي خـــوفَ كـــلِّ بـــلادِ[2]

فأبو نواس هنا يمدح الفضل بن يحيى بفضيلتين، قلّما تخلو منهما قصائد المدح للخلفاء والأمراء؛ فهو الجواد الكريم الّذي وصلت خصال جوده إلى قبائل العرب كنزار وحمير ومراد، وهو الشجاع البطل في ميدان المعركة، بحيث إن وقف أمام جيش لتحول إلى اللون الأرجواني الأحمر من كثرة الدماء والقتل الذي يحدث له، حتّى إن قميصه من شدة احمراره ظهر وكأنه مصنوع من الرماح والخيول الملطخة بالدماء؛ وهذه الصورة تنبئ عن اشتداد المعركة وكثرة القتلى ودور الفضل في ذلك.

ومن مدحه لهارون الرشيد قوله:

هـــارونُ، يـــا خيـــرَ الخلائـــفِ كلهـــمْ ممـــن مضـــى فـــيهم وهـــذا الغـــابرُ

تتحاســـدُ الآفـــاق وَجهْـــكَ بينهـــا فكـــأنهنّ بحيـــث كنـــت ضـــرائرُ[3]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:180،179.

[2] **المصدر السابق**. ص:182،181.

[3] **المصدر السابق**. ص:257.

ففي البيت الثاني نجد صورة جميلة تتنافس فيها الآفاق من طرف، ووجه الخليفة في الطرف المقابل، وكأنهما ضرائر تتنافس فيما بينها في الجمال وحسن المنظَر. ومما قاله في الفضل كذلك:

يـــا فضـــل جـــاوزتَ المـــدى فَجَلَلْـــتَ عـــن شـــبهِ النظيـــرِ

أنـــت المعظَّـــمُ والمُكَـــرَّ فـــي العيـــونِ وفـــي الصـــدورِ

وإذا العيـــــون تأمّلَتْـــــكَ صـــدرْنَ عـــن طـــرفٍ حســـيرِ[1]

وله قصائد كثيرة في مدح الفضل بن الربيع وأخيه ووالده، وأحيانًا يجمع بين الفضل والخليفة الأمين بقوله:

لعمـــرك مـــا غـــاب الأمـــين محمـــدٌ عـــن الأمـــرِ يَعْنيـــهِ، إذا شـــهد الفضـــلُ[2]

<u>المحور الثاني: القصائد المدحية التي ذكرت فيها الخمرة:</u>

أجده يقدم لقصيدته المدحية في العباس الهاشمي أبياتًا في الخمرة فيقول:

واســـــقني حتّـــــى ترانـــــي حســـــنًا عنـــــدي القبـــــيحُ

قهـــــوةٌ تـــــذكُرُ نوحًـــــا حـــــين شـــــادَ الفُلْـــــكَ نـــــوحُ

ثم يقول فيها عن العباس ممدوحه:

أنـــا فـــي دنيـــا مـــن العبّـــ ـــــاسِ أغـــــدو وأروحُ

هاشـــــــميّ عبـــــــدَليّ عنـــــده يغلـــــو المـــــديحُ

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:273.

[2] **المصدر السابق**. ص:445.

عَلَـــــمُ الجـــــودِ كتـــــابٌ بـــــينَ عينيـــــهِ يلـــــوحُ[1]

وفي قصيدة أخرى يقدم فيها أيضًا ذكر الخمرة، ثم يمدح العباس، ومن ذلك قوله:

شـــمولٍ، إذا شُـــجَّتْ تقـــول عقيقـــةٌ تَنـــافسَ فيهـــا السّـــوْمُ بـــين تِجَـــارِ

حلفـــتُ يمينًـــا بـــرةً لا يشـــوبُها فجَـــارٌ ومـــا دهـــري يمـــين فجـــارِ

وقولـه: **لقـد قَـوَّمَ العبّـاسُ للنـاسِ حَجَّهُـم وســـــاسَ برهبانيـــــةٍ ووقـــــارِ**

وأطعـــمَ حتّـــى مـــا بمكـــةَ آكِـــلٌ وأعطـــى عطايـــا لـــم تكـــنْ بِضِـــمارِ[2]

وفي قصيدة أخرى يقدم أبو نواس لمدحيته بذكر الخمرة كذلك فيقول:

يـــا مِنَّـــةً امْتنّهـــا السُّـــكرُ مـــا ينقضـــي منـــي لـــك الشـــكرُ

فـــي مجلـــسٍ ضـــحكَ الســـرورُ بـــه عـــن ناجذَيْـــه وحلّـــتِ الخمـــرُ

إلـى قولـه: **أنـت الخصـيب، وهـذه مصـرُ فَتَـــــدَفَّقَا فكلاكمـــــا بحـــــرُ**

النيـــلُ يـــنعشُ مـــاؤهُ مصـــرًا ونـــداكَ يـــنعشُ أهلَـــهُ الغمْـــرُ[3]

وكذلك الأمر في قصيدته التي يقول فيها:

أمـــــا وصـــــدودِ مخْمـــــورٍ بِعَيْنَيْـــــهِ عـــــن الكـــــاسِ

فلمّـــــا خشـــــيَ الإلْحـــــا حَ مـــــن صـــــحبٍ وجُـــــلَّاسِ

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:141.

[2] **المصدر السابق**. ص:263.

[3] **المصدر السابق**. ص:275،274.

وألّا يقبلـــــــــوا عـــــــــذرًا تحسّـــــــاها مـــــــع الحاسِـــــــي

إلـــى قولـــه: **لـــــدى الجـــودِ ولكنـــــ ـــــــك عبَّـــاسٌ لـــــدى البـــــاسِ**

وبالفضـــــــلِ لـــــــكَ الفضـــــــلُ أبـــــا الفضـــــلِ علـــــى النـــــاسِ[1]

وفي قصيدته "حيّ الديار وأهلها" يقول في مطلعها وقبل أن يصل إلى ممدوحه:

حـــــيّ الـــــديارَ وأهلَهـــــا أهـــــلًا واربـــــعْ وقـــــلْ لمفنّـــــدٍ مهـــــلًا

حـــبُّ المُدامـــةِ مـــذ لهجـــتُ بهـــا لـــم يُبْـــقِ لـــي فـــي غيرِهـــا فضـــلًا

وقولـــه: **إنـــي نَـــدَبْتُ لحـــاجتي رجـــلًا صـــافي الســـماحةِ واحتـــوى النُّـــبْلا**

تلقـــى النـــدى فـــي غيـــره عَرَضًـــا وتـــراه فيـــه طبيعـــةً أصـــلا[2]

ومن قصيدته "يا أمين الله" يتوسط أبو نواس مدحته بذكر الخمرة فيقول:

فاســـقني كأسًـــا علـــى عَـــذَلٍ كرهَـــتْ مســـموعُهُ أُذُنـــي

ومـــن كُمَيْـــتِ اللـــون صـــافيةٍ خيـــرِ مـــا سَلْسَـــلْتَ فـــي بـــدَنِ

ثم يخلص إلى ممدوحه فيقول:

يـــا أمـــينَ اللهِ عـــشْ أبـــدًا فـــإذا أَفْنَيْتَنَـــا فَكُـــنِ

كيـــف تســـخوا الـــنفسُ عنـــكَ وقـــدْ قمـــتَ بالغـــالي مـــن الـــثمنِ

سَـــنَّ للنـــاسِ النـــدى فنـــدَوْا فكـــأن البخـــلَ لـــمْ يكـــنِ[1]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:325.

[2] **المصدر السابق**. ص:447،446.

وفي قصيدته "أنا في ذمة الخصيب" يتوسطها بذكر الخمرة فيقول:

واعتمالي الكؤوسَ في الشَّرْبِ تسعى مُتْرَعاتٍ كخالصِ الزَّعْفرانِ

إلى قوله: **أنا في ذمةِ الخصيبِ مقيمٌ حيث لا تعتدي صُرُوف الزمانِ**

كيف أخشى عليَّ غُولَ الليالي ومكاني من الخصيبِ مكاني

كل يوم عليّ منه سماءٌ ثَرّةٌ تستهلّ بالعِقْيانِ[2]

ومن قصيدته "إلى أبي الفضل عباس" أجد الشاعر يذكر في مطلعها الدمن وبقايا الديار ثم يذكر الخمرة قبل مدحه لأبي الفضل عباس فيقول:

لأعطِفَنَّ على الصهباء عن دِمَنٍ لم يَبْقَ من عَهْدِها إلّا أَثافيها

موصوفةٍ بفنونِ الطّيبِ طالَ لها عمرٌ، فلمْ تَعْدُ أنْ رقَّتْ حواشيها

ترى نظائرَها يخضَعْنَ هَيْبَتَها فقد ثملتُ لما أَجْلَلْنَها تِيها

ثم قوله: **إلى أبي الفضلِ عباسٍ وليس إلى هذا ولا ذا دعتْ نفسي دواعيها**

إن السحابَ لتستحيي إذا نَظَرَتْ إلى نداه فقاسَتْهُ بما فيها

وطءُ الربيعِ ووطءُ الفضلِ ما افتَرَشَا من المكارم إذا شادا معاليها

بنى الربيعُ له والفضلُ فاحتشدا غاياتِ مُلْكٍ رفعياتٍ لبانيها[3]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:563.

[2] **المصدر السابق**. ص:570.

[3] **المصدر السابق**. ص:598،599.

من خلال ما تم عرضه هنا؛ أجد أن أبا نواس قد وضع الخمرة في أبيات تقدم بها على الممدوح؛ وكأنه جاء بها كتوطئة لممدوحه، بل وجعل منها أيقونة يضعها بين يدي أبياته الشعرية التي يتحدث بها عن ممدوحه أو يصفه من خلالها، ولولا أن هذه الأبيات الخمرية في قصائد الشاعر المدحية لا تتجاوز نسبتها (7%), لقلنا إن هذه تشكل ظاهرة تستحق الوقوف عليها ودراستها دراسةً إحصائية وموضوعية وفنية.

المطلب الثالث: الهجاء.

هو فن شعري يقابل المدح، وقد ورد الهجاء في شعر أبي نواس حتّى وصل إلى نحو (25) قصيدة وموضعًا، ولم أسجل حضورَ الخمرة في هجاء أبي نواس إلا في قصيدة واحدة، ومع ذلك سأبدأ بهجاء أبي نواس الذي خلا من الخمرة، ومن ذلك قوله هاجيًا لبعض القبائل:

واهـــج نـــزارًا وافـــرِ جِلـــدَتها وهَتِّـــكِ السِّـــتْرَ عـــن مثالبِهـــا

أمـــا تمـــيم فغيـــر داحِضَـــةٍ ومـــا شَلْشَـــلَ العبـــدُ فـــي شـــواربها

وقـــيس عـــيلان لا أريـــد لهـــا مـــن المخـــازي ســـوى مَحاربِهـــا

ولـــم تَعَـــفْ كَلْبَهـــا بنـــو أســـدٍ عبيـــدَ عيْرانَـــةٍ وراكبَهـــا

وأجد الشاعر هنا يسجل هجاء لاذعًا لهذه القبائل، بعد أن مدح قحطان وحمير وقريش، إذ قال في قحطان:

فـــافخر بقحطـــانَ غيـــر مكتَئِـــبٍ فحـــاتم الجـــودِ مـــن مناقِبِـــها

ولا تـــرى فارسًـــا كفارسِـــها إذْ زالـــتِ الهـــامُ عـــن مناكِبهـــا[1]

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:74،75.

ومن ذلك قوله هاجيًا "الهيثم بن عدي" أحد المجالسين لبعض خلفاء بني عباس:

الحمـــد لله هـــذا أعجـــب العجـــبِ الهيـثم بـن عـديٍّ صـار فـي العَـربِ

يـــا هيـــثمُ بـــن عـــديٍّ لســـتَ للعَـــرَبِ ولســـت مـــن طيِّـــئٍ إلا علـــى شـــغبِ

إذا نســـبتَ عـــديًا فـــي بنـــي ثُعَـــلٍ فقـدّمِ الـدال قبـل العـين فـي النسـبِ[1]

وهو يعني في البيت الثالث؛ أن اسم (عدي) عندما نقدم الدال فيه قبل العين يصبح اسمه (دعي)؛ وكأنه يريد أن يصفه بأنه دعي لا وضوح في نسبه وهي صفة ذميمة عند العرب.

ومن هجائه للخصيب يقول في قصيدته "خبز الخصيب":

خبـــزُ الخصيـــبِ مُعَلَّـــقٌ بالكوكـــبِ يحمـــى بكـــل مُثَقـــفٍ ومُشَـــطبِ

جعـل الطعـامَ علـى السّـغاب مُحَرّمًـا قوتًـا، وحلّلـه لمـن لـم يسـغبِ[2]

وقوله في رغيف بخيل آخر:

رغيـــف ســـعيدٍ عنـــده عِـــدْلُ نفســـه يقلّبُـــهُ طـــورًا وطـــورًا يلاعبُـــهْ

ويخرجـــه مـــن كمِّـــهِ فيشـــمّهُ ويجلســـه فـــي حجـــرِهِ ويخاطبُـــهْ[3]

وقوله في الخصيب أيضًا:

نَفَـــسُ الخصـــيبِ جميـــعُه كِـــذْبُ وحديثـــــه لجليـــــسه كـــــربُ

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:78،79.

[2] **المصدر السابق**. ص:79.

[3] **المصدر السابق**. ص:80.

تبكـــي الثيـــاب عليـــه مُعْوِلَـــةً أن قـــد يجُـــرّ ذيولهـــا كلـــبُ[1]

ومن هجائه في الخصيب قوله: (وذلك بعد أن رأينا مدحه له في قصائد المدح)

أميـــرَ المـــؤمنينَ وأنـــتْ عَفْـــوٌ ومـــا لـــك فـــي الخلائـــق مـــن ضريـــبِ

عـــــلامَ وأنـــــت ذو حـــــزمٍ ورأيٍ تُصَـــيِّرُ أمـــرَ مصـــرَ إلـــى الخصـــيبِ

فتـــــى مـــــا دان للـــــرحمن دينًـــــا ومـــــا إن زال يســـــجد للصـــــليبِ[2]

وقوله في آخر: **لـي صاحبٌ أثقلُ من أُحْدِ قرينُـــهُ مـــا عـــاشَ فـــي جَهْـــدِ**

لـــو دخـــل النـــارَ طفـــى حرّهـــا فمـــات مَـــنْ فيهـــا مـــن البـــردِ[3]

وقولـه فـي آخـر: **بمـا أهجـوك؟ لا أدري! لســـــاني فيـــــكَ لا يجـــــري**

إذا فكـــــرتُ فـــــي عرضِـــــ ـــــكَ أشـــفقتُ علـــى شـــعري[4]

ومن هجائه لحمدان: **فرحمـةُ اللهِ علـى آدمٍ رحمـــةَ مـــن عـــمَّ ومـــن خصّصَـــا**

لـــو كـــان يـــدري أنـــه خـــارجٌ مثلـــكَ فـــي أبنائـــه لاختصـــى[5]

ومن قصيدة له بعنوان "بلوغ المجد بالهجاء" يقول:

مـــن كـــان لـــو لـــم أهجـــه غالبًـــا قـــام بـــه شـــعري مقـــام الشـــرفْ

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:80.

[2] **المصدر السابق**. ص:82.

[3] **المصدر السابق**. ص:186.

[4] **المصدر السابق**. ص:289.

[5] **المصدر السابق**. ص:338.

غالـــــبُ! لا تَسْـــــعَ لنيـــــلِ العـــــلا بلغـــــت مجـــــدًا بهجـــــائي فقـــــفْ

وكـــــــان مجهـــــــولًا ولكننـــــــــي نوهـــــتُ بـــــالمجهولِ حتّـــــى عُـــــرِفْ

ولســـــت أحتـــــاج إلـــــى حمـــــده فـــــي ذا ولكـــن فـــي أخينـــا صـــلفْ[1]

والشاعر هنا يحاول أن يرسم صورة لدى المتلقي، على أن هجاءه يرفع مكانة المغمور أو المجهول من الناس؛ فهذه الأبيات وإن كان بها هجاء لشخص، وحطٌّ من قيمته ومنزلته، فهي في الوقت نفسه فخر للشاعر بنفسه، وبأن شعره رغم أنه في الهجاء فهو يرفع مكانة من لا مكانة له؛ وهذا فخر للشاعر بقوة شعره الهجائي، فكيف إذا كان شعره مدحًا أو وصفًا أو غير ذلك.

ومن هجائه للرقاشي: **قل للرّقاشي إذا جئتَهُ لـــو مُـــتُّ يـــا أحمـــقُ لـــمْ أهجُكَـــا**

لأننـــــــي أُكـــــــرمُ عِرْضـــــــي ولا أقرنُـــــهُ يومًـــــا إلـــــى عِرْضِـــــكا

إن تهجُنـــــي تهـــــجُ فتـــــى ماجـــــدًا لا يرفـــــع الطـــــرفَ إلـــــى مثلِكَـــــا[2]

وفي هجائه للعباس يقول:

لعمـــركَ مـــا العبـــاسُ مِـــنْ وَلَـــدِ الفضـــلِ فَيُرْجَـــى لفضـــلٍ أو يُعـــينُ علـــى بـــذْلِ[3]

ومن هجائه للفضل يقول:

هجـــوتُ الفضـــلَ دهـــري وهـــو عنـــدي رَقاشـــــيٌ كمـــــا زعـــــمَ المَسُـــــولُ[4]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:367.

[2] **المصدر السابق**. ص:405.

[3] **المصدر السابق**. ص:451.

[4] **المصدر السابق**. ص:452.

ومن شعره يهجو الفضل من جهة، ويفتخر بشعره من جهة أخرى:

فـــإن أُمْـــسِ لا تخشـــى لســـيفي فتكـــةٌ فـــلا تـــأمننْ يـــا فضـــلُ فتـــكَ لســـاني

وإنـــــي لأرجـــــو أن أراك كجعفـــــرٍ ونصـــفاك فـــوقَ الجســـرِ يُقْتسَـــمانِ[1]

وفي الفضل يكرر هجاءه ويفخر بشعره:

أصـــــبح فضـــــلٌ ظـــــاهرَ التيـــــهِ وذاك مـــــــذْ صِـــــــرْتُ أُهاجيـــــــهِ

كـــم بـــين فضـــلٍ منـــذ هاجيتُـــهُ وبينـــــــه قبـــــل أن أهاجيـــــــهِ[2]

أما ما أورده الشاعر أبو نواس من هجائه، الذي ضمَّنه أبياتًا عن الخمرة، فقد ورد في قصيدة واحدة (مقطوعة) والتي قال فيها:

كيـــف أصـــبحتَ لا عـــدمتَ صـــباحا صـــالحًا يـــا محمـــد بـــن قـــريشِ

نحـــن فـــي حـــانِ تـــاجرٍ عنـــدنا اللهـــ ـــــؤُ بِجِلْـــم لـــم نمتزجـــه بطيـــشِ

فأتنـــــا الآن تصـــــطح معنـــــا لا مِـــتُّ حتّـــى أراكَ قائـــدَ جـــيشِ

أصـــبح البخـــل منـــك يـــا أحســـنَ ا لأمـــة يحكـــي ســـماحة ابـــن حبـــيشِ[3]

فالشاعر، في مقطوعته الهجائية هذه، قرن الهجاء بالخمرة؛ من باب ذكرها الدائم عنده لها، وبأنه باب للكشف عن كرم مهجوه؛ فهل يستطيع هذا المهجو أن يتصف بصفة الكرم ويتخلى عن البخل، ويسقيهم خمرًا على حسابه.

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:572.

[2] **المصدر السابق**. ص:600.

[3] **المصدر السابق**. ص:335.

إن هذا الغرض الشعري يظهر لنا أن أبا نواس، قد استطاع أن يتخلى عن حديثه أو وصفه للخمرة في معرض الهجاء بنسبة عالية، وبدرجة مرتفعة.

إن الشاعر لا يكاد يخفي سخطه واشمئزازه من العرب، فراح يبث كرهه وحقده بالسخرية منهم ومن عاداتهم وقيمهم وأسلوب حياتهم، يقول:

أمَـــــا ونجيبـــــةٍ يَهْـــــوي عليهـــــا راكـــــبٌ فَـــــرِدُ

مُظَلَّـــــلُ مِحْجَـــــرِ العَيْنَيْـــــ ـــــنِ جَيـــــبُ قميصِـــــهِ قِـــــدَدُ

إذا مـــــا جـــــاوَزَتْ جَـــــدَدًا فـــــلاحَ لعينـــــهِ جَـــــدَدُ

حَكَـــــــتْ أُمَّ الرّئـــــــالِ إذا رماهـــــا الوابـــــلُ البـــــرِدُ

تـــــؤمُّ بِقَفْـــــرةٍ بَيْضًـــــا لهـــــا فـــــي جوفِـــــهِ ولـــــدُ

وحرمـــــةِ كَـــــفٍّ مُمْتَـــــزِجٍ شَـــــمولًا ضَـــــوْؤها يَقِـــــدُ

فلمَّـــــا أَنْ تَقـــــارَنَ فَـــــوْ قَهـــــا كـــــاللؤلؤ الزَّبَـــــدُ[1]

فالشاعر أخذ على الأعراب عيشهم، وراح يهجوهم في كل مناحي الحياة، فقد كان العربي هو ذلك الآخر، الذي شغل قلب أبي نواس بالحقد فما لبث يهجوه بكل الطرق؛ لتبقى الأنا عند "أبي نواس" في صراع دائم مع الآخر "العربيّ"[2].

وقد ذهب طه حسين إلى تقسيم غرض الهجاء عند أبي نواس إلى ثلاثة أقسام، هي:

1- الهجاء السياسي: وينقسم بدوره إلى قسمين: أحدهما هجاء أبي نواس للعرب عامة، وللنزاريين خاصة، والآخر هجاؤه للذين عاشروه من الأمراء والوزراء، ومن ذلك قوله:

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:172،173.

[2] رواق، نور الهدى: **الأنا والآخر في ديوان أبي نواس**. ص:56.

إذا مـــا تميمـــيّ أتـــاك مفـــاخرًا فقـلْ عـدِّ عـن ذا كيـفَ أكلـكَ للضّـبِّ

تفـــاخرُ أبنـــاءَ الملـــوك ســـفاهةً وبولُـكَ يجـري فـوقَ سـاقِكَ والكعـبِ[1]

2- هجاء العلماء من اللغويين وأصحاب النحو والكلام: ومنه قوله في الهيثم بن عدي:

مـــررتُ بهيـــثم بـــنِ عَـــدِيّ يومًـــا وَقِـــدْمًا كنـــتُ أَمْنَحُـــهُ الصـــفاءَ

فـــأَعْرضَ هيـــثمٌ لَمَّـــا رآنـــي كـــأني قـــدْ هجـــوتُ الأَدْعِيَـــاءَ

وقـــد آليـــتُ أن أَهْجُـــوَ دَعِيًّـــا ولـــوْ بلغـــتْ مروءَتُـــهُ الســـماءَ[2]

3- هجاء الشعراء والندماء: ومنه قوله في أحد بني نوبخت:

علـــى خبـــزِ إســـماعيلَ واقيـــةُ البخـــلِ فقـد حـلَّ فـي دارِ الأمـانِ مـن الأكـلِ[3]

ها قد لاحظنا وذكرنا بعض الفنون الشعرية عند أبي نواس، والتي أبدع فيها أكثر من غيره من الشعراء، بل تفوق على الكثير منهم.

المطلب الرابع: الرثاء.

أبدع أبو نواس في الرثاء، فرثاؤه يحمل عاطفة عميقة نبيلة صادقة الشعور، ففي رثائه "عاطفة عميقة وحزنًا مؤثرًا، يجعلنا نفتقر إلى بعض ما فيها من نقائص، كالتكلف في اللغة والمبالغة المعهودة في الشوق، أما أشعاره الغزلية ففيها من العاطفة والشاعرية الصادقة بقدر ما فيها من الإباحية والتبذل، ونذكر إلى جانب زهدياته أشعاره عن الصيد التي تبدو مبتكرة عند النظرة الأولى"[4].

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:77.

[2] **المصدر السابق**. ص:21،20.

[3] **المصدر السابق**. ص:451.

[4] **أبو نواس... قصيدة العراق إلى العالم**. ص:17.1.

والرثاء غرض شعري كبير، وباب واسع من أبواب الشعر لا بد لأي شاعر أن يجيد العزف على أوتاره الحزينة. وأجد أبا نواس هنا يعزف ألحانه الرثائية في نحو أربع قصائد أو مواضع أو مقطوعات، دون أن يذكر الخمرة في أي منها؛ وكأنه لا يليق بالراثي أن يتحدث عن الخمرة في معرض الرثاء، الذي يتحدث فيه الشاعر عن الأنغام الحزينة والأبيات الرثائية؛ فمثل هذا الغرض لا يليق ولا يناسب الشاعر أن يتحدث فيه عن الخمرة وصفاتها، وما قد تلحقه بنفس شاربها من تبعات، ومع ذلك أجد شعر أبي نواس في الرثاء قليلًا إذا ما قيس بغيره من الأغراض، ومن شعره الرثائي الذي يعزي فيه الخليفة الأمين بفقده لوالده أمير المؤمنين هارون الرشيد، وقد جرت العادة أن يذكر الراثي فضائل المرثي، وميزات الخليفة الجديد، مع الدعاء له بالحفظ وتمنّي الخير له، ولذلك نجده يقول:

نعـــزي أميـــرَ المـــؤمنينَ محمـــدا ... علـــى خيـــرِ مَيْـــتٍ غيبتْـــهُ المقـــابرُ

وإن أميـــــرَ المؤمنيـــــن محمـــــدا ... لـــــرابطُ جـــأشٍ للخطـــوبِ وصـــابرُ

زهـــتْ بـــأميرِ المـــؤمنينَ محمـــدٍ ... أســـرةُ مُلْـــكٍ واســـتقرتْ منـــابرُ

فـــلا زِلـــتَ للإســـلامِ عِـــزّا وناصـــرًا ... كمـــا أنـــتَ للإســـلامِ عـــزٌ وناصـــرُ

ولا زلـــت مرعيًـــا بعـــينٍ حفيـــظةٍ ... مـــن اللهِ لا تســـطو عليـــك المقـــادرُ

تســوسُ أمــورَ النــاسِ تســعينَ حجّــةً ... وهـــديُكَ محمـــودٌ وعِرْضُـــكَ وافـــرُ[1]

وأجد في هذه اللوحة الرثائية، بأن أبا نواس بدأها بتعزية أمير المؤمنين "محمد الأمين" لفقد والده، ثم ذكر صبر الأمين ورباطة جأشه، وفرح الناس والمنابر بهذا الخليفة الجديد، وتحدث عن العز الذي سيلحق بالإسلام؛ لأنه هو معز الإسلام وناصره، ثم يدعو الله أن يحفظه من كل سوء وشر،

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:256،255.

وبعدها يأتي مدحه للأمين بحسن سياسته لأمور الناس وحسن هديه، وبأن يحفظه الله قائمًا على أمور الناس تسعين عامًا.

وفي مقطوعة شعرية رثائية يرثي بها أمير المؤمنين "الأمين" فيقول:

أيـــــا أميـــــنَ اللهِ مَـــــنْ للنـــــدى وعصـــــمةِ الضَّـــــعْفى وفـــكِ الأسيـــرْ

خلَّفْتنـــــا بعـــــدَكَ نبكـــــي علـــــى دنيـــــاكَ والـــــدينِ بـــــدمعٍ غزيـــــرْ

يـــــا وحشَـــــتَنَا بعـــــدكَ! مـــــاذا بنـــــا أحـــــلّ مـــــن ضـــــنكٍ صُـــــروفَ الدهـــــوْ

لا خيـــــرَ للأحيـــــاءِ فـــــي عيشِـــــهِمْ بعـــــدك والزلفَـــــى لأهـــــلِ القبـــــوْر[1]

والشاعر هنا يرثي أمير المؤمنين مباشرة دون أن يعزي أحدًا بموته، ويركز فيها على مآثر أمير المؤمنين وفضله: فهو الكريم، ناصر الضعفاء، ولا قيمة للناس بعد أن تركهم الأمين وأصبح من أهل القبور. وفي نتفة رثائية أخرى يقول:

مـــا رعَـــى الـــدهرُ آلَ برمـــكَ حقًّـــا أنْ رمَـــى مُلْكَهُـــم بـــأمرٍ فظيـــعِ

إنْ دهْـــرًا لـــم يَـــرْعَ حـــقًّا ليحيـــى غيـــرُ راعٍ ذِمَـــام آل الربيـــعِ[2]

وفي هذه النتفة الرثائية يرثي أبو نواس آل برمك بعد نكبتهم من قبل هارون الرشيد؛ لأنه وجدهم قد تعدّوا الحدود التي وضعها لهم، فأراد الرشيد أن يضع حدًّا لتعديهم هذا، وأبو نواس هنا بدل أن يوجه خطابه للرشيد وجهه للدهر خوفًا من بطش الرشيد، وأشار أبو نواس في هذين البيتين إلى مكانة آل برمك وحقهم في الملك، ومكانة يحيى والربيع في دولة بني العباس.

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:289.

[2] **المصدر السابق**. ص:354.

ويبدو لي أن لوحات أبي نواس الرثائية قد انتهت دون أن نلمس أي أثر للخمرة فيها، وكأن المقام –كما قلت آنفًا– لا يسمح بوجودها، فالمقام مقام جدّي، لا مزاح فيه، ولا ثرثرة، ولا سخرية.

المطلب الخامس: الوصف.

لم يحفل شعر "أبي نواس" بالوصف على نحوٍ مستقلٍّ، وإنما جاء الوصف ليصف به موضوعات شعرية أخرى كالخمرة والطرديات، ومن أوصافه ما وصف به سفن الأمين التي كانت على شواطئ دجلة في بغداد، فقد كانت تلك السفن "مطايا للأمين الأمير والخليفة، وهي غريبة الشكل فخمة التكوين، إنها على شكل أسد حينًا وعلى هيئة دلفين حينًا آخر، ولم يكن وصف أبي نواس لهذه السفن خالصًا لهذا الفن، وإنما الوصف هنا خادم للمديح الذي يوجهه الشاعر إلى صاحب السفينة، فأبو نواس عندما يصف السفينة التي صنعت على صورة الأسد، يجعل الوصف للأسد سابحًا فوق صفحة الماء، لا يقاد بلجام ولا يستحث بسوط، ولا يدفع بغمزة قدم في ركاب، ثم لا يلبث الشاعر أن يغلّب أبيات المديح على أبيات الوصف، حينما ينتقل إلى وصف سفينة أخرى للأمين على شكل عقاب فيقول:

سَخّرَ اللهُ للأمينِ مطايا ... لَمْ تُسَخَّرْ لصاحبِ المحرابِ

فإذا ما رِكابُهُ سِرْنَ سارَ في الماءِ راكبًا ليثَ غابِ

أسدًا باسِطًا ذراعَيْهِ أَهْرَتْ الشِّدقِ كالحَ الأنيابِ

لا يعانيهِ باللّجامِ ولا السَّوْ طِ ولا غمزِ رِجْلِهِ في الرّكابِ[1]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:71.

– الشكعة، مصطفى: **الشعر والشعراء في العصر العباسي**. ط:6، دار العلم للملايين، بيروت، 1986م، ص:308.

اهتم الشعراء منذ عصورهم الأولى بموضوع الوصف، فالشاعر الجاهلي وصف الطبيعة الصامتة والمتحركة، فوصف الصحراء وحيواناتها وماءها ومراميها، ووصف الجمال والخيل والشاء والماعز والكلاب، ووصف مكارم الأخلاق خاصة الشجاعة والكرم؛ لأنهما من أعمدة التواجد العربي والقبلي في الصحراء.

ثم نجده في عصر صدر الإسلام يصف المعارك والشهداء والبلاد المفتوحة، حتّى إذا ما جاء العصران الأموي والعباسي، يغرق الشاعر في وصف الحبيب وديارِه والمدن والقصور، إضافة إلى المعارك والشهداء، فإذا ما حلَّت ركابنا في ديار أبي نواس، فإذا به يعمم وصفه على سائر أغراضه الشعرية التي تم الحديث عنها في محتوى هذه الرسالة؛ فهو يصف الأطلال سلبًا وإيجابًا، ويصف الخمرة في كل مراحلها وميزاتها وأوصافها، ثم يصف غزله بشتى أنواعه، وبمن يتغزل، من غلمانه وغلامياته وسقاته وساقياته، ثم يصف الطرد والقصف والمجون والزندقة، وممدوحه، ومن يرثيه أو يهجوه، وغير ذلك؛ بحيث شمل الوصف أركان شعره كافة.

والمتتبع لوصفياته الصحراوية والطّلليَّة والخمرية وغزله ومدحه وهجائه ورثائه وسائر الأغراض الأخرى، يجد تشابهًا في المفردات والأوصاف؛ فمثلًا في خمرياته كثيرًا ما يشبه الخمرة بعين الديك وبأنها سلاف، وصفراء وكرخية والمدام وشمطاء وعذراء، وبأنها قهوة كالمسك وبأنها صهباء.

كقولـه: **واشربْ سُلافًا كعينِ الديكِ صافيةً ... من كفّ ساقيةٍ كالريمِ حوراءِ**

صفراءُ ما تُركتْ، زرقاءُ إن مُزجتْ ... تسمو بحظَّيْنِ من حُسْنٍ ولَأْلاءِ[1]

وقولـه: **كرخيةٌ قد عتقتْ حِقْبةً ... حتّى مضى أكثرُ أجْزائها**[2]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:9.

[2] **المصدر السابق**. ص:8.

وقولـه: **بـين المُـدامِ وبـين المـاء شـحناءُ تنقـــدّ غيظًـــا إذا مسَّـــها المـــاءُ**[1]

وقولــه: **أمـــا يســـرّك أن الأرضَ زهـــراءُ والخمـــرُ ممكنـــةٌ شـــمطاءُ عـــذراءُ**[2]

ويصف جنان الكرخ:

بـــادرْ فـــإن جِنـــانَ الكـــرخِ مُونَقَـــةٌ لـــم تلتقفْهـــا يـــدٌ للحـــرب عسْـــراءُ

فيهـــا مـــن الطيـــر أصـــناف مشـــتتةٌ مـــا بيـــنهنّ وبـــينَ النطـــقِ شـــحناءُ[3]

وقولـه: **أتـى بهـا قهـوةً كالمِسـكِ صـافيةً كدمعـــةٍ منحتْهـــا الخـــدَّ مرْهـــاءُ**[4]

وقولــه: **اكســرْ بمائِــكَ سَــوْرَةَ الصــهباءِ فـــإذا رأيـــتَ خضـــوعَها للمـــاءِ**

فــاحبسْ يــديْكَ عــن التــي بقيــتْ بهــا نفـــسٌ تشـــاكلُ أنفُـــسَ الأحيـــاءِ[5]

وكثيرًا ما شبهها بالفتاة ومن ذلك قوله:

خطبنـــا إلـــى الـــدهقانِ بعـــضَ بناتِـــهِ فزوجنـــا مـــنهنّ فـــي خـــدْرِهِ الكبـــرى[6]

أما وصفه وحديثه عن غزله بالمذكر، وغيره من الغزل، فأترك القارئ إلى ما ذكرته في بابه، وكذلك ذكره للغلمان والغلاميات، والساقين والساقيات، وكذلك قصفه ومجونه وأغراض أخرى، أما وصف أبي نواس للأطلال؛ فقد جاء بها على شكل الهجوم عليها، والنيل من العرب الذين يقفون عليها، وهو في ذلك يميل نحو شعوبيته المقيتة. ومن ذلك قوله:

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:12.

[2] **المصدر السابق**. ص:13.

[3] **المصدر السابق**. ص:13.

[4] **المصدر السابق**. ص:14.

[5] **المصدر السابق**. ص:15.

[6] **المصدر السابق**. ص:25.

أيـــا بـــاكيَ الأطـــلالِ غيّرهـــا البِلَـــى بكيـــت بعـــين لا يجـــف لهـــا غَـــرْبُ

أتنعـــت دارًا قـــد عفـــتْ وتغيـــرتْ فـإني لمـا سـالَمْتَ مـن نعتِهـا حـرْبُ[1]

وقولــه: **دعِ الأطــلال تســفيها الجَنــوبُ وتبْلـــي عهـــدَ جـــدَّتِها الخُطـــوبُ**[2]

وقوله في أخرى: **لستُ بدارٍ عَفَتْ وغيَّرَها ضـــربانِ مـــن قطرِهـــا وحاصِـــبِها**

ولا لأي الطلـــــــولِ أنـــــــدُبُها للـــريح والـــرُّقشِ مـــن قرانِبِهـــا[3]

وفي مدحه للأمين يقول:

قـــلْ للأمـــينِ جـــزاكَ اللهُ صـــالحةً لا تجمـــع الـــدهرَ بـــين السَّـــخلِ والـــذيبِ

الســـخلُ يعلـــمُ أن الـــذئبَ آكلُـــهُ والـذيبُ يعلـمُ مـا بالسـخلِ مـن طيـبِ[4]

وفي مدحة أخرى يقول:

تلقـــى المراتـــب للحسيـــن ذليلـــةً وإذا ســـواه يرومُهـــا تتعصـــبُ

أعطيـــتَ أثمـــانَ المحامِـــدِ أهلَهـــا وكســـبتَ صُـــفْوَتَها ونِعْـــمَ المكسَـــبُ[5]

ويصف سفينة (دولفين) الأمين فيقول:

قـــد ركـــبَ الدُّولفيـــنَ بـــدرُ الـــدجى مقتحمًـــا للمـــاءِ قـــد لجّجَـــا

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:31.

[2] **المصدر السابق**. ص:32.

[3] **المصدر السابق**. ص:73.

[4] **المصدر السابق**. ص:72.

[5] **المصدر السابق**. ص:76.

فأشـــــرقتْ دجلـــــةُ مـــــن نـــــورِهِ وأســـــفرَ الشـــــطآنِ واســـــتبهجا[1]

ومن هجائه يقول:

ولـــــو أبصـــــراني والقيـــــودُ تلفُّنـــــي ومشـــــيي إلـــــى البـــــوابِ بالنَّحَشَـــــانِ

إلـى قولـه: **وإنـــي لأرجـو أن أراك كجعفـرٍ ونصـــفاكَ فـــوقَ الجســـرِ يُقتسَـــمانِ**[2]

ومن ذلك قوله:

حـــذّرتُكَ الكِبْـــرَ لا يَعْلَقْـــكَ مِيسَـــمُهُ فإنـــــــه مَلْـــــــبَسٌ نازَعْتَـــــــهُ اللهَ

وقولـه: **يـا راكـبَ الـذَّنْبِ قـد شـابتْ مفارقُـهُ أمـــا تخـــاف مـــن الأيـــام عُقابهـــا**[3]

ومن رثائه قوله:

مـــا رَعـــى الـــدهرُ آل برمـــكَ حقًّـــا أنْ رمـــى مُلكَهُـــمْ بـــأمر فظيـــعِ[4]

وقوله يرثي الأمين:

أيـــــا أمـــــينَ اللهِ مَـــــنْ للنَّـــــدَى وعِصْـــمَةِ الضَّـــغْفَى وفـــكِ الأســـير[5]

وهكذا فإن لأبي نواس وصفًا في معظم أغراضه الشعرية، وكثيرًا ما نجد له إبداعًا فنيًّا في ذلك، إلى غير ذلك من المزايا الفنيَّة؛ كالتكرار والترادف والتصوير والمحسّنات والتناص... وهذا ما سأحاول التركيز عليه في الفصل الأخير من هذه الرسالة.

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:119.

[2] **المصدر السابق**. ص:572.

[3] **المصدر السابق**. ص:601.

[4] **المصدر السابق**. ص:354.

[5] **المصدر السابق**. ص:289.

المطلب السادس: الفخر.

الفخر هو فن شعري يهدف الشاعر منه إلى أن يتفاخر بنفسه أو بعائلته أو بعشيرته أو بقبيلته، من خلال صفات اتصف بها، أو أعمال قام بها، أو شعر قاله عن نفسه، أو أي من الناس الذين يحب الشاعر أن يفتخر بهم؛ حتّى يرضي نفسه وغروره بأن ما يفخر به هو الأفضل، وأنه هو أو قومه أو عشيرته... هم الأفضل في هذه الصفة أو العمل أو القول؛ ولذا نالوا عليه التكريم والفخار على غيرهم، ومن قصائده في الفخر: قصيدته "افخر بقحطان واهج نزارًا"[1].

وهي قصيدة تعد طويلة وصلت إلى (38) بيتًا إذا ما قيست بغيرها من القصائد، وقد خلت القصيدة من ذكر الخمرة، وبدأ بمقدمة طللية سلبية، حاول أن يطعن بها من طرف خفي نوعا ما.

ومن أبياته الفخرية قوله:

بـــل نحـــنُ أربـــابُ نـــاعِطٍ ولـــنا صـــنعاءُ والمســـكُ مـــن مَحارِبِهـــا

ونحـــنُ إذْ فـــارسٌ تُـــدافعُ بَهْـــ ـــــرامَ قَسَـــطْنا علـــى مَرازِبِهـــا

بالخيـــل شُـــعثًا علـــى لَواحِـــقَ كالسِّيـــ ـــــدانِ تعطـــي مـــدى مَـــذاهبِها

بالســـود مـــن حِمْيـــرٍ ومـــن سُـــلَفٍ أَرْغَـــنَ والشُّـــمِّ مـــن مَناسِـــبِها[2]

والشاعر في هذه الأبيات يفتخر بأنهم أصحاب حصن اليمن، وأن لهم صنعاء، وما بها من رائحة المسك التي تصدر من أشجارها وغاباتها، وإذا حاول الفرس أن يدفعوا بقوتهم؛ فسوف يواجهون بقوة كبيرة تقضي على زعمائهم ورؤسائهم؛ وذلك بالخيول القوية التي تطاردهم، والفرسان والزعماء الأقوياء من حمير وسُلَف وغيرها من القبائل القوية.

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:73-76.

[2] **المصدر السابق**. ص:73.

ومنها قوله: **فـافخر بقحطـانَ غيـرَ مُكْتَئِـبٍ فحَـــاتمُ الجـــودِ مـــن مَناقِبِهـــا**

ولا تـــــرى فارسًـــــا كفارسِـــــها إذْ زالـــت الهـــامُ عـــن مناكِبِهـــا

وحميـــرٌ تنطِـــقُ الرجـــالَ بمـــا اختـــا رتْ مـــن الفضـــلِ فـــي مراتبِهـــا

أَحْبِـــبْ قريشًـــا لحـــبِّ أحمـــدِها واعـــرفْ لهـــا الجـــزْلَ مـــنْ مواهِبِهـــا

وبِـــئْسَ فخـــرُ الكـــريمِ مـــن قَصَـــبِ الـــ ـــشَوْحَطِ صـــفراءُ فـــي معالِبِهـــا[1]

في هذه الأبيات يفخر الشاعر "أبو نواس" بقحطان وحاتم الجود وحمير ذات المراتب العالية في الفضل؛ وفرسانها أشداء يزيلون رؤوس أعاديهم عن أكتافها، ثم عرّج على قريش وحبّ أحمد القرشي، وبأن الكريم لا يفخر إلا بالأسلحة القوية التي هي من لوازم الفرسان.

ولعل الشاعر في هذه القصيدة تحدث عن فخره بالضمير الجمعيّ (نحن)، فهو هنا يفخر بالقبائل العربية ذات الصيت اللامع كقحطان وحمير وقريش، ونرى خلوها من ذكر الخمرة؛ لأن الشاعر يتحدث عن السلاح والقوة والقبائل العزيزة الشجاعة، فلا مجال لذكر الخمرة فيها.

وها هو "أبو نواس" يفخر بشعره وحكمته ونصيحته، وما يحمل من مجد ومكارم، فيقول مخاطبًا صديقه عبيد الله:

يـــا ابـــنَ بُحْبوبـــةِ البطـــاحِ عُبَيْـــد ا لله غوثًـــا مـــن مســـتغيثٍ يـــودُّهْ

فاهتبـــلْ عنـــدي النصـــيحةَ واذخـــرْ نـــي لقـــولٍ أُجيـــدُهُ وأُجِـــدُّهْ

واســـتزدني إلـــى مكارمِـــكَ الغُـــ ـــرِّ ومَجْـــدٍ إليـــكَ خَـــيّمَ مجـــدُهْ

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:74-76.

عبـــــدريٌّ إذا انتمـــــى أبطحـــــيٌّ تالِـــدٌ نَسْـــجُهُ عتيـــقٌ فَرِنْـــدهْ[1]

فالشاعر أبو نواس يطلب من عبيد الله أن يغتنم ما يتمتع به أبو نواس من حكمة ونصيحة وقول محكم، ومكارم ومجد تليد، تزيد من أخذ منها أو اتصف بها الكثير من المكارم والمحامد، التي يرقى بها صاحبها سلّم المجد والذكر الطيب. والشاعر هنا كذلك، قد ابتعد عن ذكر الخمرة في مقطوعته الشعرية هذه؛ وكأنه يعلم في داخل نفسه بأنها لا تصلح في مثل هذا المقام.

ثم يفخر الشاعر بنفسه في معرض رحلته ومدحه للخصيب حاكم مصر فيقول:

فمـــا أنـــا بالمشـــغوفِ ضـــربةَ لازبٍ ولا كـــلُّ ســـلطانٍ علـــيَّ قـــديرُ

وإنـــي لطـــرفِ العـــينِ بـــالعينِ زاجـــرٌ فقـــد كـــدتُ لا يخفـــى علـــيّ ضـــميرُ[2]

ولعل الشاعر في مطولته المدحية لخصيب مصر، يقول في هذين البيتين مفتخرًا بنفسه بأنه لا يوجد من يقف بينه وبين طموحه، ولا سلطان لأحد عليه، وبأنه يستطيع أن يعرف ما قد تكنه الضمائر نحوه ونحو الآخرين (وفي ذلك مبالغة منه). وقد اقتصرت هذه القصيدة على مدح الخصيب مع ابتعاده عن ذكر الخمرة؛ لأن المقام لا يناسبه ذلك.

وفي قصيدته التالية يسجل أبو نواس فيها أمورًا يتصف بها جعلها من مكارم الأخلاق والصفات وكريم الفعال، فيقول منها:

لقـــد زادنـــي تيهـــا علـــى النـــاسِ أننـــي أرانـــيَ أغنـــاهمْ وإن كنـــتُ ذا فقـــرِ

فـــواللهِ لا يُبْـــدي لســـاني لجاجَـــةً إلـــى أحـــدٍ حتّـــى أُغَيَّـــبَ فـــي القبـــرِ

فـــلا تطمعـــنْ فـــي ذاك منـــي ســـوقةٌ ولا ملـــكُ الـــدنيا المُحَجَّـــبُ فـــي القصـــرِ

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:184.

[2] **المصدر السابق**. ص:276.

فلـــو لـــم أَرِثْ فخـــرًا لكانـــت صـــيانتي فمي عن سؤال الناس حسبي من الفخرِ[1]

فالشاعر هنا يرى نفسه أغنى الناس وإن كان فقيرًا؛ لأنه يعد أن الغنى هو غنى النفس، وليس باستعباد الناس واحتقارهم كما ذكر في الأبيات الأولى من هذه المقطوعة، ثم يخبر الشاعر بأن لسانه لا يتحدث عن أحد سوءًا حتّى يغيب في القبر، وفي النهاية يرى أبو نواس أن صيانة نفسه عن ذكر عورات الآخرين هو أقصى ما يفخر به، وكذلك لو لم يكن يرث فخرًا يقيه به على غيره، وكذلك هذه المقطوعة الشعرية خلت من أبيات الخمرة أو ذكرها. ويبدو لي أن ما أوردته هو أهم أبيات قالها أبو نواس في الفخر.

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:290،289.

الفصل الثالث

الاتجاهات الشعرية الجديدة (المستحدثة) عند أبي نواس وأثر الخمرة فيها

المبحث الأول: الخمريات.

المطلب الأول: الخمريات والمقدمة الخمرية.

المطلب الثاني: وصف الخمرة في يد الساقي أو الساقية.

المطلب الثالث: الخمرة عند صانعها وتاجرها.

المطلب الرابع: الخمرة في الدنّ والزق...

المطلب الخامس: الخمرة في الإبريق.

المطلب السادس: الخمرة وتأثيرها على شاربها.

المطلب السابع: الخمرة في الكأس لشاربها.

المطلب الثامن: وصف عام للخمرة.

المطلب التاسع: أهم مناطق صنع الخمرة وأنواعها.

المطلب العاشر: الخمرة ومجالس الشرب واللهو.

المطلب الحادي عشر: الخمرة والالتزام الديني والأخلاقي.

المطلب الثاني عشر: تصوير الخمرة بالقهوة.

المطلب الثالث عشر: الخمرة كالفتاة التي يخطبها.

المطلب الرابع عشر: العمر الزمني للخمرة.

المطلب الخامس عشر: تشبيه الخمرة بالعجوز الشمطاء.

المطلب السادس عشر: مشاعر الخمرة وإحساسها.

المطلب السابع عشر: بين الأطلال والخمرة.

المبحث الثاني: الزندقة.

المبحث الثالث: الطرديات.

المبحث الرابع: المجون.

المبحث الخامس: الشعوبية.

المبحث السادس: الزهد.

المبحث السابع: السخرية والفكاهة.

المبحث الثامن: العتاب والاعتذار.

الفصل الثالث: الاتجاهات الشعرية الجديدة (المستحدثة) عند أبي نواس وأثر الخمرة فيها

ربما يقع بعض اتجاهات هذا الفصل في دائرة الاتجاهات التقليدية التي طرأ عليها شيء من التجديد بفعل تأثير الخمرة والأشعار التي قيلت فيها، أو غطت مساحات واسعة أو ضيقة من كل منها، ولكن مع ذلك أجد أن أبا نواس على الأعمّ كان هو من استحدثها، أو جاء بها بطريقة أكدت على وجودها وأهميتها، بعد أن كانت أبياتًا قليلة في قصائد الشاعر أو ديوانه، ومع ذلك يبقى الاستحداث نسبيًا، يختلف من فن لآخر، ويكفي أن أبا نواس قد أكد عليه وأعطاه ما يستحق بخمرة أو دون خمرة، وهذا ما سأحاول إيضاحه وبيانه في هذا الفصل، ولعل الدراسة الإحصائية الهادفة لكل فنّ شعري، وبيان مدى تأثير شعر الخمرة على هذا الفنّ، يكشف لنا مدى الاستحداث لهذا الفنّ أو ذاك وصدقه ولو بشكل نسبي عند بعضها.

المبحث الأول: الخمريات.

لقد أبدع أبو نواس في كل فنون الشعر، خاصةً الخمريات، والغزل الذي تفوّق فيه أيضًا، وكان مجيدًا في المدح والهجاء، وقليل من الرثاء، وهو أول من استحدث لونًا جديدًا أو غرضًا جديدًا في الشعر العربي عرف بالطرديات، ويقصد به الصيد، فلقد كان أبو نواس شرّيبًا، بل إنه كان يعبد الخمرة ويقدّسها تقديسًا، ويدمن شربها، فيشربها إذا أمسى ويشربها إذا أصبح، وربما يعكف عليها ليله ويومه، وربما عكف عليها الأسبوع كله، وهو القائل:

يــا خاطــبَ القهــوةِ الصــهباءِ يَمْهُرُهَــا بالرطْــلِ يأخــذُ مِنهــا مِــلْأَهُ ذهبًــا

قَصَّــرْتَ بــالراحِ فاحــذَرْ أن تُسَــمِّعَها فيحلــفَ الكــرْمُ ألا يحمــلَ العِنَبَــا

إنـــي بـــذلتُ لهـــا لَمَّـــا بَصُـــرْتُ بِهَـــا صـــاعًا مـــن الـــدرِّ واليـــاقوتِ مـــا ثُقِبَـــا

فاستوحَشَـــتْ وبكَـــتْ فـــي الـــدَّنِّ قائلـــةً يـــا أُمَّ وَيْحَـــكِ! أخشـــى النـــارَ واللَّهَبَـــا[1]

عُدَّ "أبو نواس" شاعر الخمرةِ في الأدب العربيّ بلا منازع، وربما يعود السبب في ذلك؛ إلى أنه كان ممن يعشقون الخمرةَ وَيُدْمِنُون على شربِهَا، فقد كان يقدسُها تقديسًا، وبناءً على ذلك استطاع أن يخلقَ عالمًا شِعْريًّا خاصًّا بالخمرة؛ حيث إنه كان يمتزج فيها بإحساسه وفكره وروحه وهو في ذلك: "تذوب فيها النفس شوقًا إلى الخلاص من المصائب والآلام؛ ففيها صفات كل ما هو جميل ونقي، تحنّ إلى الصور والأسرار، وتتكلم بالإيحاءات، فهي مَحْرَمُ الأسرار، ثم إنه جعلها مرآة يرى من خلالها تحولات مجتمعه، وتحولات العالم وجماله، كما جعلها وسيلة لثورته وتمرده على الأعراف الاجتماعية والسنن الشعرية، وأكثر من ذلك كانت وسيلة لتعامله مع الناس والتعايش بينهم، وفي تلك الحال ظلت وسيلة لمحاربة القبح مع الإكثار من ذكر القبح، وكان تعويضًا يستبدل به كل ما يكره بكل ما يحب، كما اتخذ الخمرة هذه مدخلًا إلى عالم المعرفة، وعالم السياسة، وعالم السعادة والجمال، ومخرجًا وحيدًا من سجن المجتمع، وسجن أعرافه وتقاليده وقيوده، ومن مأزق الوجود"[2].

فلقد اتخذ أبو نواس من الخمرة مهربًا من الوجود والحياة البائسة التي كان يعيشها، وثورة على التقاليد والأعراف الاجتماعية والفنية الموجودة في ذلك الزمان، وخصوصًا تقاليد الشعر وسننه، فكان أحيانًا يبتدئ بها قصائده الشعرية بدلًا من الوقوف على الأطلال والبكاء عليها، واتخذ كذلك من الخمرة ممرًّا دخل به إلى عالم السياسة، فهذه هي أهم خصائص الخمرة عند أبي نواس التي جعلت منه شاعرًا بلا منازع للشعر الخمري.

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:38.

– الروضان، عبد عون: **موسوعة شعراء العصر العباسي**. ص:51.

[2] نهزمي، يوسف هادي بور: **دراسة نقدية في مبنى خمريات أبي نواس**. مجلة إضاءات نقدية، السنة الأولى، ع:2، 2011م، ص:128.

وسأركز هنا على:

المطلب الأول: الخمريات والمقدمة الخمرية.

لقد تغنى الشعراء الجاهليون بالخمرة، ووصفوها في قصائدهم، فمثلًا نجد عمرو بن كلثوم يصف الخمرة في أبيات قليلة من معلقته فيقول:

ألا هُبِّـــي بصَـــحْنِكِ فأصبحـــينا ولا تُبقـــي خمـــورَ الأنـــدرينا

مُشَعْشَـــعَةً كـــأن الحـــصَّ فيهـــا إذا مـــا المـــاءُ خالَطَهـــا سَخِينـــا

تجـــور بـــذي اللبانـــة عـــن هـــواهُ إذا مـــا ذاقَهـــا حتّـــى يَلِيـــنا[1]

وفي سياق المدح يقول الأعشى في الخمرة في أبيات من قصيدته التي نافت على ثمانين بيتًا:

فقـــد أشـــربُ الـــرّاحَ قـــد تَغْلمِيـــ ـــنَ يـــومَ المُقَـــامِ ويـــومَ الظَّعَـــنْ[2]

وفي موضع آخر: **صَليفِيَّةً طيبًا طعْمُهَا لهـــا زبـــدٌ بـــينَ كُـــوبٍ ودنْ**

يَصُـــبُّ لهـــا السَّـــاقيانِ المِـــزا جَ منتصـفَ الليـلِ مـن مـاءِ شَـنْ[3]

ويكاد يكون الأعشى (الكبير) من أكثر من ذكر الخمرة في شعره في عصره الجاهلي، ولكن مع ذلك لا يصل إلى درجة ما وصل إليه شاعر الخمرية الأول في العصر العباسي، ألا وهو: "أبو نواس". شأن الأعشى في ذلك شأن كثير من شعراء العصر الجاهلي، وحتّى شعراء عصر صدر الإسلام؛ إذ لم نجد الكثير من الشعر الخمري إلا الأبيات التي ذكرت لحسان بن ثابت في مطلع همزيته في فتح مكة، وما نسب إلى أبي محجن الثقفي كذلك أيام عمر بن الخطاب، عندما قال:

---

[1] التبريزي، يحيى بن علي: **شرح المعلقات العشر المذهبات**. ص:226.

[2] الأعشى، ميمون بن قيس: **شرح ديوانه**. ص:360.

[3] **المصدر السابق**. ص:361.

إذا مـــت فـــادفنّي إلـــى أصـــلِ كَرْمَـــةٍ تـــروّي عظـــامي بعـــد مـــوتي عروقُهـــا[1]

وفي أيام الأمويين نجد "الوليد بن يزيد" الذي قتل سنة (126هـ) عن طريق ابن عمه يزيد بن الوليد. فقد كان الوليد بن يزيد شاعرًا مبدعًا، صرف شعره للخمرة (مثلًا)؛ حيث كانت تنظم في مقطوعات لها وحدتها الموضوعية والمعنوية، فهو لعشقه الشديد للخمرة ينظمها كأنما تفجر له ينابيع الفرح تفجيرًا[2]، كقصيدته الخمرية التي يقول فيها:

اصـــــدع نَجِـــــيَّ الهُمُـــــومِ بـــــالطرَبِ وانعَـــمْ علـــى الـــدهرِ بابنـــةِ العنـــبِ

مـــــن قهـــــوةٍ زانَهـــــا تقادُمُهَـــــا فهْـــي عجـــوزٌ تعلـــو علـــى الحُقُـــبِ[3]

وإذا وصلنا إلى العصر العباسي وجدنا أبا نواس يتصدر المشهد الشعري الخمري، والذي تفوق على غيره من الشعراء الذين سبقوه، وحتّى من جاء بعده غالبًا. فهو صاحب المركز الأول في شعره الخمري في العصر العباسي بلا منازع.

وكان أبو نواس قد ساءه تصرف أمه وسيرتها التي تزوجت وتركته[4]، وبدأ أبو نواس في الكوفة مرحلة جديدة من المجون واللهو وشرب الخمرة، حتّى أصبحت الخمرة هي حياته وشعره، وفي أثناء ذلك ذهب إلى بادية بني أسد لعام كامل؛ ليتعرف على اللغة من مظانها. ثم تطور الأمر معه في شعره إلى أن أصبح ممن مدحوا الرشيد والأمين وغيره من الأمراء والقادة، ولكن حقده على العرب

---

[1] الأصفهاني، علي بن الحسين. **كتاب الأغاني**. ط:2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1997م، ج:19، ص:106.

[2] ضيف، شوقي: **العصر الإسلامي**. ط:4، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص:382،381.

[3] **المرجع السابق**. ص:382.

– أبو نواس: **ديوانه**. ص:40. (نسبت هذه الأبيات لأبي نواس).

[4] ضيف، شوقي: **العصر العباسي الأول**. ط:8، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص:220–224.

وعلى النساء –بسبب أمه– وميله إلى الفرس وملوكهم وإلى الخمرة؛ جعلت منه إنسانًا جديدًا وشاعرًا لم يُسبق إلى فنه الشعري شكلًا ومضمونًا على أغلب الأحوال.

وعند إمعان النظر في ديوان "أبي نواس"، أجده قد خصص الباب الأكبر للخمرة في نحو (137) قصيدة وموضعًا في صفحات الديوان كافة، إضافة إلى ذكر الخمرة في الفنون الشعرية الأخرى، لدرجة أن ذكر الخمرة وأثرها كاد يغطي معظم الفنون الشعرية الأخرى؛ فيشعر القارئ أن الخمرة قد سيطرت على أبي نواس عقلًا وعاطفةً وسلوكًا وإيمانًا وشعوبيةً...، حتّى إننا نكاد لا نحصي لها عدّا لكثرة انتشارها... ولهذا لقب أبو نواس بشاعر الخمرة الأول في العصر العباسي، وفي رأيي وفي كل العصور.

إننا نجد أبا نواس قد وصف الخمرة إلى حد تفوقت فيه على حد المبالغة، فقد وصفها من مناحٍ شتى، فنجده:

المطلب الثاني: يصف الخمرة في يد الساقي أو الساقية.

فيقول: **واشربْ سُلافًا كعينِ الديكِ صافيةً ... من كفِّ ساقيةٍ كالريمِ حوراءِ**[1]

وقوله: **يسعى بها خَنِثٌ في خُلقِهِ دَمَثٌ ... يستأثرُ العينَ في مستدرَجِ الرائي**

إني لأشربُ من عينيهِ صافيةً ... صِرْفًا وأشربُ أخرى مع ندامائي[2]

وقوله: **ومُهَفْهَفٍ نَبَّهْتُهُ لَمّا هَدَا ... وَتَغَلَّقَتْ عيناهُ بالإغفاءِ**[3]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:9.

[2] **المصدر السابق**. ص:15.

[3] **المصدر السابق**. ص:16.

وقولـه: **يسـعى بهـا مـن وُلْـدِ يافـثَ أَحْـوَرٌ ... كقضيـــبِ بـــانٍ فـــوق دِعْـــصِ نقـــاءِ**[1]

وقولـه: **قـد سـقتني والصـبحُ قـدْ فَتّـقَ الليـ ... ـــــلَ بكأْسَـــــيْنِ ظبيـــــةٌ حـــــوراءُ**[2]

وقولـه: **وسـاقٍ غريـرِ الطَّـرْفِ والـدلِّ فـاتنٍ ... ربيـــبِ ملـــوكٍ كـــانَ والـــدُهم كســـرى**[3]

وقولـــه: **يكـــاد مـــن الـــدلالِ إذا تثنَّـــى ... عليـــكَ ومـــن تســـاقُطِهِ يـــذوبُ**[4]

وقولـه: **يـدور بهـا سـاقٍ أغـنُّ تـرى لـهُ ... علـى مسـتدار الأُذْنِ صُـدْغًا مُعَقْرَبَـا**[5]

وقولـه: **مـن كـفِّ سـاقيةٍ، ناهيـكَ سـاقيةً ... فـي حسـنِ قَـدٍّ وفـي ظَـرْفٍ وفـي أدبِ**[6]

وقولـه: **وأقبـلَ محمـودُ الجمـالِ مُقَرْطَـقٌ ... إلـــى كأسِـــها لا عيـــبَ فيـــهِ أريـــبُ**[7]

وقولـه: **يـا حُسْنَهَـا مـن بنـانِ ذي خَنَـثٍ ... تدعـــوكَ أَجْفانُـــهُ إلـــى الرّيـــبِ**[8]

وقولـه: **ومخـتلسِ القلـوبِ بِطَـرْفِ ريـمٍ ... وجيـــدِ مهـــاةِ بَـــرٍّ ذي هِضَـــابِ**[9]

وقولـــه: **فبـــاتَ يســـقيني جَنَـــى ريقـــهِ ... يَمْزُجُـــهُ لـــي بَـــرْدَ أنيابـــهِ**[10]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:17.

[2] **المصدر السابق**. ص:18.

[3] **المصدر السابق**. ص:26.

[4] **المصدر السابق**. ص:33.

[5] **المصدر السابق**. ص:34.

[6] **المصدر السابق**. ص:36.

[7] **المصدر السابق**. ص:40.

[8] **المصدر السابق**. ص:41.

[9] **المصدر السابق**. ص:43.

[10] **المصدر السابق**. ص:45.

وقولـه: **يـديرُها قَمَـرٌ فـي طَرْفِـهِ حَـوَرٌ كأنمـا اشْـتُقَّ منـه سِـحْرُ هـاروتِ**[1]

وقولـه: **يحـارُ رَجْـعُ الطـرفِ فـي وَجْهِـهِ وصـورةُ الشـمسِ علـى صـورَتِهْ**[2]

وقولـه: **مـزجَ الكـأسَ لـي غـزالٌ أديـبٌ هاشـميٌ أصـابَ فيـهِ المِزاجـا**[3]

وقولـه: **حتّـى تَغَنَّـى وقـدْ مالـتْ سـوالِفُهُ يـا ديـر حنّـةَ مـن ذاتِ الأَكِـيراحِ**[4]

وقولـه: **مـن كـفِّ سـاقيةٍ يسـتلُ ناظرُهـا لدقـةِ الفهـمِ مـا أوحَـى بـهِ الـواحي**[5]

وقولـه: **يـديرُ علينـا الشمسَ والبـدرُ حولَهـا فيـا مـن رأى شمسًـا يـدورُ بِهَـا بـدْرُ**[6]

وقولـه: **حتّـى إذا نقلـتْ كاسـاتِها خُـرُدٌ مـن بـينِ ذي قُرْطُـقٍ أو ذاتِ زِنّـارِ**[7]

وقولـه: **قـد تَحَسَّـيْتُهَا علـى وجـهِ سـاقٍ خـالعٍ فـي هـوايَ كـلّ عِـذارِ**[8]

وسأكمل حديثي عن هذا الموضوع عندما أتحدث عن الأطلال والخمرة (رقم 16) من هذا الغرض أو الاتجاه الشعري. وأجد الشاعر هنا يبدع في وصف الخمرة والساقي والساقية، فيقول في وصف الخمرة: بأنها سلاف كعين الديك في صفائها، لكن يسهب في هذه الأبيات في وصف الساقي والساقية، فالساقي عنده: خنث دمث رقيق مهفهف، غرير الطرف والدلّ فاتن، يتثنى من الدلال، أغنّ، صدغه معقرب، محمود الجمال، مختلس القلوب بطرف الريم، وجيد المهاة، وهو كالقمر في طرفه

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:94.

[2] **المصدر السابق**. ص:105.

[3] **المصدر السابق**. ص:116.

[4] **المصدر السابق**. ص:129.

[5] **المصدر السابق**. ص:134.

[6] **المصدر السابق**. ص:218.

[7] **المصدر السابق**. ص:220.

[8] **المصدر السابق**. ص:224.

حور، كالشمس، وكالغزال وكالبدر...، وتشاركه في هذا الوصف الساقية ويضيف عليها: فهي كالريم حوراء، حسنة القد والظرف والأدب...

المطلب الثالث: الخمرة عند صانعها وتاجرها (الخمار).

فيقـول: **فلـم يكـدْ يُـدركُ خَمَّارُهـا منهـا سِـوى آخِـر حَوْبائِهَـا**[1]

وقولـه: **وصـفّقُوها بمـاءِ النيـلِ إذْ بـرزتْ فـي قِـدْرِ قَـسّ كجـوفِ الجُـبّ روحـاءِ**[2]

وقولـه: **يـا رُبّ منـزلِ خمّـارٍ أطفـتُ بـهِ والليـلُ حُلَّتُـهُ كالقـارِ سـوداءُ**[3]

وقولـه: **إلـى بيـتِ حـانٍ لا تهـرُّ كِلابُـهُ علـيَّ ولا يُنكـرْنَ طـولَ ثَـوائي**[4]

وقولـه: **خَطَبْنَـا إلـى الـدهقانِ بعـضَ بناتـهِ فزوجَنَـا مـنهُنَّ، فـي خـدرِهِ، الكُبْـرَى**[5]

وقولـه: **إلـى بيـت خمّـارٍ ودون مَحَلّـهِ قُصـورٌ مُنِيفـاتٌ لهـا ودُروبُ**

ففـزعَ مـنْ إدْلاجِنـا بعـدَ هَـجْعةٍ ولـيس سـوى ذي الكبريـاءِ رقيـبُ[6]

وقولـه: **وخمـارٍ أنخـتُ إليـهِ رَحْلـي إناخـةَ قـاطنٍ والليـلُ داجِ**[7]

وقولـه: **حَطَطْنـا علـى خمّارِهـا جُـنْحَ ليلـةٍ فـلاحَ لنـا فجـرٌ ولـم يطْلـعِ الفـجرُ**[8]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:8.

[2] **المصدر السابق**. ص:11.

[3] **المصدر السابق**. ص:13.

[4] **المصدر السابق**. ص:20.

[5] **المصدر السابق**. ص:25.

[6] **المصدر السابق**. ص:29.

[7] **المصدر السابق**. ص:115.

[8] **المصدر السابق**. ص:210.

قولـه: **ظَلَّـتْ مــن الـدهرِ أزمانًــا مُخَـدَّرَةً يصــونُهَا كنــفٌ مــن بيــتِ خَمَّــارِ**[1]

وقولــه: **فيــا رُبَّ خَمَّــارٍ طرقــتُ بِسُــحْرةٍ فنبهْتُــهُ والطيــرُ فــي كنــفِ الــوكرِ**[2]

وقولـه: **طربتُ إلـى خمرٍ وقصفِ الدساكرِ ومنــزلِ دُهقــانٍ بهــا غيــرِ داثــرِ**[3]

وقولـه: **جـاءت بخاتَمِهـا مـن عنـدِ خمّـارٍ روحٌ مـن الكَـرْمِ فـي جِسْـمٍ مِـنَ القـارِ**[4]

فالخمرة هنا بقيت مدة طويلة عند صاحبها، فهي ممزوجة بماء النيل في قدر القس، ويصف الشاعر نفسه ومن أقبل معه عندما جاؤوا إلى التاجر لشرائها، فبيته لا تهر كلابه عليهم؛ لأنها تعودت مجيئهم إلى منزل التاجر، ويشبه طلبه الخمرة من الدهقان كأنه يطلب بنتًا (عروسًا)، ثم يصف إدلاجه على التاجر بعد هجعة من الليل، إلى غير ذلك، فهو يعدها كأنها صيده وسط الظلام...

المطلب الرابع: الخمرة في الدنّ والزِّقّ وآنيتها.

فيقول: **حتّـى إذا سكنتْ فـي دنّهـا وهَـدَتْ مــن بعــدِ دَمْدَمَــةٍ منهــا وضوضــاءِ**[5]

وقولــه: **كمــاء الــدّنِّ يســكرُ مــن رآه فيخفــتُ والقلــوبُ لــه سِــبَاءُ**[6]

وقولــه: **لســاكنِهَا دنٌّ بــه القــارُ مُشْــعَرٌ إذا بــرزت منــه، فلــيس لهــا مثــوى**[7]

وقولــه: **أقامــت حِقبــةً فــي قعــرِ دَنٍّ تفــورُ ومــا يُحَــسُّ لهــا لَهِيــبُ**

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:219.

[2] **المصدر السابق**. ص:221.

[3] **المصدر السابق**. ص:227.

[4] **المصدر السابق**. ص:234.

[5] **المصدر السابق**. ص:11.

[6] **المصدر السابق**. ص:18.

[7] **المصدر السابق**. ص:25.

كـــأن هـــديرَها فـــي الـــدنِ يحكـــي ... قِـــرَاة القَـــسّ قابلَـــهُ الصـــليبُ[1]

وقولـه: فاسْتوحَشَتْ وبكتْ فـي الـدَّنِ قائلـةً ... يـا أُمُّ ويحـكِ أخشـى النـارَ واللَّهَبَـا[2]

وقوله:قلنا لها: كَمْ لها في الدنّ مُذْ حُجِبت؟ ... قالـت: قـد اتُّخِـذَتْ مـن عهـدِ طـالوتِ

كانـتْ مخبـأةً فـي الـدنِ قـد عَنَسَـتْ ... فـي الأرضِ مدفونـةً فـي بطـنِ تابـوتِ[3]

وقولـه: حتّـى تَطَلَّعهـا الزمـانُ، وقـد فَـرَتْ ... حُجُـــبَ الـــدّنانِ بنـــاظرٍ حـــدّادِ[4]

وقولــه: إذا نَزَفُــوا زِقًّــا أقمــتُ مكانَــهُ ... مـن الشاصـياتِ السـودِ مَحْـزوزةَ الظّهْـرِ[5]

وقولـه: فلـم تـزلْ حِقَـبُ الأيـامِ تُنْقِصُـها ... حتّـى اخْتَبـا عُشـرُها فـي دَنِّهـا الضّـاري[6]

وقولـه: مـن قَعْرِ أجـوفَ ذي سـاقٍ بـلا قدمِ ... نيطـتْ بـدنّ عظـيمِ الـبطنِ هـدَّارِ[7]

وقولـه: لبثـت فـي دِنَانِهـا ألـفَ شـهرٍ ... لـم تُقَمَّـصْ ولـم تُعَـذَّبْ بنـارِ[8]

وقولــه: والــزِّقُّ يــرميهِمُ ممــا تضــمَّنهُ ... رميًـا يصـيبُ بـهِ مـن غيـرِ أوتـارِ[9]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:32.

[2] **المصدر السابق**. ص:38.

[3] **المصدر السابق**. ص:94.

[4] **المصدر السابق**. ص:163.

[5] **المصدر السابق**. ص:216.

[6] **المصدر السابق**. ص:218.

[7] **المصدر السابق**. ص:219.

[8] **المصدر السابق**. ص:224.

[9] **المصدر السابق**. ص:234.

وقولــه: **فـــي بيتـــه زقٌ ودنٌّ ودَوْرَقٌ وباطيـــةٌ تُـــزْوي الفتـــى وَتُنِـــيم**[1]

ويبدع أبو نواس في وصف الخمرة في دنها، وفورانها الذي يشبه تمتمات القس عندما يقابل الصليب، حتى إنها كالكائن الحي الذي يشعر ويبكي، وعن زمانها في الدنّ يقول بأنها من عهد طالوت...، وبأن لها ألف شهر.

المطلب الخامس: الخمرة في الإبريق.

فيقـول: **قامـتْ بإبريقِهـا والليـلُ معتكـرٌ فـلاحَ مـن وجهِهَـا فـي البيـتِ لألاءُ**

فأرسـلتْ مـن فـمِ الإبريـقِ صـافيةً كأنمـا أخـذُها بـالعينِ إغفـاءُ[2]

وقولــه: **كـأن قَرْقَـرَةَ الإبريـق بيـنَهُمُ رجْـعُ المزاميـرِ أو ترجيـعُ فأْفـاءِ**[3]

وقولــه: **كأنهـا فـي زجاجِهـا قَـبَسٌ يـذْكو بـلا سَـوْرَةٍ ولا لهـبِ**[4]

وقولـه: **عـن عُقَـدٍ أوفـتْ لِـذي ميقـاتِ إلـى أَبارِيـقَ مُفَـدَّماتِ**[5]

وقولــه: **لـدينا أباريـقٌ كـأنَّ رِقابَهـا رقـابُ كراكـيٍّ نظـرْنَ إلـى صَـقْرِ**[6]

وقولـه: **فـي أبـاريقَ مِـنْ لَجـينٍ حِسـانٍ كظبـاءٍ سـكنَّ عـرضَ القِفَـارِ**[7]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:448.

[2] **المصدر السابق**. ص:7.

[3] **المصدر السابق**. ص:14.

[4] **المصدر السابق**. ص:41.

[5] **المصدر السابق**. ص:97.

[6] **المصدر السابق**. ص:216.

[7] **المصدر السابق**. ص:224.

وقولــه: **تقــولُ خمــرٌ، فحــين تُحْــدِرُهَا مـــن فـــمِ إبريـــقِها إذا انحـــدَرا**[1]

وقولـه: **فقلــتُ لــهُ والكــأسُ تُزْهَــى بكفِّــهِ وقــدْ رَعَــفَ الإبريــقُ فيهــا وقَرْقَــرَا**[2]

وقولـه: **فقــرَّبَ مــن نحــوِ الأباريــقِ خَــدَّهُ وَقَهْقَــهَ مســرورًا مــن القَرْقَــفِ الخمــرِ**[3]

قولــه: **فــي أباريــقَ سُــجّدٍ كبنــاتِ الــ ـــماءِ أُقْعَــيْنَ مــن حِــذارِ الصــقورِ**[4]

وقولـــه: **كـــأنَّ إبريـــقَنا إذا صُـــفِقَتْ فـــي الكـــأسِ شـــيخٌ مُزَمْـــزِمٌ شَـــرِقُ**[5]

وقولـه: **كــأنَّ إبريــقَنا ظَبْــيٌ علــى شَــرَفٍ قــد مــدَّ منــه لخــوفِ القــانِصِ العُنُقَــا**[6]

وقولــه: **إبريـــقُهُ فـــي كَفِّـــهِ مُثْـــرَعٌ مُغْتَـــرِفٌ مـــن ذوبِ جِرْيـــالِ**[7]

لقد بدت الخمرة في إبريقها وسط الظلام بأنها كاللألاء، وبأن قرقرتها في الإبريق تشبه رجع المزامير، ثم هي في زجاجها كالقبس بلا لهب، ثم هي في أباريقها كالكراكي تنظر إلى الصقر، أو كالظباء تعيش في القفار، إلى غير ذلك من الصور والتشبيهات الجميلة.

المطلب السادس: الخمرة وتأثيرها على شاربها.

فيقــول: **دارت فأحيــتْ غيــر مذمومــةٍ نفـــوسَ حَسراهـــا وأنضـــائِها**[8]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:225.

[2] **المصدر السابق**. ص:233.

[3] **المصدر السابق**. ص:236.

[4] **المصدر السابق**. ص:236.

[5] **المصدر السابق**. ص:372.

[6] **المصدر السابق**. ص:374.

[7] **المصدر السابق**. ص:423.

[8] **المصدر السابق**. ص:8.

وقولـه: **فاشـربْ هُـديتَ وغـنّ القـومَ مبتـدئًا ... علـــى مســـاعدةِ العيـــدانِ والنـــاءِ**[1]

وقولـه: **حتّــى أُزيــحَ الهــمَّ عنــكَ بشــربةٍ ... تســـمو بصـــاحبِها إلـــى العلْيـــاءِ**[2]

وقولـه: **أَديـرا علـيَّ الكـأسَ تنكشـفُ البلْـوَى ... وتلتـــذُّ عينـــي طيـــبَ رائحـــةِ الـــدنيا**[3]

وقولـه: **جفا المـاءُ عنهـا فـي المـزاجِ لأَنَّهَـا ... خيـــالٌ لهـــا بـــين العظـــامِ دبيـــبُ**

إذا ذاقَهـــا مَـــنْ ذاقَهـــا حلقـــتْ بـــهِ ... فلـــيس لهـــا عقـــلٌ يُعَـــدُّ أديـــبُ[4]

وقولـه: **فلمـــا جلاهَـــا للنـــدامى بـــدا لهـــا ... نســـيمُ عبيـــرٍ ســـاطعٍ ولهيـــبُ**[5]

وقولـه: **فـاذكرْ صـباحَ العُقـارِ واسْـمُ بـهِ ... لا بصـــباحِ الحُـــروبِ والعَطَـــبِ**[6]

وقولـه: **سقاني أبـو بشْـرٍ مـن الـراحِ شَـرْبةً ... لهـــا لـــذَّةٌ مـــا ذُقْتُهَـــا لشـــرابِ**[7]

وقولـــه: **لـــم يَـــذُقْها قـــطُّ راشفُهـــا ... فخـــلا مـــن لاعـــجِ الطّـــرَبِ**[8]

وقولـــه: **واشْـــرَبَنْها مُـــزَّةً تَـــذْ ... هـــــبُ بـــــالهَمِّ عُقـــــارا**

تتـــــركُ المـــــرءَ إذا مـــــا ... ذاقَهـــــا يُرْخـــــي الإزارا[9]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:11.

[2] **المصدر السابق**. ص:12.

[3] **المصدر السابق**. ص:26.

[4] **المصدر السابق**. ص:39.

[5] **المصدر السابق**. ص:39.

[6] **المصدر السابق**. ص:41.

[7] **المصدر السابق**. ص:43.

[8] **المصدر السابق**. ص:44.

[9] **المصدر السابق**. ص:214.

وقولــه: **نكهتُهــا أطيــبُ مــن فــارةٍ مملــــوءَةٍ مســـكًا لعطّـــارِ**[1]

وقولــه: **اســقِنِي إن سَــقيتَنِي بالكبيــرِ إنّ فــي السّــكْرِ لــي تمــامَ الســرورِ**[2]

وقولــه: **فــإذا مــا الكــؤوسُ دارتْ عَلَيْنَــا قــذفتْ فــي أُنوفِنــا بــالعَبيرِ**[3]

وقولــه: **ومُدامَــةٍ تحيــا النفــوسُ بِهَــا جَلَّــتْ مآثِرُهــا عــن الوصْــفِ**[4]

وقولــه: **ممــا تَخَيَّــرَهُ التجــارُ تَــرَى لَهــا قَرْصًــا إذا ذِيقَــتْ كَقَــرْصِ الفلفُــلِ**

ولهــا دَبيــبٌ فــي العظــامِ كأنــهُ قــبضُ النعــاسِ وأخــذُهُ بالــمِفْصَلِ[5]

وقولـه: **ثـم اسـتدارَ بـهِ سُـكْرٌ فمـالَ بـه فقمــتُ أســعَى إليــهِ وهــو مُنْجَــدِلُ**

قــدْ دَبَّــتِ الخمــرُ سِــرًّا فــي مَفَاصِــلِهِ فمــاتَ سُــكْرًا ولكــن حاطَــهُ الأَجَــلُ[6]

والشاعر هنا يرى بأنها تحيي نفوس من يشربها، وتزيح همومهم، وتري شاربها بأنه في العلياء، كما يرى أنها تزيل البلوى ولها لذة عجيبة تجعل من يتناولها يأخذه الطرب وتحيي نفسه.

المطلب السابع: الخمرة في الكأس لشاربها.

فيقول: **لَهَا من المَزْجِ في كاساتِها حَدَقٌ تَرْنُــو إلــى شَــرْبِها مِــنْ بَعْــدِ إغْضــاءِ**[7]

وقوله: **حتّى تُرَى في حَوافِي الكأسِ أَعيُنُها بِيضًــا ولــيسَ بهــا مــن عِلَّــةٍ داءُ**

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:223.

[2] **المصدر السابق**. ص:232.

[3] **المصدر السابق**. ص:236.

[4] **المصدر السابق**. ص:356.

[5] **المصدر السابق**. ص:417.

[6] **المصدر السابق**. ص:418.

[7] **المصدر السابق**. ص:11.

نُجومُهـــا يَقَـــقٌ فـــي صَـــحْنِها عَلَـــقٌ ... يُقِلُّهـــا مِـــنْ نجـــومِ الكـــأسِ أهـــواءُ[1]

وقولـه: والكـوبُ يضْـحكُ كـالغزالِ مسـبّحًا ... عنـــــدَ الركـــــوعِ بِلَثْغَـــــةِ الفأْفـــــاءِ

وكـــــأنَّ أقـــــداحَ الـــــزجاجِ إذا جَـــــرَتْ ... وَسْـــطَ الظـــلامِ كواكـــبُ الجـــوزاءِ[2]

وقوله:تَرَى ضَوْءَها من ظاهرِ الكأسِ ساطعًا ... عليـــــكَ وإن غَطَّيْتَهـــــا بغِطـــــاءِ[3]

وقولـه: أُميتـتْ بلـذات الكـؤوس نفوسُـهم ... فأنفســـهم أحيـــا وأجســـادهم مَـــوْتى[4]

ثم يقول: فَنَاوَلَـهُ كَأْسًـا جَلَـتْ عـن خُمـارِهِ ... وأَتْبَعَـــهُ أخـــرى فثـــابَ لـــه لُـــبُّ[5]

وقولـه: فَأَطْيَـبُ منـــهُ صـــافيةٌ شَمُـــولٌ ... يطـــوفُ بِكَأْسِـــهَا ســـاقٍ أديـــبُ[6]

وقولـه: يسـعى علـيهم بالكـأسِ ذو نُطَـفٍ ... أحـــذاه ظبـــيُ الصـــريمةِ اللَّبَبَـــا[7]

وقولـه: سـاعٍ بكـأسٍ إلـى نـاشٍ علـى طربٍ ... كلاهمـــا عَجَـــبٌ فـــي مَنْظَـــرٍ عَجَـــبِ[8]

وقولـه: فأبـدى لنـا صَـهْباءَ تـمَّ شـبابُها ... لهـــا مَـــرَحٌ فـــي كأسِـــها، ووثـــوبُ[9]

وقولـه: فمـــا زالَ يسـقينا بكـــأسٍ مُجِـــدَّةٍ ... تُـــوَلِّي، وأخـــرى بعـــد ذاك تـــؤوبُ[10]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:12-13.

[2] **المصدر السابق**. ص:17.

[3] **المصدر السابق**. ص:20.

[4] **المصدر السابق**. ص:26.

[5] **المصدر السابق**. ص:32.

[6] **المصدر السابق**. ص:32.

[7] **المصدر السابق**. ص:35.

[8] **المصدر السابق**. ص:36.

[9] **المصدر السابق**. ص:39.

[10] **المصدر السابق**. ص:40.

وقولــه: **كأنمـــا الكـــأسُ إذا صُـــفِّقَتْ** **قنـــديلُ قَـــسٍّ وَسْـــطَ مِحْرَابِـــهِ**[1]

وقولــه: **يُصْـــغِينَ للكـــؤوسِ راكِعـــاتِ** **فَهْـــيَ إذا شُـــجَّتْ علـــى العِـــلّاتِ**[2]

وقولــه: **خمرتُـــهُ فـــي الـــكأسِ ممزوجـــةٌ** **كالـــذهبِ الجـــاري علـــى فِضَّـــتِهْ**[3]

وقولــه: **مَـــزَجَ الكـــأسَ لـــي غـــزالٌ أديـــبُ** **هاشـــميٌّ أصـــابَ فيهـــا المِزاجَـــا**[4]

وقولــه: **فكأنَّهَـــا والكـــأسُ ســـاطعةٌ بهـــا** **صُـــبْحٌ تَقَـــارَبَ أَمْـــرُهُ، فانصـــاحَا**[5]

وقوله: **من بنت كرْمٍ لها في الكأسِ رائحـةٌ** **تَحْكِـــي لِمَـــنْ نـــالَ منهـــا ريـــحَ تفـــاحِ**[6]

وقولــه: **ســـلافةً تضـــحكُ فـــي كأسِـــها** **عـــذراءَ، صـــانوها عـــن الطَّـــبْخِ**[7]

وأجد الشاعر هنا يخلع على الكأس (الكوب) صورة إنسانية من خلال كلمة (يضحك) بين اثنين أو شيئين لا يضحكان وهما الكوب والغزال حتى إنه جعل الضحك منهما كالتسبيح، ولعل مثل هذا النوع يسميه البلاغيون التشخيص، وكذلك الأمر في السّلافة التي تضحك، ثم يشبه الكأس والخمرة فيها كقنديل القس، وكالذهب الجاري وكالغزال.

المطلب الثامن: وصف عام للخمرة.

فيقول: **صـفراءُ لا تنـزلُ الأحـزانُ سـاحتَها** **لـــو مسَّـــها حَجَـــرٌ مَسَّـــتْهُ سَـــرَّاءُ**

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:45.

[2] **المصدر السابق**. ص:97.

[3] **المصدر السابق**. ص:105.

[4] **المصدر السابق**. ص:116.

[5] **المصدر السابق**. ص:124.

[6] **المصدر السابق**. ص:130.

[7] **المصدر السابق**. ص:149.

فلـــو مَزَجْـــتَ بهـــا نـــورًا لمازَجَهـــا حتّـــى تَوَلَّـــدُ أنـــوارُ وأضـــواءُ[1]

وقوله: صفراءُ ما تُرِكتْ, زرقاءُ إن مُزِجتْ تســـمو بِحَظَّـــيْنِ مـــن حُسْـــنٍ ولَأْلاءِ

تَنْـــزُو فواقعُهـــا منهـــا, إذا مُزِجَـــتْ نـــزوَ الجنـــادبِ مـــن مَـــرْجٍ وأَفْيَـــاءِ[2]

وقولـه: كـــأنَّ منظرَهـــا والمـــاءُ يَقْرَعُهـــا ديبـــاجُ غانيَـــةٍ أو رَقْـــمُ وَشَّـــاءِ[3]

وقولـه: صـفراءُ تَسْـلُبُكَ الهمـومَ إذا بـدتْ وتُعِيـــرُ قلبـــكَ حُلَّـــةَ السَّـــرَّاءِ[4]

وقولـه: إذا مـا عَلاها المـاءُ خِلْتَ حَبابَهـا تَفَـــارِيقَ دُرٍّ فـــي جوانبِهـــا شَـــتَّى

فتـــزدادُ عنـــدَ المـــزجِ طِيبًـــا كأنَّهـــا إشـارةُ مـن تَهْـوَى, إلـى كـلِّ مـا تَهْـوَى[5]

وقولـه: فَجَوَّزُوهـا عنـي عُقـارًا تَـرَى لَهـا إلـــى الشَّـــرَفِ الأعلـــى شُـــعاعًا مُطَنَّبَـــا[6]

وقولـه: كـأنَّ صُـغرى، وكُبْـرى مـن فَواقِعِهَـا حَصْـبَاءُ دُرٍّ علـــى أرضٍ مـــن الـــذهبِ[7]

وقولـه: كـــأن أحـــداقَها والمـــاءُ يقرعُهـــا فـــي ســـاحةِ الكـــأسِ أحـــداقُ اليَعاسِـــيبِ[8]

وقولـه: جَفـا المـاءُ عنهـا فـي المِزاجِ لأنَّهـا خيـــالٌ, لهـــا بـــين العظـــامِ دَبيـــبُ[9]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:7.

[2] **المصدر السابق**. ص:9.

[3] **المصدر السابق**. ص:14.

[4] **المصدر السابق**. ص:16.

[5] **المصدر السابق**. ص:26.

[6] **المصدر السابق**. ص:34.

[7] **المصدر السابق**. ص:36.

[8] **المصدر السابق**. ص:37.

[9] **المصدر السابق**. ص:39.

وقولـه: **حمراءُ صفراءُ عن المزجِ تحسبُها** **كالـــدُّرِ طَوَّقَهـــا نَظْـــمٌ مـــن الجَبَـــبِ**

مَـــنْ ذاقَهـــا مـــرّةً لـــم ينْسَـــها أبـــدًا **حتّـــى يُغَيَّـــبَ فـــي الأكفـــانِ والتّـــرُبِ**[1]

وقولـه: **نـادمْتُهُم قَرْقَـفَ الإسـفَنْطِ صـافيةً** **مشـــمولةً سُـــبِيَتْ مـــن خمـــرِ تَكْرِيـــتِ**

إذا بكـــافرةٍ شمطـــاءَ قـــد بَـــرَزَتْ **فـــــي زِيّ مُخْتَشِـــــعٍ للهِ زِمّيـــــتِ**[2]

وقولـه: **فَأَقبلـتْ كضيـاءِ الشـمسِ نازعـةً** **في الكأسِ من بينِ دامي الخَصْرِ منكوتِ**[3]

وقولــه: **كأنهـــا الشـــمس، إذ صُـــفِّقَتْ** **مســـــكنها الكـــــبشُ أو الحـــــوتُ**

أو دارةُ البـــــدرِ إذا مـــــا اســـــتَوَى **وتـــــمَّ للعـــــدِّ المَواقِيـــــتُ**[4]

وقولــه: **بـــدا اليـــاقوتُ وانتســـبتْ إليـــهِ** **بِحُمْـــــرٍ أو بِصُـــــفْرٍ فاقِعـــــاتِ**

فولَّـــــدَتِ السِّـــــياطُ لهـــــا هَـــــديرًا **كترجيـــــعِ الفُحُـــــولِ الهائجـــــاتِ**[5]

وقولــه: **إنَّ الصّـبوحَ جـلاءُ كُـلِّ مُخَمَّـرٍ** **بَـــدَرَتْ يـــداهُ بكأسِـــهِ الإصْـــبَاحا**[6]

وقولـه: **صـفراءُ تفتـرسُ النفـوسَ فـلا تَـرَى** **منهـــا بهـــنَّ سِـــوَى السِّـــناتِ جراحـــا**[7]

وقولــه: **ومُدامـــةٍ ســـجَد الملـــوكُ لَهـــا** **باكَرْتُهـــــا والـــــديكُ قـــــد صَـــــدَحا**

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:44.

[2] **المصدر السابق**. ص:93.

[3] **المصدر السابق**. ص:94.

[4] **المصدر السابق**. ص:96.

[5] **المصدر السابق**. ص:100.

[6] **المصدر السابق**. ص:123.

[7] **المصدر السابق**. ص:124.

وكـــأنّ فيهـــا مـــن جَنادِبِهـــا فرسًـــا إذا سَـــكَّنْتَهُ رمَحـــا[1]

وقولـه: **صـهباءُ صـافيةٌ تُجْـدِيكَ نكهتُهـا تَـنَفُّسَ المِسْـكِ مَلْطوخًـا بتفـاحِ**

حتّـى إذا سُلْسِـلَتْ فـي قَعْـرِ باطيـةٍ أغنـاكَ لألاؤُهـا عـن ضَـوْءِ الصَّـبَاحِ[2]

وقولـه: **حمـراءُ عَلَّقَهـا بالمـاءِ شاربُـها تُفْـتَضُّ عُـذْرَتُها فـي بَطْـنِ رَحْـرَاحِ**[3]

وقولـه: **مُعَتَّقَـةٌ حمـراءُ وَقْـدَتُها جَمـرُ ونكهتُهـا مِسْـكٌ وطَلْعَتُهـا تِبْـرُ**[4]

يتفنن أبو نواس في وصف الخمرة؛ فهي عنده صفراء تسر من يتذوقها، وتصبح زرقاء عند مزجها، وهي عندما تختلط بالماء تكون كديباج غانية أو رقمٌ وشاء، وحبابها تشبه الدرّ في جوانب الكأس، ثم هي حمراء صفراء عند مزجها تشبه الدرّ، ثم هي كضياء الشمس، أو كدارة البدر والياقوت، وهذه المدامة يسجد لها الملوك، والديك تصيح صياحًا لها كذلك، وهي صهباء صفراء نكهتها كرائحة المسك والتفاح، ويقول في البيت الأخير مع نوع من حسن التقسيم: معتقة حمراء، شدة تأثيرها كالجمر، ونكهتها كالمسك، وطلعتها كالتبر.

المطلب التاسع: أهم مناطق صنع الخمرة وأنواعها.

فيقـول: **كَرْخِيّـةٌ قـدْ عُتِّقَـتْ حِقْبَـةً حتّـى مضـى أكثـرُ أجزائِهـا**[5]

وقولـه: **واشربْ سلافًا كعينِ الديكِ صافيةً مـن كـفِّ سـاقيةٍ كـالريمِ حـوراءِ**[6]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:126.

[2] **المصدر السابق**. ص:129.

[3] **المصدر السابق**. ص:131.

[4] **المصدر السابق**. ص:210.

[5] **المصدر السابق**. ص:8.

[6] **المصدر السابق**. ص:9.

وقولـه: **بـين المُـدامِ وبـينَ المـاءِ شـحناءُ** **تَنْقَـدُّ غَيْظًـا إذا مـا مسَّـها المـاءُ**[1]

وقولـه: **بـادرْ, فـإن جنـانَ الكـرخِ مُونقَـةٌ** **لـم تَلْتَقِفْهـا يـدٌ للحـربِ عَسْـراءُ**[2]

وقولـه: **تَسْتَنُّ مـن قـرحٍ فـي كـف مُصْطَبِحٍ** **مـن خمـرِ عانـةَ أو مـن خمـرِ سُـوراءِ**[3]

وقولـه: **فـإنْ تَكُـنِ الصَّـهباءُ أَوْدَتْ بِتَالِـدِي** **فلـم تُـوقِني أُكْـرُومَتِي وَحَيَـائي**[4]

وقولـه: **عُقـارًا كـأنَّ البـرقَ فـي لَمَعَانِهـا** **تَجَلَّـى لِأَبْصَـارٍ فكـادتْ بـهِ تَعْمَـى**[5]

وقولـه: **قُطْرَبُّـلٌّ مَرْبَعِـي ولـي بِقُـرَى الـ** **ـكَرْخِ مَصيـفٌ, وأُمِّـيَ العِنَـبُ**[6]

وقولـه: **ولكـنْ سَـبَتْنِي البَابِليـةُ إنَّهـا** **لمثلـيَ فـي طـولِ الزمـانِ سَـلُوبُ**[7]

وقولـه: **وقهـوةٍ كالمسـكِ مَشْـمُولَةٍ** **منزلُهـا الأنبـارُ أو هيـتُ**[8]

وقولـه: **بنـاتُ كسـرى خَيْـرُ مـا بنـاتِ** **جُلِـبْنَ مـن هِيـتٍ ومـن عانـاتِ**[9]

وقولـه: **مسـارحُهَا المـدارُ فـبطنُ جَـوْخَى** **إلـى شـطِّ الأُبُلَّـةِ فـالفُراتِ**

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:12.

[2] **المصدر السابق**. ص:13.

[3] **المصدر السابق**. ص:14.

[4] **المصدر السابق**. ص:20.

[5] **المصدر السابق**. ص:26.

[6] **المصدر السابق**. ص:30.

[7] **المصدر السابق**. ص:39.

[8] **المصدر السابق**. ص:96.

[9] **المصدر السابق**. ص:96.

تراثًـــــا عـــــنْ أوائِـــــلِ أَوَّلِينَـــــا بنـــــي الأحـــــرار، أهـــلِ المَكْرُمَـــاتِ[1]

وقولــه: وعُقـــــارٍ كأنّمـــــا نَتَعـــــاطَى فـــي كـــؤوسِ اللّجـــينِ مِنْهـــا سِـــراجَا

خَنْـــــدَرِيسٌ كأنهـــــا كـــــلُّ طِيـــــبٍ زَوَّجُوهـــا ولـــيسَ تهـــوَى الزَّواجَـــا[2]

وقولــه: نِعْـمَ ســلاحُ الفتــى المُـدامُ إذا ســـــاوَرَهُ الهـــــمّ أَمْ بـــــهِ جَمَحَـــــا[3]

وقولــه: كرخيـــةً كصـــفاءِ وَجْـــهِ مَشُوقَـــةٍ مرْهـــاءَ ترغـــبُ عـــن ســـوادِ الإِثْمـــدِ[4]

وقولــه: أَوْجَرْتُـــهُ القَرْقَـــفَ العُقَـــارَ فمـــا ا نْتَهيـــتُ حتّـــى اتكـــى علـــى العَضُـــدِ[5]

وقولــه: بمدامـــةٍ وَرِثَ الزمـــانُ لُبابَهـــا عـــن ذي الأوائـــلِ مـــن أكـــابرِ عـــادِ

فكأنمـــــا صَـــــبَغَ التقـــــادمُ ثَوْبَهـــــا والكـــأسُ فـــي عُـــرْسِ المُـــدامِ بجـــادِ[6]

وقوله:اشربْ على الوَرْدِ في نيسانَ مُصْطَبِحًا مـــن خمـــرِ قُطْرَبُّـــلٍ حمـــراءَ كالْكـــاذيّ[7]

وقولــه: فيـــه مـــدامٌ كعـــينِ الـــديكِ صـــافيةٌ مـــن مســـكِ داريـــنَ فيهـــا نفحـــةُ الغـــارِ[8]

وقولــه: كرخيـــةٌ كـــالروحِ دبّ بِشَرْبِـــها حِلْـــم ولـــيس لِجَهْلِهِـــم آثـــارُ[9]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:99.

[2] **المصدر السابق**. ص:115.

[3] **المصدر السابق**. ص:127.

[4] **المصدر السابق**. ص:157.

[5] **المصدر السابق**. ص:161.

[6] **المصدر السابق**. ص:162-163.

[7] **المصدر السابق**. ص:200.

[8] **المصدر السابق**. ص:220.

[9] **المصدر السابق**. ص:235.

وقولــه: **بــــابليٌ صـــافٍ مؤنثـــةٌ طَـــوْ رًا، وطَـــــوْرًا تهـــــتمُّ بالتـــــذْكيرِ**[1]

هي من الكرخ، وعانة، وسوراء، وقطربُّل، وبابل، والأنبار، وهيت والمدار، وبطن جوخى، شط الأبلّة والفرات، ودارين: وكل هذه الأماكن ذكرها الشاعر مادحًا وواصفًا لها ولخمرتها بأجود الأوصاف.

المطلب العاشر: الخمرة ومجالس الشرب واللهو.

يقــول: **ونـــدمانٍ يـــرى غَبَنًـــا عليـــه بـــأنْ يُمْسِـــي ولـــيسَ لـــهُ انْتِشَـــاءُ**[2]

وقولـه: **يـا رُبَّ مجلـسِ فِتْيـانٍ سَـمَوْتُ لـهُ والليـــلُ مُحْتَـــبِسٌ فـــي ثـــوبِ ظَلْمـــاءِ**

لِشُـــربِ صـــافيةٍ مـــن صـــدرِ خابيـــةٍ تَغْشَـــى عيـــونَ نَـــداماها بِـــلَأْلاءِ[3]

وقولــه: **نمّــتْ علـــى نُـــدْمانِها بِنَسِـــيمِها وَضـــيائِها فـــي الليلـــةِ الظَّلْمـــاءِ**[4]

وقولـه: **فاسْتوْسَـقَ الشُّـرْبُ للنَّـدامى وأجْـــ ـــرَاهَا علينـــا اللّجـــينُ والغَـــرَبُ**[5]

وقولـه: **ونَـدْمَانِ صِـدْقٍ، بَـاكَرَ الـراحَ سُـحْرَةً فأضْـحَى، ومـا مِنْـهُ اللسـانُ ولا القَلْـبُ**[6]

وقولـــه: **وَفِتْيَـــةٍ لا المِـــراءُ يَشْـــمُلُهم زَكَـــوْا فِـــعالًا معًـــا ومُنْتَسَـــبا**

شَـــبُّوا علـــى أُدْبَـــةٍ كأصـــورةِ الـــ ـــمِسْكِ مُبَاحًـــا، تَثْـــرى ومنتهبـــا[7]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:236.

[2] **المصدر السابق**. ص:9.

[3] **المصدر السابق**. ص:14.

[4] **المصدر السابق**. ص:16.

[5] **المصدر السابق**. ص:31.

[6] **المصدر السابق**. ص:31.

[7] **المصدر السابق**. ص:35.

وقولـه: **وليلـة دَجْـنٍ قـدْ سَـرَيْتُ بِفِتْيَـةٍ تُنَازِعُهـا نحـو المُـدَامِ قلـوبُ**[1]

وقولـه: **تراضـعوا دِرَّةَ الصَّهبـاءِ بيـنهمُ وأوجَبـوا لنـديمِ الكـأسِ مـا يجـبُ**[2]

وقولـه: **فَسَـلِّ هَمَّـكَ بالنـدْمانِ فـي دَعَـةٍ وبالعُقَـارِ؛ فهـذا أَهْنَـأُ الأَرَبِ**[3]

وقولـه: **وفتيـة كمصـابيحِ الـدجى غُـرَرٍ شُـمِّ الأنـوفِ مـن الصـيدِ المصـاليتِ**[4]

يتحدث الشاعر هنا عن جماعة من أصحابه دائمًا يذهبون معًا إلى الحانات لشرب الخمرة، وأحيانًا يسميهم: الندامى، ومجلس الفتيان، وفتية...، وغالبًا ما تكون زياراتهم للخمارات في الليل، والشاعر يصف الخمرة ويمدحها من خلال إقباله عليها مع (صحبة السوء) جماعته في مجالس اللهو والفسق والسّكر... إلى قوله مشبهًا جماعته: بمصابيح الدجى.

المطلب الحادي عشر: الخمرة والالتزام الديني والأخلاقي.

فيقـول: **إذا مـا أَدْرَكَتْـهُ الظهـرُ صـلَّى ولا عَصْـرٌ عليـهِ ولا عِشـاءُ**

يصـلي هـذهِ فـي وقـتِ هـذي فكـل صـلاتِهِ أبـدًا قَضـاءُ[5]

وقولـه: **غُـرِرْتِ بتـوبتي وَلَجَجْـتِ فيهـا فشُـقِّي اليـومَ جيبـكِ لا أتـوبُ**[6]

وقولـه: **خوّفتُمَـاني اللهَ ربَّكُمـا وكَخِيفَتِـهِ رَجَـاؤُهُ عِنْـدِي**

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:39.

[2] **المصدر السابق**. ص:43.

[3] **المصدر السابق**. ص:44.

[4] **المصدر السابق**. ص:93.

[5] **المصدر السابق**. ص:9.

[6] **المصدر السابق**. ص:33.

إن كنتمـــــا لا تشـــــربَانِ معـــــي خـــوفَ العقـــابِ شـــربتُها وحْـــدي[1]

وقولـه: واخْلَـعْ عِـذَارك لا تأتـي بِصَـالِحَةٍ مـــا دمـــتَ مسْـــتوطِنًا أكنـــافَ بغـــدادِ[2]

وقولـه: يـا مَـنْ يلـومُ علـى حمـراءَ صـافيةٍ! صِـرْ فـي الجنـانِ ودَعْنـي أَسـكنُ النـارا[3]

وقولـه: وحـينَ حانـتْ صـلاتُنَا لِضُـحىً قُمْنـــا نُصَـــلِّي بِغَيْـــرِ تَكْبيـــرِ[4]

وقولـه: تـرى عنـدنا مـا يكـرهُ اللهُ كلَّـهُ سـوى الشـركِ بـالرحمنِ ربِّ المشـاعرِ[5]

وقولـه: وألقيـتُ عنِّـي ثيـابَ الهـدى وخُضْـتُ بحـورًا مـن المنْكَـرِ[6]

وقولـه: وثقـتُ بعفـوِ اللهِ عـن كـلِّ مُسْـلِمٍ فلسـتُ عـن الصـهباءِ ماعشـتُ مُقْصِـرا

يَخِـرُّ لِصَـرْفِ الكـأسِ فـي السكرِ سـاجدًا، وإنْ مُزِجَـتْ صـلّى عليهـا وكبَّـرا[7]

وقولـه: يلائمنـي الحـرامُ إذا اجتمعْنـا وأجفُـو عـن ملاءَمَـةِ الحـلالِ[8]

لقد جمع أبو نواس في هذه الأبيات بين سلوكه الإيماني والأخلاقي، وعكسه فهو يقول في البيت الرابع: خوفتماني...، بأن أمله ورجاءه بالله لا يجعله يخاف من الله؛ لأنه يأمل أن يعفو عنه ويغفر له، لكنه في بقية الأبيات يجاهر بالمعصية وعدم التوبة فهو لا يحافظ على الصلوات وأوقاتها، ولا يخاف العقاب من شرب الخمرة، ويبتعد عن الصالحات، ثم يجاهر بمعصيته الناتجة عن شرب

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:160.

[2] **المصدر السابق**. ص:200.

[3] **المصدر السابق**. ص:213.

[4] **المصدر السابق**. ص:219.

[5] **المصدر السابق**. ص:228.

[6] **المصدر السابق**. ص:231.

[7] **المصدر السابق**. ص:233.

[8] **المصدر السابق**. ص:416.

الخمرة ولا يمانع من سكن النار، وبأنه يخوض بحورًا من المنكر، ورغم ثقته بعفو الله، لكنه لن يبتعد عن الخمرة؛ لأن الحرام يلائمه، والحلال لا يلائمه.

المطلب الثاني عشر: تصوير الخمرة بالقهوة.

كقولـه: **أتـى بهـا قهـوةً كالمسـكِ صافيـةً كدمعـــةٍ منحَتْهـــا الخَـــدَّ مرْهـــاءُ**[1]

وقولــه: **مـــن قهـــوةٍ مُـــزَةٍ مُشَعْشـــعَةٍ تـــرى لهـــا عنـــدَ مزجهـــا حَبَبَـــا**[2]

وقولـه: **وقهـوةٍ مثـل عـينِ الـديكِ صـافيةٍ مـنْ خمـرِ عانـةَ أو مـنْ خمـرةِ السِّـيبِ**[3]

وقولـه: **يـا خاطبَ القهـوةِ الصـهباءِ يمهُرُهـا بالرطْـــلِ يأخـــذُ منهـــا مِـــلْأَهُ ذَهبَـــا**[4]

إلـى قولـه: **يـا قهـوةً حُرِّمـتْ إلا علـى رجُـلٍ أَثْـرَى، فـأتلَفَ فيهـا المـالَ والنَّشَـبَا**[5]

ومـن قولـه: **مـــن قهـــوةٍ زانَهـــا تقادُمُهـــا فهْـــيَ عجـــوزٌ تعلـــو علـــى الحُقُـــبِ**[6]

وقولـــه: **وقهـــوةٍ كالمســـكِ مشـــمولَةٍ منزلُهـــــا الأنبـــــارُ أو هيـــــتُ**[7]

وقولـــه: **أَذِقْنِيهـــا لِأَعلـــمَ ذاكَ منْهـــا فَـــأَبْرَزَ قهـــوةً ذاتَ ارتجـــاجِ**[8]

وقولـه: **مـن قهـوةٍ جاءَتْـكَ قبـلَ مِزَاجَهـا عُطُـــلًا، فألبسَـــها المـــزاجُ وِشـــاحا**[9]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:14.

[2] **المصدر السابق**. ص:35.

[3] **المصدر السابق**. ص:37.

[4] **المصدر السابق**. ص:38.

[5] **المصدر السابق**. ص:38.

[6] **المصدر السابق**. ص:40.

[7] **المصدر السابق**. ص:96.

[8] **المصدر السابق**. ص:115.

[9] **المصدر السابق**. ص:123.

وقولـه: **وقهـــوةٍ مُـــرَّةٍ بـــاكرْتُ صُـــبْحَتَهَا وضـــوؤُها نائـــبٌ عـــن ضَـــوْءِ مِصـــباحِ**[1]

وقولـــه: **وقهـــــوةٍ باكرتُهـــــا سُـــــحرةً والصـــــبحُ قـــد أســـفرَ فـــي لُوجِـــهِ**[2]

وقولـــه: **قهـــوةً تُقْـــرِنُ فـــي جسْـــ ـــــمِكَ مـــــع روحِـــــكَ رُوحـــــا**[3]

وقولـــه: **قهـــــوةً صَـــــهْباءَ بِكْـــــرًا غُرِسَـــــــتْ أزمـــــــانَ نـــــــوحِ**[4]

وقولـــه: **قهـــــوةٌ تـــــذكرُ نوحًـــــا حـــــين شـــــادَ الفلـــــكَ نـــــوحُ**[5]

وقولـه: **فقلـتُ لـــه: جِئْنـاكَ نَبْتـاعُ قهـوةً مُعَتَّقَـــةً، قـــد أَنْفَـــدَتْ قِـــدَمًا دَهْـــرا**[6]

وقولـه: **مِنْ قهـوةٍ لـم تـزلْ تخفَـى ويحجُبُهـا كِـــنُّ الحَرائـــرِ عَصْـــرًا بعـــدَ أعْصـــارِ**[7]

وقولـــه: **وقهـــــوةٍ كـــــالعقيقِ صـــــافيةٍ يطيـــــرُ مِـــــنْ كأسِـــــها لهـــــا شَـــــرَرُ**[8]

وقولـه: **فـانفِ الوَقَـارَ عنْ المجـونِ بقهـوةٍ حمـــــراءَ خـــــالطَ لونَهـــــا إقمـــــارُ**[9]

وقولـه: **وقهـوةٍ عُتِّقَـتْ فـي دَيْـرِ شـمّاسِ تَفْتَـرُّ فـي كأسِـها عـن ضـوءِ مِقْيـاسِ**[10]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:131.

[2] **المصدر السابق**. ص:135.

[3] **المصدر السابق**. ص:135.

[4] **المصدر السابق**. ص:136.

[5] **المصدر السابق**. ص:141.

[6] **المصدر السابق**. ص:215.

[7] **المصدر السابق**. ص:219.

[8] **المصدر السابق**. ص:231.

[9] **المصدر السابق**. ص:235.

[10] **المصدر السابق**. ص:305.

وقولـه: **نـازعتُهُمْ قهـوةً صـفراءَ صـافيةً بشـادنٍ خَنِـثٍ كالغُصْـنِ ميّـاسِ**[1]

وقولـه: **قهـوةً عَتَّقَهـا خَمَّارُهـا زمنًـا فـي الـدنِّ بَحْتًـا وحَبَـسْ**[2]

وقولـه: **قهـوةً ذاتَ اخْتيـالٍ سَـلِمتْ مـن كـلِّ آفَـهْ**[3]

وقولـه: **مِـنْ قهـوةٍ كـالعقيقِ صـافيةٍ عاديّـةِ العُمْـرِ ذاتِ أسـلافِ**[4]

وقولـه: **يُسْـقَوْنَ مِـنْ قهـوةٍ مُعَتّقَـةٍ لهـا دبيـبٌ فـي المُـخّ يَسْـتَبِقُ**[5]

وقولـه: **وقهـوةٍ كجَنْـيِ الـوردِ خالصـةٍ قـد أذهـبَ العِتْـقُ فيهـا الـذامَ والرَّنَقَـا**[6]

لقد صور أبو نواس الخمرة وشبهها بالقهوة نحو (25مرة) أو يزيد، حتى أصبحت كأنها اسم من أسمائها، بل واسمها الملازم لها، فالقهوة (أي الخمرة) عنده كالمسك، ومزة مشعشعة وكعين الديك، وهي صهباء زانها القدم، مضيئة كضوء المصباح، وكالروح، وهي كأنها من أيام نوح في قدمها وتعتيقها، وكالعقيق، وذات اختيال، وذات أسلاف، وكجني الورد، إلى غير ذلك.

المطلب الثالث عشر: الخمرة كالفتاة التي يخطبها.

كقوله:**وقلت:"إني نَحَوْتُ الخمرَ أَخْطِبُـها!.." قال:"الـدراهمَ!.. هـل للمَهْـرِ إبطـاءُ؟!**[7]

وقوله:

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:310.

[2] **المصدر السابق**. ص:315.

[3] **المصدر السابق**. ص:355.

[4] **المصدر السابق**. ص:358.

[5] **المصدر السابق**. ص:372.

[6] **المصدر السابق**. ص:374.

[7] **المصدر السابق**. ص:14.

قالـت: "فمـنْ خاطبـي هـذا؟ "فقلـتُ: "أنـا" قالـت: "فَبَعْلِـيَ؟" قلـتُ: "المـاءُ إن عَـذُبَا"[1]

وقولــه: بـــالتي إن جئـــتُ أَخْطِبُهـــا حُلِّيَـــتْ حَلْيًـــا مـــن الـــذَّهَبِ[2]

وقولـه: مـن اللّـواتي خَطَبْناهـا علـى عَجَـلٍ لَمَّـــا عَجَجْنـــا بربّـــاتِ الحوانيـــتِ[3]

وقولــه: للخاطـــبِ المُبْتَكِـــرِ المُـــواتي فَسَـــــمِّها بالشَّـــــيْخِ لا الفتـــــاةِ[4]

وقولــه: لـــم يَرَهـــا خاطـــبٌ فَيُمْنَعَـــها ولا دعـــــاهُ لهـــــا أخـــــو فَنَـــــدِ[5]

وقولـه: فقلـتُ: فمـاذا مَهْرُهـا؟ قـال: مَهْرُهـا إليـــكَ، فَسُـــقْنا نحـــوَهُ خَمْسَـــةً صُـــفْرا[6]

وقولــه: فَـــأَتَى خاطِـــبٌ مليـــحٌ إليهـــا ذو وشـــــــاحٍ مـــــــؤزَّرٌ بِـــــــإزارِ

نَقـــدَ المهـــرَ ثـــم زُفَّـــتْ إليـــهِ فـــي ســـرَاويلِها وفـــي الزُّنّـــارِ[7]

وقولـه: نُـزَوِّجُ الخمـرَ مـن المـاءِ فـي طاســـاتِ تِبْـــرٍ، خمرُهـــا يَفْهَـــقُ[8]

والشاعر هنا يتغزل بالخمرة ويشبهها كالفتاة التي يدفع لها مهرًا من الدراهم، ويستخدم مفردات الخطبة والمهر كأنها فتاة فيقول: للمهر، خاطبي، بَعْلي، خطبناها، الخاطب المبتكر، مهرها، خاطب، نزوج الخمر، وأزعم أني لم أجد شاعرًا أتى بمفردات الزواج كما فعل أبو نواس، حيث لم يسبق إلى مثل هذا.

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:38.

[2] **المصدر السابق**. ص:44.

[3] **المصدر السابق**. ص:93.

[4] **المصدر السابق**. ص:96.

[5] **المصدر السابق**. ص:159.

[6] **المصدر السابق**. ص:215.

[7] **المصدر السابق**. ص:224.

[8] **المصدر السابق**. ص:375.

المطلب الرابع عشر: العمر الزمني للخمرة.

ومن ذلك قوله:

أبينـي لنـا يـا خمـرُ! كـم لـكِ حِجَّـةً؟ فقالـتْ: لَحَـاكَ اللهُ! لسـتُ بـذاكِرِ

شـهدتُ ثمُـودًا حـينَ حـلّ بـها البِلـى وأدركـتُ أيامًـا لعمـرِو بـنِ عـامرِ[1]

وقولـه: **ذَخـائِرُ كِسْـرَى لِأَوْلادِهِ وغـرسُ كـرامِ بنـي الأَصْـفَرِ**

فقـالوا لـهم: إنّمـا خيلُنـا سـلافَةُ كـرْمِ بنـي قَيْصَـرِ[2]

وقولـه: **فقلتُ لها: يا خمرُ كَمْ لكِ حِجّةً؟ فقالـتْ: سـكنتُ الـدنَّ رِدْحًـا مِـنَ الـدهرِ**

فقلـتُ لـها: كسـرى حـواكِ؛ فَعَبَّسَـتْ وقالـتْ: لقـد قَصَّـرْتَ فـي قِلـةِ الصّـبرِ

سمعـتُ بـذي القـرنينِ قبـلَ خروجِـهِ وأدركـتُ موسـى قبـلَ صـاحبهِ الخِضـرِ

ولَـوْ أننـي خُلِّـدْتُ فيـهِ سَـكَّنْتُهُ إلـى أن ينـادي طـائفُ اللهِ بالحَشْـرِ[3]

وقولـه: **مـن مُـدامٍ مُعَتَّـقٍ أَخْرَسَتْـهُ حِقْبـةُ الـدهرِ بعـدَ طـولِ الهـديرِ**[4]

وقولـه: **بِنـتُ دَهْـرٍ هُجِّـرَتْ فـي دَنِّـها وَرَمَـتْ كُـلَّ قَـذاةٍ ودَنَـسْ**[5]

وقولـه: **فَسَـقِّنِيها سُـلافًا سَلْسَـلًا حُجِبَـتْ فـي دَنّهـا حِقَبًـا فـي رُكْـنِ دِيمَـاسِ**[6]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:228.

[2] **المصدر السابق**. ص:231.

[3] **المصدر السابق**. ص:236.

[4] **المصدر السابق**. ص:236.

[5] **المصدر السابق**. ص:309.

[6] **المصدر السابق**. ص:310.

وقوله: **ذَخيرةُ نوحٍ في الزمانِ الذي اجْتَنَى فَأَدْخَلَهـا فـي الفُلـكِ إذا ركِـبَ الفُلْكَـا**[1]

وقولـه: **ذُخِـرَتْ لآدمَ قبـلَ خِلْقَتِـهِ فَتَقَدَّمَتْـهُ بِخَطْـوَةِ القَبْـلِ**[2]

يود الشاعر أن يخبر عن قدم الخمرة التي يشربها وبأنها معتقة، فهي عنده: من أيام عمرو بن عامر، وكسرى، وبني الأصفر، وبني قيصر، وذي القرنين، وموسى، يوم الحشر، ذخيرة نوح، بنت دهر، وآدم –عليه السلام– وهكذا.

المطلب الخامس عشر: تشبيه الخمرة بالعجوز الشمطاء.

قولـه: **شـمطاءُ، تَـأْبَى أن يـدوسَ أديمَهـا أَيْـدِي الرجـالِ ومـا بهـا اسـتِنْكَارُ**[3]

وقولـه: **فـي بيـتِ كـافرةٍ بـالخَمْرِ تـاجرَةٍ شَـمْطاءَ شـاطِرَةٍ تعتـزُّ بـالوالِي**[4]

وقولـه: **ولكـن عجـوزا بنـت كسـرى قديمـةً معتقـةً قـد دبَّ فـي طيهـا الحِلْـم**[5]

فالخمرة هنا يشبهها أبو نواس بأنها شمطاء لا تدوسها أيدي الرجال، وهي أقامت في بيت كافرة فترة من الزمن، وهي عجوز بنت كسرى قديمة ومعتقة.

المطلب السادس عشر: مشاعر الخمرة وإحساسها.

وقولـه: **فجـاءَ بِهـا قدْ أَنْهَـكَ الغَمْـوُ جِسْمَهـا وأوجعَهـا فـي الصّـيْفِ حـرُّ الهَواجِـرِ**[6]

وقوله: **صفراءُ تضحكُ عندَ المزجِ منْ شَغَبٍ كـأنَّ أعيُنَهـا أنصـافُ أَجْـراسِ**[7]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:401.

[2] **المصدر السابق**. ص:414.

[3] **المصدر السابق**. ص:235.

[4] **المصدر السابق**. ص:428.

[5] **المصدر السابق**. ص:467.

[6] **المصدر السابق**. ص:228.

[7] **المصدر السابق**. ص:310.

وقولــه: **حتّـــى إذا سَـــكَنَتْ جوامِحُهـــا كَتَبَـــتْ بمثـــلِ أَكَـــارعِ النَّمْـــلِ**[1]

وقولــه: **حتّـــى إذا صَـــبَّها مُفَدَّمَـــةً تضـــــحَكُ عـــــن جَـــــوْهراتِ لأّالِ**[2]

وقولـه: **تَفْتـرُّ فـي أَوْجِـهِ النَّـدْمانِ ضـاحِكَةً كمثـــلِ دُرٍّ وَهَـــى مـــن كـــفِّ لأّال**[3]

يحاول أبو نواس أن ينقل الخمرة من صفة الجمود إلى صفة الحيوية والمشاعر والحركة كالكائن الحي. فهي: يوجعها حرّ الصيف والهواجر، وهي صفراء تضحك عند المزج، وعند صبّها مفدمة تضحك عن جواهر ولآلئ، وهي تفتر في أوجه النّدمان ضاحكة؛ ولذا فهي عند أبي نواس، كائن حي له مشاعره وأحاسيسه، يتألم ويتوجع ويضحك على سبيل التشخيص والتصوير.

المطلب السابع عشر: بين الأطلال والخمرة.

لقد جاء هذا العنوان مكملًا أو موضحًا ما بدأت به في رقم (1) عند حديثي عن الخمرة والمقدمة الخمرية بداية هذا الفصل.

إن ثورة "أبي نواس" الفنية على المقدمة الطللية يمكن أن ننظر إليها من خلال الفكر التجديدي لأبي نواس، والذي نلحظ فيه الآتي[4]:

- إن هذا الفكر التجديدي عند أبي نواس سبقه تمرد في العصر الجاهلي من قبل الصعاليك؛ عندما انعكس تمردهم على العقد الفني في بناء القصيدة العربية، كما سبق أيضًا بغيره من الشعراء، الذين سبقوه كبشار بن برد.

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:414.

[2] **المصدر السابق**. ص:422.

[3] **المصدر السابق**. ص:428.

[4] التطاوي، عبدالله: **مرجعية الشعر العباسي بين الخبر والنص**. ط:1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2006م، ص:35-37.

- بدت دوافع أبي نواس في حركته مشبوهة بدافع شعوبي غير فني؛ فهدف أبي نواس ليس الهجوم على الطلل؛ بقدر ما هو هجوم على العرب وتحقيرٌ لهم ونيلٌ منهم ومن تراثهم، واتهامٌ لهم بالغباء والتخلف، كقول أبي نواس:

دعْ الأطـــــلالَ تَسْـــــفيها الجَنُـــــوبُ وَتُبْلـــــي عهـــدَ جِـــدَّتها الخطـــوبُ

ولا تأخـــذْ عـــن الأعـــرابِ لهـــوًا ولا عيشًـــــا فعيشُـــــهمْ جَـــــديبُ

إذا راب الحليـــــبُ فَبُـــــلْ عليـــــهِ ولا تُخْـــرَجْ فمـــا فـــي ذاكَ حـــوبُ[1]

- لم تجد دعوى أبي نواس أتباعًا وتلاميذ يستكملون مسيرتها ويتابعونها، فهي تكاد تكون قد ماتت بموت صاحبها؛ فبدت نوعًا من التمرد العارض الذي لم ينل التوفيق والاستمرارية.
- لم يستطع أبو نواس الالتزام بما طرحه نظريًّا، وخاصة في مدائحه الرسمية في مجالس الخلفاء وولاة العهد والأمراء وغيرهم؛ إذ كان عليه أن يلتزم بمقومات القصيدة العربية الرسمية والأصلية.
- لم تقم ثورة أبي نواس هذه على أصول نظرية واضحة المعالم، وإلا لوجدت لها أتباعًا وأنصارًا، يحافظون عليها وعلى استمراريتها وعدم أفولها.
- وفي كل ذلك نجد حركته تظل بمثابة صوت شعوبي متضخم، فيه من الحقد والعداء لكل ما هو عربي قديم.

إن موقف أبي نواس من القصيدة العربية والتي هي أساس هجومه عليها، يتجلى ذلك حين سلط سخريته على الطلل وأصحابه، ونظرًا لوجود من سبقه إلى هذا الموقف من قبيل عمرو بن كلثوم والأعشى وبشار؛ فهذا يثبت أنها صدرت عن شاعر شعوبي أكثر منه كشاعر فنان. ولعل فشل

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:32.

الحركة النواسية هذه يثبت صلاحيته القديمة ورسوخه وثباته أمام المستجدات الفنية الأخرى[1]. ومن طلل أبي نواس الخمري قوله:

عــــدِّ مـــــن رســـــمٍ وعـــــن كُثُـــــبٍ والـــــهُ عنـــــه بابنـــــةِ العنـــــبِ

بـــــالتي إن جئـــــتُ أخطِبهـــــا حُلِّيَـــــتْ حَلْيَـــــا مـــــن الـــــذهبِ[2]

وإذا ما تم استعراض ديوان أبي نواس، وتعرضنا لعدد القصائد والأبيات التي تعرض فيها أبو نواس لذكر الأطلال نجدها بلغت سبعة وثلاثين موضعًا، منها خمسة مواضع دون أن يذكر فيها الخمرة، في حين ذكر الخمرة مع الأطلال في اثنين وثلاثين موضعًا، فمثلًا نجده يذكر الخمرة بعد ذكره للأطلال في قوله:

أيـــا بـــاكيَ الأطـــلالِ غَيَّرَهـــا البِلَـــى بكيْـــتَ بعـــينٍ لا يجـــفُّ لهـــا غَـــرْبُ

أتنعـــتُ دارًا قـــد عَفَـــتْ، وتغيّـــرَتْ فـــإني لِمَـــا ســـالمْتَ مـــن نعتِهـــا حـــربُ

ونَدْمـــانِ صـــدْقٍ بـــاكرَ الـــراحَ سُـــحْرةً فأضـــحى، ومـــا منْـــهُ اللســـانُ ولا القلـــبُ[3]

فالشاعر هنا يدعو على باكي الأطلال بأن يبقى يبكي ولا يجف له دمع، وعلى الأطلال بأن تغيرها المصائب لا أن تتغيّر مع طول الزمن. ثم يدعو على الأطلال في قصيدة أخرى فيقول:

دع الأطـــــلالَ تَسْـــــفيها الجَنـــــوبُ وتُبْلِـــــي عهـــــدَ جِـــــدَّتِها الخطـــــوبُ

إلـى قولـه: **فأطيـبُ منـه صـافيةٌ شَـمُولُ يطـــوفُ بكأسِـــها ســـاقٍ أديـــبُ**[4]

---

[1] التطاوي، عبد الله: **القصيدة العباسية؛ قضايا واتجاهات**. ط:1، مكتبة غريب، القاهرة، (د.ت)، ص:61-63.

[2] أبو نواس: **ديوانه**. ص:44.

[3] **المصدر السابق**. ص: 31.

[4] **المصدر السابق**. ص:32.

وأجد الشاعر هنا يتفنن في عرض سلبيات حياته ومجونه وزندقته وخمرته وشعوبيته وغزله بالمذكر، وينهي قصيدته هذه بإعلانه في نهايتها صراحة بعدم توبته، فيقول:

غـــررتِ بتـــوبتي ولَجَجْـــتِ فيهـــا فَشُـــقِّي اليـــومَ جيبَـــكِ لا أتـــوبُ[1]

ثم يستخدم الشاعر فعل الأمر –في الشطرين– أولهما لترك الأطلال والابتعاد عنها، وثانيهما للإقبال على الخمرة، فيقول:

عَـــدِّ عـــن رســـمٍ وعـــن كُثُـــبِ والْـــهُ عنـــه بابنَـــةِ العِنَـــبِ[2]

أما في بائيته التي بدأها محييًا أطلال سيحان والعذب وبرع والبئر، ثم ذكر عفر الظباء والسَّرحاء (نوع من الشجر). ثم منازل لجذام (من قبائل العرب)، ثم أخذ يذم القبائل العربية ويهجوها بطريقة شعوبية ذميمة لكل القبائل العربية –وإن ذكر بعضها– ومفتخرًا بالفرس وحضارتهم، ومن قصيدته هذه قوله:

ألا حَـــيِّ أطـــلالًا بسَيْحَـــانَ، فالعـــذبِ إلـــى بُـــرَعٍ فـــالبئرِ بئـــرِ أبـــي زُغْـــبِ

منـــازلُ كانـــتْ مـــن جُـــذامٍ وَفَرْتَنَـــى وتِرْبِهـــا هنـــد، فأبرحـــتَ مِـــنْ تِـــرْبِ

إذا مـــا تميمـــيٌّ أتـــاكَ مُفـــاخِرًا فقـــلْ عـــدِّ عـــنْ ذا كيـــفَ أكلُـــكَ للضـــبِّ

تفـــاخرُ أبنـــاءَ الملـــوكِ ســـفاهَةً وبولُـــكَ يَجْـــري فـــوقَ ســـاقِكَ والكَعْـــبِ

فـــنحنُ مَلَكْنـــا الأرضَ شَـــرْقًا ومغربًـــا وشـــيخُكَ مـــاءٌ فـــي الترائِـــبِ والصُّـــلْبِ

إلى قوله: **سأبغي عليكم يا بَني وَذَحِ اسْتِها مثالـــبَ أعيـــا دونَهُـــنَّ أخـــو كلـــبِ**[3]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:33.

[2] **المصدر السابق**. ص:44.

[3] **المصدر السابق**. ص:76–78.

ومن قصائده الأخرى التي يجعل فيها الخمرة ستارًا يسدل به ذكر الأطلال، وذمه لها وعدم محبته لوصفها أو النسيب أو التشبيب بالمحبوبة على أوتارها، قوله:

لا تبــكِ ليلــى، ولا تطــربْ إلــى هنــدِ واشـربْ مـن الـوردِ مـن حمـراءَ كالـوردِ[1]

وقولـه: **عـاجَ الشـقيُّ علـى دارٍ يسـائلُها وعجــتُ أســألُ عــن خمــارةِ البلــدِ**[2]

وقولـه: **لا تبــك رسـمًا بجانــب السَّــنَدِ ولا تجـــــد بالـــــدموع للجَـــــرَدِ**

ولا تعـــــرج علـــــى مُعَطّلَـــــةٍ ولا أثـــــافٍ خلـــــت ولا وتـــــد

ومِــلْ إلــى مجلــسٍ علـــى شــرفٍ بـــالكرخ بـــين الحديـــقة معتمَـــدِ[3]

ومنه قوله عندما يلقي قصيدة في حضرة الخليفة أو السلطان؛ فإن عليه أن يلتزم بمعايير القصيدة العربية الجاهلية:

أعِــرْ شِــعْرَكَ الأطــلالَ والــدمنَ القَفْــرَا فقــد طــالَ مــا أَزْرى بــه نعتُــك الخَمْــرا

دعــاني إلــى نَعْــتِ الطَّلــولِ مُسَــلَّطٌ تضــيقُ ذراعــي أَنْ أجــوزَ لــهُ أَمْــرا

فَسَــمْعٌ أميــرَ المــؤمنينَ وطاعــةٌ وإنْ كنــتَ قــد جَشَّــمْتَنِي مَرْكبًــا وَعْــرَا[4]

وقولـــه: **دَعْ لِبَاكيهـــا الـــدِّيارا وانـــفِ بـــالخَمْرِ الخُمـــارا**[5]

وقولـه: **قـلْ لِمَـنْ يبكـي علـى رَسْـمٍ دَرَسْ واقفًــا مــا ضَــرَّ لــو كــانَ جَلَــسْ**

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:150.

[2] **المصدر السابق**. ص:150.

[3] **المصدر السابق**. ص:159.

[4] **المصدر السابق**. ص:203-204.

[5] **المصدر السابق**. ص:205.

اتـــــركِ الرَّبْـــــعَ وســـــلمى جانبًـــــا واصْـــطَبِحْ كرخِيّـــةً مثـــلَ القَـــبَسْ[1]

وقولـه: **اربَـعْ علـى الطّلَـلِ الـذي انْتَسـفَتْ منـــــه المعـــــالمَ أَنجُـــــمُ النَّحْـــــسِ**

إلـى قولـه: **وَحَلَلْـتَ عِقْـدَ هـوايَ مُقْتَصِـرًا لصَـــبوحِ مُوفيـــةٍ علـــى الشّـــمْسِ**[2]

ثم نجده في هذه القصيدة يتغزل بالمذكر بعد أن يصف الخمرة، فيقول:

وثَنَـــــى يُغَنِّينَـــــا مُعَارِضَـــــهُ: لمـــن الـــديارُ بجـــانبَيْ لجْـــسِ[3]

مما تقدم؛ ألحظ أن القصائد التي ذكرت فيها الأطلال دون الخمرة هي التي وردت في الصفحات الآتية من الديوان: (76، 186 (قصيدة مدحية)، 560، 566، 599)؛ أما القصائد التي ذكر فيها الأطلال والخمرة فهي إضافة لما ذكرته من النماذج السابقة، وردت في الصفحات الآتية من الديوان: (314، 326، 327، 417، 426، 429، 436، 449، 463، 499، 514، 519، 526، 529، 533، 588، 589، 606).

كما لاحظت أن جلّ هذه القصائد قد اختلطت –إضافة إلى الخمرة– بالغزل بالمذكر، أو الغزل أحيانًا، أو الشعوبية، أو المدح، أو المجون والوصف وغير ذلك؛ وهذا يدل دلالة واضحة على أثر الخمرة على عقل الشاعر، وعلى نفسيته وسلوكه العادي والشعري.

المبحث الثاني: الزندقة.

اتهم أبو نواس بالزندقة، فكانت مانعًا من تداول شعره، والزندقة مما عرف في العهد العباسي؛ حيث أخفى بعض المولدين، خاصة أهل فارس كفرهم خوف القتل، وكانت من المذاهب التي شدد عليها خلفاء بني العباس ولاحقوا أهلها، والدارس لديوان أبي نواس يرى مجاهرته بالفسق والكفر

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:309.

[2] **المصدر السابق**. ص:312.

[3] **المصدر السابق**. ص:313.

ومخالفة آراء الأنبياء، ولا أظن حذّاق الشعر أغفلوا هذه ولم يتنبهوا لها، فكانت أحد أسباب عزوف النقاد عن شعره، وجعله حلقة نقد وجدل، وأول من ألصق هذه الصفة بأبي نواس حيث روى الربيعي قال: دخل "الحسن بن هانئ" فيما حدثني، على أمير المؤمنين فقال: يا حسن بن هانئ! قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: إنك زنديق، فقلت يا أمير المؤمنين وأنا أقول مثل هذا الشعر:

أُصـلّي صـلاةَ الخمـسِ فـي حـينِ وقتِهـا وأشـــــهدُ بالتوحيـــــدِ للهِ خاضـــــعًا

وأجعـــلُ تخليـــطَ الـــروافضِ كُلِّهـــم لفقحـــةِ بختيشـــوعَ فـــي النـــارِ طابِعًـــا[1]

فقال لي: كيف وقعت على فقحة بختيشوع ويلك؟ قلت بها تمت القافية، فضحك وأمر لي بجائزة وانصرفت"، وكانت هذه الصفة مما لازم أبا نواس، حيث ذمّ المأمون أخاه الأمين على المنابر، وذكر في مذامه أنه صحب شاعرًا من أمره أن يجاهر بالمعاصي" ووصفه الثعالبي بإمام الباطل، وتنبه للزندقة المعري، وتحدث عن أبي نواس في "الغفران"، وذكر صاحب كتاب الورقة جماعةً من الشعراء في طبقة أبي نواس ومن قبله ووصفهم بالزندقة[2].

لقد أوجد الموالي الذين دخلوا الإسلام ولم يَحْسُنْ إسلامهم طبقة الشعوبية، التي كان لها الدور الأبرز في نشوء الزندقة وتطورها، والزندقة والمجون بينهما صلة قوية، وإن "هدارة" يرى أن المجون أول درجات الزندقة[3]، وإن كنت أرى أن الانحلال الشعوبي والبعد عن الإسلام ودعوته للإباحية والمجون، والزندقة هي التي غالبًا ما تؤدي بصاحبها إلى المجون[4]. ولعل انتشار دور القيان والخمارات والحانات والغلاميات، والكتب التي تدعو إلى التحلل الخلقي؛ كل ذلك أدى لنشر الفسق والمجون

---

[1] الخلايلة، محمد خليل: **جدلية أبي نواس وعلماء القرن الخامس والسادس والسابع الهجري**. أطروحة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، 2005م، ص:19.

[2] **السابق نفسه**. ص:19.

[3] غوادرة، فيصل: **التمرد في شعر العصر العباسي الأول**. ط:1، دار جهينة للتوزيع والنشر، عمّان، الأردن، 2005م، ص:86.

[4] هدارة، محمد مصطفى: **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري**. ص:222.

والتهتك، ونجد أن المنصور (قبل المهدي) قتل ابن المقفع بسبب الزندقة، ونجد خلفاء بني العباس وعلماء الدين يقفون بكل قوة في وجهة الزندقة؛ لدورها الخطير على الدين الإسلامي،[1] ومنهم من يعرّف الزندقة بأنها إضمار الكفر وإخفاؤه وإظهار الإيمان[2] ويمكن الفصل بين الزندقة والشعوبية، فالزندقة أخذت المنحى الديني والعقائدي، أكثر من الشعوبية التي تجلت في المعنى السياسي والاجتماعي والثقافي، فقد شكل الزنادقة تمردًا على الدين والعقيدة والأخلاق فكرًا وسلوكًا واتجاهات[3] وقد انتشرت أشعار الزندقة عند كثير من شعراء العصر العباسي، فنجد أبا نواس يحمل راية الزندقة دون خجل أو وجل، حتّى وجدتها تكاد تزيد على أكثر من عشرين قصيدة أو مقطوعة أو موضع في قصيدة, أكثرها يتحدث فيها أبو نواس عن معشوقته وحامل رايتها –كذلك– وهي الخمرة، فهو في المقطوعة الأولى والتي يتحدث فيها عن سلوك من سلوكات الزنادقة، ذاكرًا الخمرة، فيقول:

ولكـــنْ: سَـــقِّني، ويقـــول أيضًـــا عليـــكَ الصِّـــرْفُ إن أعيـــاكَ مـــاءُ

إذا أدركتـــــه الظهـــــرُ صـــــلّى ولا عصـــــرٌ عليـــــه ولا عِشـــــاء

يصـــلي هـــذه فـــي وقـــت هـــذي فكـــلُّ صـــلاتِهِ أبـــدًا قضـــاءُ[4]

ثم يقول في قصيدة أخرى يذكر فيها الخمرة:

أعـــاذلتي اقصـــري عـــن بعـــضِ لـــومي فراجـــي تـــوبتي عنـــدي يخيـــبُ

تعيبـــين الـــذنوبَ، وأيُّ حُـــرٍّ مـــن الفتيـــان لـــيس لـــه ذنـــوبُ

---

[1] غوادرة، فيصل: **التمرد في شعر العصر العباسي الأول**. ص:86.

[2] **المرجع السابق**. ص:281.

[3] **المرجع السابق**. ص:87.

[4] أبو نواس: **ديوانه**. ص:9.

إلى قوله: **غررت بتوبتي، ولَجَجْتِ فيها فَشُقِّي اليومَ جَيْبَكِ لا أتوبُ**[1]

فالشاعر هنا يعلن بكل صراحة بأنه لن يتوب عن فعل المعاصي، وسيبقى سائرًا في غيّه وتيهه.

ويعلن معصيته لله ويجاهر بها فيقول ذاكرًا الخمرة:

يا أحمدَ المرتجى في كلِّ نائبةٍ قمْ سيدي نَغْصِ جبّارَ السماواتِ

وهاكَها قهوةً صهباءَ صافيةً منسوبةً لقرى هِيتِ وعاناتِ[2]

وفي قصيدة له يجاهر بموبقاته من زندقة ومجون وخمرة، وترك للعبادات أو تكاسل عن أدائها، وعدم أداء الأمانة، موحيًا بالانشغال بالزنى واللواط وسائر ما يغضب الله –عز وجل– ومن ذلك قوله عقب سؤاله لفقيه يفتيه في أسئلته، حيث يظهر أن هذا المفتي، هو من جنس أبي نواس وشبيه له:

إني قصدْتُ إلى فقيهٍ عالِمٍ متنسكٍ حَبْرٌ مِنَ الأحْبارِ

قلت: النبيذُ تُحِلُّه؟ فأجاب: لا إلّا عُقَارًا ترتمي بشرارِ

قلت: الصلاةُ؟ فقال: فرضٌ واجبٌ صَلِّ الصلاةَ وبتْ حليفَ عُقارِ

اجمعْ عليكَ صلاةَ حولٍ كاملٍ من فرضِ ليلٍ فاقضِهِ بنهارِ

قلتُ: الصيامُ؟ فقال لي: لا تَنْوِهِ واشدُدْ عُرَى الإفطارِ بالإفطارِ

وقوله: **لا تأتينّ بلادَ مكةَ محْرِمًا وَلَوْ أَنَّ مكةَ عندَ بابِ الدارِ**

وقوله: **قلتُ الأمانةَ هل تُرَدُّ؟ فقال لي: لا تردُدْ القِطْميرَ مِنْ قِنطارِ**

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:33.

[2] **المصدر السابق**. ص:98.

إلى قوله: **ودنا إليَّ وقال: نُصْحُكَ واجبٌ زَيِّنْ خِصالَكَ هذهِ بِقِمَارِ!**[1]

وفي قصيدة أخرى يصرح أبو نواس عن قلة دينه وإيمانه فيقول:

قالوا: اغتسلْ أَتَتْ الظُّهْرُ، والكؤوسُ تدورُ

فقلتُ: سوفَ! فقالوا: تركُ الصلاةِ كبيرُ

فقلتُ: أكبرُ منهُ ظبيٌ يُنالُ غَريرُ

وما لِمِثْلِي صلاةٌ لأنَّ فِسْقِي شَهيرُ

إلى قوله: **إنَّ الجنابةَ ممنْ جَنُبْتُ منهُ طَهورُ**[2]

ومما قاله في قصيدة أخرى يكشف عما كان يفعله في الخفاء من معاصٍ فيقول:

تَجاسَرْتُ فأقدَمْتُ على كشفِ الهوى المُضْمَرْ

ولا واللهِ، لا واللـ ـهِ، لا واللهِ لا أُقْصِرْ

وقدْ شاعَ الذي أُخْفِي وقدْ كانَ الذي أَحْذَرْ[3]

وأجد أن هذه القصيدة، والتي قبلها وعنوانها "الذنب المغفور" تخلوان من الخمرة وذكرها[4].

ويقول أبو نواس في مقطوعة أخرى مصرحًا باسم الزندقة دون أن يذكر الخمرة:

قولا لإبراهيمَ قولًا هِتْرًا غَلَبْتَنِي زندقةً وكُفْرا[5]

---

1 أبو نواس: **ديوانه**. ص:225،226.

2 **المصدر السابق**. ص:246،247.

3 **المصدر السابق**. ص:250،251.

4 **المصدر السابق**. ص:250.

5 **المصدر السابق**. ص:281.

ومن قصيدة خمرية يصرح فيها ببعده عن الإسلام فيقول:

وضـــــــع الـــــــزِّقَّ جانبًـــــــا ومـــــــع الـــــــزِّقِّ مُصْـــــــحَفًا

خيـــــــرُ هـــــــذا بِشَـــــــرِّ ذا فـــــــإذا اللهُ قـــــــدْ عَفـــــــا

فلقـــــــدْ فـــــــازَ مَـــــــنْ مَحَـــــــا ذا بِـــــــذَا عنـــــــهُ واكْتَفَـــــــى[1]

ويجمع بين الخمرة والزندقة فيقول:

ولكنَّنِـــي أبكـــي علـــى الـــراحِ، إنهـــا حـــرامٌ علينـــا فـــي الكتـــابِ المُنَـــزَّلِ

سأشـــربُها صِـــرْفا، وإنْ هـــي حُرّمـــتْ فقـــدْ طـــالَ مـــا واقعـــتُ غيـــرَ مُحَلَّـــلِ[2]

ويعلن تخليه عن الصوم والصلاة فيقول:

واشـــــــربْ الـــــــراحَ ودَعْنـــــــي مِـــــــنْ صـــــــلاةِ كـــــــلِّ يـــــــومِ

وإذا مـــــــا حـــــــانَ وقـــــــتٌ لصـــــــــــــلاةٍ أوْ لصـــــــــــــومِ

فـــــــارفَعْ الصـــــــوْمَ بشـــــــربٍ وامـــــــزُجِ الخمـــــــرَ بنـــــــوْمِ[3]

وفي قصيدة أخرى خمرية يعلن فيها أن اللذاذة في الحرام:

فخـــــذها إنْ أردتَ لذيـــــذَ عـــــيشٍ ولا تعـــــدِلْ خليلـــــي بالمـــــدامِ

وإن قـــــالوا: حـــــرامٌ؟ قـــــل حـــــرامٌ! ولكـــــنَّ اللـــــذاذةَ فـــــي الحـــــرامِ

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:357.

[2] **المصدر السابق**. ص:427.

[3] **المصدر السابق**. ص:477.

وخـــذ مـــن كـــفِّ جاريـــةٍ وَصِـــيفٍ رَخِـــيمِ الـــدلِّ ملثـــوغِ الكَـــلامِ[1]

وقوله في أخرى مع ذكر الخمرة:

اسْـــقِيانِي الحـــرامَ قبـــلَ الحـــلالِ وَدَعَـــانِي مِـــنْ دارسِ الأطـــلالِ

إنمـــا العـــيشُ فـــي مبـــاكرةِ الخَمْـــ ـــرِ وسُـــكْرٍ يـــدومُ علـــى كـــلِّ حـــالِ[2]

وقوله في أخرى مع ذكر الخمرة أيضًا:

أَنِفَـــتْ نَفْسِـــيَ العزيـــزةَ أنْ تَقْـــ ـــنَعَ إلّا بكـــلِّ شـــيءٍ حـــرامِ[3]

ويقول في مقطوعة أخرى عن تقصيره في الصيام:

وتُخْبِـــرُ مَـــنْ لاقَيـــتَ أنـــكَ صـــائمٌ وتَغْـــدو بِجُحْـــرٍ مُفْطِـــرًا غيـــرَ صـــائمِ[4]

ويقول في قصيدة له وفيها ذكر للخمرة الخسروية:

فَتَكْتَنِـــــــــي طِيزَنابـــــــــا ذَ وقـــــــدْ كنـــــــتُ تَقِيّـــــــا

إذْ تركـــــــتُ المـــــــاءَ فيهـــــــا وشـــــــربتُ الخُســـــــرَوِيّا[5]

المبحث الثالث: الطرديات.

من كُتّاب الأدب ومُحَلِّلِي الآداب من يطلق على عملية الصيد وأدواته اسم الطرد، وهو مأخوذ من المطاردة التي تقوم بها كلاب الصيد أو الطيور التي تدرب على الصيد كالصقور، بالإضافة إلى

---

1 أبو نواس: **ديوانه**. ص:481.

2 **المصدر السابق**. ص:429.

3 **المصدر السابق**. ص:490.

4 **المصدر السابق**. ص:505.

5 **المصدر السابق**. ص:607.

الفرسان (الرجال) المهرة في عملية ملاحقة الطيور والغزلان والأرانب لاصطيادها، وقد قام كثير من الشعراء بوصف عملية الصيد هذه وتوثيقها شعرًا، وكان من بين هؤلاء الشاعر أبو نواس، الذي نظم في الطرد نحو خمسين قصيدة أو مقطوعة أو موضعًا، أثبت ذكر الخمرة في ثلاثة مواضع منها؛ وكأن الخمرة لا مجال لذكرها في رحلات الصيد البرية في الصحراء والجبال والأودية، فقد طغت عملية الصيد ورحلتها وأدواتها على ذكر الخمرة، وكان مما قاله أبو نواس ذاكرًا وواصفًا لعملية الطرد أو (الصيد) هذه قوله في قصيدته:

لمّـــا غـــدا الثعلـــبُ فـــي اعتدائِـــهِ والأجـــلِ المقـــدورِ مـــنْ ورائِـــهِ

صَـــبَّ عليـــه اللهُ مـــن أعدائِـــهِ ســـوطَ عـــذابٍ، صُـــبَّ مـــن ســـمائِهِ

إلـى قولـه: **فَفَحَـصَ الثّعلـبُ فـي دمائـهِ يـا لـكَ مِـنْ عـادٍ إلـى حَوْبائِـهِ**[1]

وفي لوحة طردية وصفية أخرى يقول أبو نواس:

ثـــمَّ ابْتَـــدَرْنا الطيـــرَ فـــي اعتلائِهـــا بنادقًـــا تُعْجِـــبُ لاســـتوائِها

لا تُحْـــوِجُ الرامـــي إلـــى انتِقائِهـــا فَهْـــيَ تُراقـــي الطيـــرَ فـــي ارْتِقائِهـــا[2]

وفي لوحة أخرى استخدم فيها الشاعر كلب الصيد في طردياته فيقول:

لمّـــا تَبَـــدَّى الصـــبحُ مـــنْ حِجابِـــهِ كطلعـــةِ الأشـــمطِ مـــن جِلبابِـــهِ

هِجْنـــا بكلـــبٍ طالَمَـــا هِجْنـــا بـــهِ يَنْتَســـفُ المِقْـــوَدَ مِـــنْ كَلَّابـــهِ

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:22.

[2] **المصدر السابق**. ص:23.

مِـــنْ صَـــرَخٍ يغلـــو إذا اغلَـــوْلى بـــه ومَيْعـــةٍ تغلـــبُ مـــنْ شَـــبابِهِ[1]

ويقول في أخرى: **ربَّما أغدو معي كلْبي طالبًـــا للصـــيدِ فـــي صَـــحْبِي**

فَسَـــــمَوْنا للحَزِيـــــزِ بـــــهِ فـــــدفَعْناهُ علـــــى أَظْـــــبِ

وقولـــه: **ففـــرَى جُمَّـــاعَهُنَّ كَمـــا قُـــدَّ مُخْلَـــوْلانِ مـــن عُصْـــبِ**

وقولـــه: **فَتعايـــا التـــيسُ حـــينَ كَبَـــا وَدَنـــا فـــوهُ مِـــنَ العَجْـــبِ**[2]

ومن لوحة أخرى يَخْسَرُ فيها أبو نواس كلبه المخصص للصيد بسبب أفعى لدغته:

يـــا بـــؤسَ كلبِـــي ســـيدِ الكـــلابِ قـــدْ كـــانَ أغنـــانِي عـــنْ العُقـــابِ

فبينمـــا نحـــنُ بـــهِ فـــي الغـــابِ إذْ بَـــرَزَتْ كالحـــةُ الأَنْيـــابِ

رقشـــاءُ جـــرداءُ مـــن الثيـــابِ كأنّمـــا تُبْصِـــرُ مِـــنْ نقـــابِ

فَعَلِقَـــتْ عُرْقُوبَـــهُ بنـــابِ لـــمْ تَـــرْعَ لـــي حَقًّـــا ولـــمْ تُحـــابِ

فخـــرَّ وانْصـــاعَتْ بـــلا ارتيـــابِ كأَنَّمـــا تـــنفخُ مِـــنْ جِـــرابِ[3]

وفي لوحة طردية أخرى يستخدم فيها الفرس الأصيل رمحه:

قـــدْ أغتـــدي والليـــلُ فـــي إهابِـــهِ أدعـــجُ مـــا جُـــرِّدَ مـــن خِضـــابهِ

مُلْتَهِبًـــا يســـتنُّ فـــي التِهابِـــهِ كأنمـــا البيـــداءُ مِـــنْ نهابِـــهِ

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:84.

[2] **المصدر السابق**. ص:85.

[3] **المصدر السابق**. ص:88.

فحـــازَهُ بـــالرمحِ فـــي إعجابـــهِ شـــكّ الفتـــاةِ الـــدرِّ فـــي أَحزابِـــهِ[1]

وفي أخرى يقول:

يـــا رُبَّ غيـــثٍ آمِـــنِ السُّـــرُوبِ حُبارِيـــــاتِ جلْهَتَـــــيْ مَلْحـــــوبِ

إلـى قولـه: **فـانقضَّ مِثْـلَ الحَجـرِ المنـدوبِ منكَفِتًـــــا تكفّـــــتَ الجَنِيـــــبِ**

وقولـه: **فاصـطادَ قبـلَ سـاعةِ التأويـبِ خمســـينَ فـــي حســـابِهِ المحســـوبِ**

فـــالقومُ مِـــنْ مُقْتَـــدِرٍ مُصِـــيبِ ومُعجَـــلِ النشـــلِ عـــن التَّضْـــهيبِ[2]

ويقول في لوحة أخرى حيث برزت كلاب الصيد للانطلاق نحو فرائسها:

قـــد أغتـــدي والطيـــرُ فـــي مثْواتِهـــا لـــم تُعْـــرِبْ الأفـــواهُ عـــنْ لُغَاتِهـــا

بِأَكْلُـــــبٍ تمـــــرحُ فـــــي قـــــداتِها تعـــدّ عِـــينَ الـــوحشِ مـــن أقواتِهـــا

إلـى قولـه: **إنّ حيـاةَ الكلـبِ فـي وفاتِهـا حتّـــى تَـــرَى القِـــدْرَ علـــى ميقاتهـــا!**

كثيـــرةَ الضـــيفانِ مـــن عُفَاتهـــا تقـــذفُ جالاهـــا بجـــوزِ شـــاتِها[3]

ويقول في لوحة طردية أخرى على قافية الجيم المكسورة، مستخدمًا بعض الكلمات الفارسية:

قـــد أغتـــدى قبـــلَ الصـــباحِ الأبلـــجِ وقبـــلَ نَقْنَـــاقِ الـــدّجاجِ الـــدُّجَّجِ

وقولـه: **ومِنْسَـــرٍ أَقْنَـــى رُحـــابِ المَضْـــرَجِ حتّـــى قَضَـــيْنا كـــلَّ حـــاجِ مُحْـــتَجِ**

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:89،91.

[2] **المصدر السابق**. ص:91،92.

[3] **المصدر السابق**. ص:111،112.

وقولـه: **مـن مِثْـلِ حـرفِ المِجْـدَحِ المُعَـبَّجِ فظـــلَّ أصـــحابي بعـــيشٍ سَجْسَـــجِ**

مـــن زَهَـــمِ الصـــيدِ وشـــرْبِ النَّجْـــنَجِ تَـــراهُمْ مِـــنْ مُعْجِـــلٍ ومُنْضِـــجِ[1]

وقد استخدم الشاعر في هذه اللوحة كلمتي (شرب النجنج) وهو شرب الخمرة. وهذا ما لم أجده في قصائده السابقة.

وفي لوحته التي بعنوان (قتال لا جناح به) أجد الشاعر يلجأ إلى أسلوب الطرد بطريقة رمزية؛ فهو يقصد بطرديته هذه الخمرة والنساء والزنا، ولا يقصد صيد الطيور أو الأرانب والظباء فيقول:

بُزاتُنـــــــــــا الأقـــــــــداحُ دُرَّاجُهُـــــــــنَّ الـــــــــرّاحُ

قِسِـــــــــيّنا عيـــــــــدانٌ أوتارُهـــــــــا فِصـــــــــاح

وصـــــــــيدُنا ظِبـــــــــاءُ كأنّهـــــــــا الصـــــــــباحُ[2]

وفي أخرى: **قد أغتدي في فَلَقِ الإصباحِ بمطْعَـــمٍ يُـــوجِزُ فـــي سَـــراحِ**

فهـــو كمـــيشٌ ذَرِبُ الســـلاحِ لا يسْـــأَمُ الـــدهرَ مـــن الضّـــباحِ

حـــينَ دَنـــا مـــنْ راحـــةِ المشـــاحِ أَجِـــدُّ فـــي الســـرعةِ مـــنْ سَـــرْياحِ[3]

وأجد هنا إشارة من الشاعر إلى الخمرة.

ويقول في طردية أخرى:

لا صَـــيْدَ إلّا بالصـــقورِ اللُّمَّـــحِ كـــلّ قطـــاميّ بعيـــدِ المَطْـــرَحِ

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:120،121.

[2] **المصدر السابق**. ص:144.

[3] **المصدر السابق**. ص:146،147.

إلـى قولـه: **فاصـطادَ قبـلَ التعـبِ المُبـرَّحِ وقبـــــلَ أَوْبِ العـــــازبِ المـــــروّحِ**

خمســـــينَ مِثْـــــلَ العَنَـــــزِ المُشَـــــدَّحِ مـــا بـــين مـــذبوحٍ ومـــا لـــم يُـــذْبَحِ[1]

ويقول في مقطوعة طردية خمرية أخرى:

حلفـــــــتُ اليـــــــومَ بـــــــالطُّنبو رِ والكَعْبَـــــــــــيْنِ والنّـــــــــــردِ

وبالشـــــــرْبِ مِـــــــنَ الـــــــرّاحِ علـــــــى النِّسْـــــــرِينِ والـــــــوَرْدِ

وصـــــــيدِ البـــــــازِ والشَّـــــــا هـــــــينِ والأكلُـــــــبِ والفَهْـــــــدِ[2]

ومن قصائده ومقطوعاته التي يكرر فيها كلمة (قد أغتدي) في طردياته:

قـــدْ أغتـــدي والليـــلُ فـــي اعْتِكـــارِهِ بأغضـــفِ يمـــوحُ فـــي شِـــوارِهِ[3]

وقولـه: **قـــدْ أغتـــدي والصـــبحُ مشـــهورُ قـــدْ طلعـــتْ فيـــهِ التباشـــيرُ**[4]

وقولـه: **قـدْ أغتـدي، والليـلُ داجٍ عَسْـكَرُهْ والصـــبحُ يَفْـــرِي جُلَّـــهُ ويَـــدْحَرُهْ**[5]

وقولـه: **قدْ أغتدي، والصبحُ مخمرٌ الطُّرَرْ والليـــلُ تحـــدوهُ تباشـــيرُ السَّـــحَرْ**[6]

وقولـــه: **قـــدْ أغتـــدي بـــزُرَّقٍ جُـــرَازِ مَحْـــضٍ رقيـــقِ الـــزَّفِّ والطِّـــرازِ**[7]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:147-148.

[2] **المصدر السابق**. ص:178.

[3] **المصدر السابق**. ص:296.

[4] **المصدر السابق**. ص:296.

[5] **المصدر السابق**. ص:300.

[6] **المصدر السابق**. ص:302.

[7] **المصدر السابق**. ص:303.

وقولـه: **قـدْ أغتـدي قبـلَ طلـوعِ الشـمسِ بـــأَحْجَنِ الخطْـــمِ كَمِـــيّ الـــنفْسِ**[1]

وقولـه: **قـدْ أغتــدي والليــلُ ذو غَيَاطِــلٍ هـــابي الـــدُّجَى مُضَـــرَّج الخصـــائلِ**[2]

وقولـه: **قـدْ أغتـدي والليـلُ فـي مكْتَمِـهِ بيؤيـــؤٍ أَسْـــفَعَ يُـــدْعَى باســـمِهِ**[3]

وقولـه: **قـدْ أغتـدي والصـبحُ فـي دُجـاهُ كَطُـــــرّةِ البُـــــرْدِ عَلامَتـــــاهُ**[4]

وفي نظرة تقييمية شاملة؛ وجدت أبا نواس قد استعمل في مطالع طردياته قوله: (وقد أغتدي) أكثر من عشر مرات، كما استخدم في المطلع لقوله: (أنعت كلبًا أو أعدَدْتُ كلبًا...)، وقد وجدت أن طردياته تخلو من ذكر الخمرة إلا في ثلاث مناطق، وقد أبنتها.

أما الطرد عند أبي نواس؛ فقد أصبح فنًا مستقلًا بذاته، فهو يودعه أوصاف ما يتوصّل به للصيد من حيوان وأدوات، وأوصاف مطاردات الوحوش البرية وما إلى ذلك، وقد اعتمد فيه الشاعر على الرجز، وواكب المعنى باللفظ، وكان أسلوبه مليئًا بالحيوية والتوثب، حافلًا بالدقة والإبداع، زاهيًا بألوان البديع وأصباغ الخيال، يقول في نموذج من طردياته:

أَنْعَـــتُ كلبًـــا أهلُـــهُ مـــن كَـــدِّهِ قـــدْ سَـــعِدَتْ جُدودُهُـــمْ بِجَـــدِّهِ

وكـــلُّ خيـــرٍ عنـــدهُمْ مِـــنْ عِنْـــدِهِ يـــظلُّ مـــولاهُ لـــهُ كَعَبْـــدِهِ

يبيـــتُ أدنـــى صـــاحبٍ مـــن مَهْـــدِهِ وإنْ عَـــرِيَ جلّلَـــهُ بِبُـــرْدِهِ

ذا غُـــرّةٍ مُحَجَّـــلًا بِزَنْـــدِهِ تلـــذُّ منـــهُ العـــينُ حُسْـــنَ قَـــدِّهِ

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:333.

[2] **المصدر السابق**. ص:458.

[3] **المصدر السابق**. ص:510.

[4] **المصدر السابق**. ص:602.

تأخيـــــر شِـــــذْقَيْهِ وطـــــولَ خـــــدّهِ تلقـــى الظِّبـــاءُ عَنَتًـــا مـــن طَـــرْدِهِ

يشـــــربُ كـــــأسَ شَـــــدَّها بِشَـــــدِّهِ يصـــــيدُها عِشـــــرينَ فـــــي مُرْقَـــــدِّهِ[1]

المبحث الرابع: المجون.

القصف والمجون لفظان قريبان من بعضهما متداخلان في المعنى، فكلاهما يعني اللهو والتهتك والانحلال وضياع الوقت في المعصية، وكلاهما يكمل معنى الآخر، وقد شكل أبو نواس لهذين الفنَّيْنِ مجالس أطلق عليها مجالس القصف أو مجالس الفسق والفجور؛ حيث يغشى أبو نواس في رحلاته الليلية والنهارية مع مجموعة من فتيان العهر هذه المجالس؛ ليرتكب في الحانات والنوادي أعمال الفجور وشرب الخمرة، والتغزل بالغلمان السقاة والغلاميات الساقيات؛ ليشبع نهمه وطمعه وفسقه وفجوره، وقد انتشر هذا اللون من الشعر ممزوجًا بالتهتك في أكثر من تسعين موضعًا في ديوانه، ذكرت الخمرة فيها في نحو ثمانين موضعًا من خريطة القصف والفجور.

ومن ذلك قوله في هذه اللوحة القصفية الخمرية مع فتيته:

فـــــي فِتْيـــــةٍ كالســـــيوفِ هَـــــزَّهُمُ شَـــــرْخُ شَـــــبابٍ وزانَهُـــــمْ أَدَبُ

وقولــه: **حتّـــى تخيـــرْتُ بِنْـــتَ دَسْـــكرةٍ قـــدْ عَجَمَتْهـــا السّـــنونَ والحِقَـــبُ**

إلــى قولــه: **يتلـــون إنجـــيلَهم وفـــوقَهُم ســـماءُ خمـــرٍ نجومُهـــا الحَبَـــبُ**[2]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:193.

– الفاخوري، حنّا: **الموجز في الأدب العربي وتاريخه**. ط:1، دار الجيل، بيروت، 1985م، ص:306.

[2] أبو نواس: **ديوانه**. ص:29–31.

وقولـه فـي أخرى: **وفتيـةٍ لا المِراءُ يشمُلُهُمْ زكَـــوْا فَعَـــالًا معًـــا ومُنْتَسَـــبَا**

وقولـه: **يسـعى علـيهم بالكـأسِ ذو نُطَـفٍ أَحْـــذَاه ظَبْـــيُ الصـــريمةِ اللَّبَبَـــا**

مـــن قهـــوةٍ مُـــزَّةٍ مُشَعْشَـــعةٍ تَـــرَى لَهـــا عِنْـــدَ مَزْجِهـــا حبَبَـــا[1]

وقوله في مقطوعة أخرى:

مَـنْ ذا يسـاعدُني فـي القَصْـفِ والطـرَبِ علـى اصْـطِباحٍ بمـاءِ المُـزْنِ والعِنَـبِ

حمـراءُ صـفراءُ عنـد المـزجِ تَحْسَـبُها كالـدرِّ طَوَّقَهـا نَظْـمٌ مِـنَ الجَبَـبِ

مَـنْ ذاقَهـا مَـرّةً لـمْ يَنْسَـها أَبـدًا حتّـى يُغَيَّـبَ فـي الأَكْفـانِ والتُـرُبِ[2]

وقوله في لوحة كبيرة مزج فيها الشاعر بين الوصف والغلمان والسقاة والغزل بالمذكر والخمرة ومجالس القصف والمجون والدين والتدين ويختمها بالدعاء:

وفتيـــةٍ كمصـــابيحِ الـــدُّجَى غُـــرَرٍ شُـمُّ الأُنُـوفِ مـن الصِّـيدِ المَصَـالِيتِ

إلى قوله: **هي الصّبَاحُ تُحيلُ الليلَ صِفْوتُها إذا رَمَـــتْ بشِـــرارٍ كاليواقيـــتِ**

وقولـه: **يُـديرُها قَمَـرٌ فـي طَرْفـهِ حَـوَرٌ كأَنّمـا اشْـتُقَّ منـه سِـحْرُ هـاروتِ**

إلى قوله: **أدعوكَ سبحانَكَ اللهمَّ فاعفُ كما عَفَوْتَ يا ذا العُلا عن صاحبِ الحوتِ**[3]

وقولـه: **يقـول النـاس قـد تُبْـتَ ولا واللهِ مـا تُبْـتُ**

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:35.

[2] **المصدر السابق**. ص:44.

[3] **المصدر السابق**. ص:93-95.

أرى المُـــــــــرْدَ يميلـــــــــونَ لمثلـــــــي حيثُمـــــــا مِلْـــــــتُ[1]

وفي مجموعة من الفتية كنجوم الليل، سرى نحو حانوت الخمرة، ويقول أبو نواس عن هذه الرحلة الليلية:

وفتيـــــةٍ كنجـــومِ الليـــلِ أَوْجُهُهُـــمْ مِـــنْ كُـــلِّ أَغْيَـــدَ للغَمّـــاءِ فـــراجِ

وقولـه: **طرقتُ صاحبَ حانوتٍ بِهِمْ سَحَرًا والليـــلُ منســـدلُ الظَّلْمـــاءِ كالسَّـــاجِ**

وقولـه: **ومـرّ ذو فـرحٍ يسـعَى بمِسْـرَجَةٍ فاســـتلَّ عـــذراءَ لـــم تَبْـــرُزْ لِأزواجِ**

وقولـه: **يـديرُها خَنِـثٌ فـي لَهْـوِهِ دَمِـثٌ مـــن نســـلِ آذيـــنَ ذو قُـــرْطٍ ودُوَّاجِ**[2]

وفي رحلة ليلية خمرية مذكرة الغزل قام بها مع مجموعة من أصحابه يقول:

وعُقـــــارٍ كأنّمـــــا نَتَعـــــاطَى فـــي كُـــؤوسِ اللّجـــيْنِ منهـــا سِـــرَاجا

خنـــــدريسٌ كأنهـــــا كـــــلُّ طيـــــبٍ زَوَّجوهـــا ولـــيسَ تَهْـــوى الزَّواجـــا

مَـــزَجَ الكـــأسَ لـــي غـــزالٌ أديـــبٌ هاشـــميٌ أصـــابَ فيهـــا المِزاجَـــا

فَتَحسَّـــــيْتُها وناولـــــتُ ظَبيًـــــا فـــاتِرَ الطـــرْفِ ســـاحرًا مِغْناجـــا[3]

وعن فرحه بالفطر وانتهاء الصيام، ولهوه بين العود والقدح والغانية والخمرة، يقول في مقطوعته الرباعية:

ولَّـــى الصـــيامُ وجـــاءَ الفِطْـــرُ بـــالفَرَحِ وأبـــدتْ الكـــأسُ ألوانًـــا مـــن المُلَـــحِ

---

1 أبو نواس: **ديوانه**. ص:108.

2 **المصدر السابق**. ص:114.

3 **المصدر السابق**. ص:115-116.

وزارِكَ اللهـــوُ فـــي إبّـــانِ دولتـــهِ مُجَـــدّدَ اللهـــوِ بـــينَ العـــودِ والقَـــدَحِ

فلـــيسَ يُسْـــمَعُ إلا صـــوتُ غانيـــةٍ مجهـــودةٍ جـــدّدَتْ صـــوتًا لمُقْتَـــرَحِ

والخمـــرُ قـــد بـــرزتْ فـــي ثـــوبِ زينتِهـــا فالنـــاسُ مـــا بـــينَ مَخْمـــورٍ ومُصْـــطَبَحِ[1]

وفي لوحة خمرية صاحب أبو نواس مجموعة من أصحابه البيض الكرام، حتّى إذا ما وصل إلى حانة الخمرة قال:

فـــربَّ صَـــحابةٍ بـــيضٍ كِـــرامٍ بَهاليـــلٍ غَطارفـــةٍ صِـــباحِ

إلـــى حانـــاتِ خمـــرٍ فـــي كـــرومِ مُعَرَّشَـــةٍ مُعَرَّجَـــةِ النـــواحِي

وقولـه: **فبـتُّ لـدى دَسَـاكِرِهِ عروسًـا بِعَـــذْراوَيْنِ مِـــنْ مـــاءٍ وراحِ**

ودارَ بكأسِـــنا رشَـــأٌ رَخـــيمٌ لطيـــفُ الكَشْـــحِ مَهْضـــومُ الوِشـــاحِ[2]

وقوله في مقطوعة خمرية، يعلن فيها استمراره على لهوه ومجونه وزندقته، وبعده عن الدين والأخلاق:

لاحَ إشـــــراقُ الصـــــباحِ فـــــاطْرُدِ الهـــــمَّ بِـــــرَاحِ

لســـــتُ بالتـــــاركِ لَـــــذَّا تِ النَّـــــدَامَى للصَّـــــلاحِ

قـــلْ لِمَـــنْ يَبغـــي صَـــلاحِي بِعْـــتُ رُشْـــدِي بطَلاحِـــي

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:128.

[2] **المصدر السابق**. ص:133.

أطيـــــبُ اللـــــذاتِ مـــــا كـــــا نَ جِهَـــــــــارًا بافتضـــــــــاحِ[1]

وفي ليلته الخمرية القصفية المملوءة خمرًا ومجونًا ولهوًا يقول:

يـــا طِيبَنـــا بقصـــورِ القُفْـــصِ مُشْـــرِفَةً فيهـــا الدســـاكِرُ والأَنْهـــارُ تطَّـــرِدُ

لمّـــا أَخَـــذْنا بهـــا الصـــهباءَ صـــافيةً كَأَنَّهـــا النـــارُ وَســـطَ الكـــأسِ تَتَّقِـــدُ

إلـى قولـه: **ثـمّ الخمـيسُ وَصَـلْناهُ بِليلتِـهِ قَصْـــفًا، وتـــمَّ لنـــا بالجمعـــةِ العَـــدَدُ**

يـــا حُسْـــنَنَا! وبحـــارُ القَصْـــفِ تغمرُنـــا فـــي لُجَّـــةِ الليـــلِ والأوتـــارُ تَغْتَـــرِدُ[2]

وفي لوحة خمرية، وهجمة ليلية، لفتية اجتمعوا على الفتنة والمجون والتهتك في الخمرة والجنس، يقول في بعضها:

وَفِتْيَـــــةٌ فِتْنَـــــةٌ قـــــدْ اجتمعُـــــوا مثـــــل الـــــدنانيرِ حـــــينَ تُنْتَقَـــــدُ

وقولـــه: **سِـــرْتُ وَســـارُوا إلـــى مُشَـــدَّةٍ فقِيـــلَ لـــي اصـــعدْ هنـــاكَ إذْ صَـــعَدوا**

وقولـــه: **مـــا زلـــتُ أســـقيهمُ مُشَعْشَـــعَةً يَخـــدِرُ مِـــنْ وَقْـــعِ كأسِـــها الجَسَـــدُ**

حتّـــــى رأيـــــتُ الـــــرؤوسَ مائلـــــةً ولـــــم يكـــــنْ فـــــي رِقابهـــــا أَوَدُ[3]

وعن عصيانه لله وفجوره وفتكه وخمرته وزناه وكفره يقول:

أَلَا فاسـقِنِي خمـرًا، وقـل لـي هِـيَ الخَمْـرُ ولا تسْـــقِنِي سِـــرًّا إذا أمكـــنَ الجَهْـــرُ

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:135.

[2] **المصدر السابق**. ص:154.

[3] **المصدر السابق**. ص:197-198.

فمـــا العـــيشُ إلّا سَـــكْرةٌ بعـــدَ سَـــكْرَةٍ فـــإنْ طـــالَ هـــذا عِنْـــدَهُ قَصُـــرَ الـــدهرُ

ومـــا الغَـــبْنُ إلّا أن تَرانِـــي صـــاحِيًا ومـــا الغُـــنْمُ إلّا أن يُتَعْتِعُنِـــي السُـــكْرُ

فَبُحْ باسمِ من تَهْوى، وَدَعْني من الكُنَى فـلا خيـرَ فـي اللـذاتِ مـنْ دونِهـا سِـتْرُ

ولا خيـــرَ فـــي فَتْـــكٍ بـــدونِ مُجَانـــةٍ ولا فـــي مُجـــونٍ لـــيسَ يَتْبَعُـــهُ كُفْـــرُ

إلـى قولـه: **فَبِتْنـا يرانـا اللهُ شَـرَّ عِصـابةٍ نُجَـــرِّرُ أَذْيـــالَ الفُســـوقِ ولا فَخْـــرُ**[1]

ومن نتفة مجونية يبيح لنفسه فيها اللهو والمعاصي، ولا يخشى القِصَاص فيقول:

ألـــمْ تَرَنِـــي أَبَحْـــتُ اللهـــوَ نَفْســـي ودينـــي واعتكفـــتُ علـــى المَعاصِـــي

كـــأني لا أَعـــودُ إلـــى مَعَـــادٍ ولا أخشـــى هنالِـــكَ مـــن قِصـــاصِ[2]

وفي ليلة من ليالي بغداد، يقضيها بصحبة فتية من أصحابه بالقصف واللهو والمجون والخمرة والزنى بالمذكر، ومن ذلك قوله:

سُـــــقْيا لبغـــــدادَ وأَيامِهـــــا إذْ دَهْرُنَـــــا نطْويـــــهِ بالقَصْـــــفِ

مـــع فِتيـــةٍ مثـــلُ نجـــومِ الـــدّجى لـــم يُطْبَعـــوا يومًـــا علـــى خَسْـــفِ

يســـــقيهمُ ذو وَفـــــرةٍ أحـــــورٌ يُسِـــــيلُ صُـــــدْغًا فـــــاترُ الطـــــرْفِ

وقولـــه: **يســـقِيهمُ مَمْزوجـــةً تـــارةً وتـــارةً يَسْـــقِي مِـــنَ الصِّـــرفِ**[3]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:202-203.

[2] **المصدر السابق**. ص:339.

[3] **المصدر السابق**. ص:359-360.

وفي أخرى: **يا مَجْلسًا ضَمَّ فِتْيانًا غَطَارِفَةً حـــازوا البشاشَـــةَ والإنعـــامَ والكَرَمـــا**

مـــا زالَ يَثْنيـــهِ دَلُّ الكـــأسِ فـــي لُطُـــفٍ وذاكَ يأخـــذُها مـــن ذاكَ مُبْتَسِـــمَا[1]

من ذلك أجد أن أبا نواس قد مزج أغلب قصفه ومجونه، بالخمرة والفتك واللهو والتغزل بالمذكر والزنى به، مع اشتمال بعضها على إعلانه البعد عن الله تعالى والمجاهرة بمعصيته فيما حرّمه.

المبحث الخامس: الشعوبية.

لقد نجح الشعوبيون في تصوير الدولة العباسية وكأنها دولة أعجمية، وأن الحضارة العباسية ما وصلت لهذه المكانة لولا الفرس والموالي، أو كأنها صورة متطورة للحضارة الساسانية، وشارك كبراؤهم في تسيير دفة الحكم العباسية، وأصبح لديهم المقدرة على الجهر بآرائهم، وما يضمرون من عداء للعرب والعروبة، وأخذت الشعوبية تتبلور كتيار فكري له أنصاره في كل مكان في السلطة وخارجها[2].

وإن "هؤلاء العجم ما إن استحوذوا على القوة السياسية –في العصر العباسي– وتمكنوا منها؛ حتّى راحوا يبعثون الحركة الشعوبية بما أوتوا من قوة في كل مكان، وهي الحركة التي لم تكن في الحقيقة محض حركة قومية، وإنما استجلبت في ركبها جراثيم الزندقة والإلحاد والإباحية"[3].

وقد ظهرت الشعوبية في شعر أبي نواس بصورها المختلفة من التحلل الأخلاقي، والسخرية من الدين، والتهوين من شأن العرب والحط من قيمتهم، بل هجاهم، وهزئ من قبائلهم وتقاليدهم، وفاخر بالفرس وحضارتهم[4].

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:479.

[2] الجفال، خليل إبراهيم: **الشعوبية والأدب؛ أبعاد ومضمونات**. ط:1، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1986م، ص:75–80.

[3] المودودي، أبو الأعلى: **الخلافة والملك**. تعريب: أحمد إدريس. ط:1، دار القلم، 1978م، ص:131.

[4] الجفال، خليل إبراهيم: **الشعوبية والأدب، أبعاد ومضمونات**. ص:291.

نجد أبا نواس يمزج بين دعوته إلى الراح والمجون وتهوين الدين، فيقول:

أُلْـــــهُ بـــــالبِيضِ المِـــــلاحِ وبِقَيْنَـــــــــــــــــــــــاتٍ وراحِ

لا يَصُـــــــــــــــــــــــدّنّكَ لاحٍ هـــــو عـــــنْ سُـــــكْرِكَ صـــــاحِ[1]

وقولـه: **ولّـى الصـيامُ وجـاءَ الفطـرُ بـالفرحِ وأبـــدتِ الكـــأسُ ألوانًـــا مـــن المُلَـــحِ**

وزارَكَ اللهـــــوُ فـــــي إبَّـــــان دَوْلَتِـــــهِ مُجَـــدّدَ اللهـــوِ بـــين العـــودِ والقَـــدَحِ[2]

وقولـه: **بـادرْ صَـبوحَكَ وانعَـمْ أيهـا الرجـلُ واعـصِ الـذينَ بجهـلٍ فـي الهَـوى عَـذَلُوا**

نـالَ السـرورَ وخفـضَ العـيشُ فـي دعـةٍ وفـــازَ بالطيـــباتِ المـــاجِنُ الهَـــزِلُ[3]

ثم يدعو أبو نواس إلى ترك النساك والإقبال على الموبقات، فيقول:

لا تَصْـــحَبَنَّ أخـــا نُسْـــكٍ وإنْ نَسَكَـــا وإن فَتَكْـــتَ فكـــنْ حربًـــا لِمَـــنْ فَتَكَـــا[4]

ويجاهرُ بالخمرةِ والمعصيةِ والكفرِ فيقول:

ولا خيـــرَ فـــي فتـــكٍ بـــدونِ مجانـــةٍ ولا فـــي مُجُـــونٍ لـــيسَ يتبعُـــهُ كفـــرُ

فبتنـــا يرانـــا اللهُ شـــرَّ عِصـــابةٍ نُجَـــرّرُ أذيـــالَ الفســـوقِ ولا فخـــرُ[5]

ويصل في فسقه وفجوره أنه يعتمد على غفران الله له لكبائره فيقول:

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:131.

[2] **المصدر السابق**. ص:128.

[3] **المصدر السابق**. ص:417.

[4] **المصدر السابق**. ص:400.

[5] **المصدر السابق**. ص:202-203.

غـــادِ المُـــدامَ وإنْ كانـــتْ محرمـــةً فللكبـــــائرِ عنـــــدَ اللهِ غُفْـــــرانُ[1]

ولعل أول درجات السلّم الشعوبي هو المجون، الذي هو خروج عن القيم المتعارف عليها في المجتمع العربي المسلم، وارتكاب الأعمال التي تشين دون خجل أو استحياء، وعلانية دون تستر[2].

ولقد استطاعت الشعوبية بحقدها على العرب أن تسخر أبناءها في كافة الجوانب؛ لخدمة أغراضها؛ كالتشكيك في الإسلام، ونشر الزندقة والإلحاد والفسق والفساد، وكان للشعراء دور خطير في تحقيق هذه الأهداف الخبيثة؛ للإضرار بالإسلام والعروبة، وإضعاف مجتمع المسلمين والقضاء على دولتهم؛ كما فعل أبو نواس وصحبه[3]. ومما قاله أبو نواس يسخر من العرب، ويفخر بالأكاسرة:

فـــأينَ البـــدوُ مـــنْ إيـــوان كِســـرى وأيـــنَ مِـــنَ الميـــادينِ الـــزروبُ[4]

ويتبعه بالجهر بعدم التوبة، فيقول:

غُـــرِزْتِ بتـــوبتي ولَجَجْـــتِ فيهـــا فَشُـــقِّي اليـــومَ جيبَـــك لا أتـــوبُ[5]

وقد جاء بعد هجومه على الأطلال، وهجاء العرب وحياتهم، ووصف الخمرة وساقيها، وهكذا كان في معظم أشعاره التي سجلها ديوانه الشعري. وتكاد قصيدته التي بدأها بقوله:

دع الأطـــــلال تســـــفيها الجَنُـــــوبُ وتُبْلـــي عهـــد جِـــدَّتِها الخَطُـــوبُ[6]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:527.

[2] صالح، صالح محمود سليمان: **الشعوبية وأثرها في الشعر العربي**. أطروحة دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، غزة، 1978م، ص:320.

[3] الغندور، عبد الصبور السيد: **النزعة الشعوبية في الشعر العباسي**. جامعة الأزهر بالزّقازيق، مجلة كلية اللغة العربية، ع:4، 1985م، ص:84-85.

[4] أبو نواس: **ديوانه**. ص:33.

[5] **المصدر السابق**. ص: 33.

[6] **المصدر السابق**. ص:32.

تكون نموذجًا شعريًّا يحتاج إلى دراسة واهتمام؛ لأنه وضع فيها: الهجوم على الأطلال، والسخرية من العرب وحياتهم ووصف الخمرة والثناء عليها، والغزل بالمذكر، والتهكم على من يلومه على معاصيه، ثم امتداح الحياة الفارسية، وأخيرًا ينهيها بالمجاهرة بعصيانه وعدم توبته، كل هذه الأمور أودعها أبو نواس قصيدته هذه؛ والتي تعد نموذجًا حقيقيًّا لانحراف أبي نواس وميله عن جادة الصواب في كل شؤون حياته الدنيوية والأخروية.

المبحث السادس: الزهد.

الزهد فن شعري بدأ على يد رابعة العدوية قبل تصوفها، وهو في مجمله "الإعراض عن الدنيا ومتاعها وطيباتها، والاكتفاء بما يقيم الأود من الطعام الخشن والعيش الخشن؛ وذلك انطلاقًا من استحقار هذه الدنيا وملذاتها وتذكرًا لحقيقة الموت وما بعدها، وحقيقة الآخرة وما فيها من حساب وعقاب"[1] وإني أجد كثيرًا من الشعراء مَنْ تحدثوا عن الزهد والأخلاق الدينية، كأبي العتاهية وأبي العلاء المعري حيث حملوا لواءه عاليًا، أما أبو نواس فقد ذرّ فتاتًا من أشعاره الزهدية في ديوانه؛ لعله ينقذ شيئًا من تهوره نحو لذائذه في هذه الحياة الدنيا الفانية، وعلى كل يبقى أمره إلى الله هو الذي يغفر ويتوب على خلقه، أو يعذبهم في نار جهنم.

وقد وصلت قصائد أبي نواس الزهدية ومقطوعاته، إلى أكثر من ثلاثين موضعًا تحدث في بعضها عن الخمرة فيما لا يكاد يتجاوز أربع قصائد أو مقطوعات.

وفي لوحته الزهدية الأولى التي برزت في ديوانه قوله:

كـــــــلُّ نـــــــاعٍ فَسَـــــــيُنْعى كُـــــــلُّ بـــــــاكٍ فســـــــيُبْكى

كـــــــلُّ مـــــــذخورٍ ســـــــيَفْنى كـــــــلُّ مـــــــذكورِ سَيُنْسَـــــــى

[1] الساديسي: **نصوص شعرية (2)**. ص:25.

لـــــــيس غيـــــــرُ الله يبقـــــــى مَـــــنْ عـــــلا فـــــاللهُ أَعْلـــــى

إنّ للشـــــــــــــرِّ وللخَيْـــــــــــــ ـــــــرِ لَسِـــــيما لـــــيسَ تَخْفـــــى

كـــــــلُّ مســـــــــتخفٍ بِسِـــــــرٍّ فَمِـــــــــــــنَ اللهِ بِمَـــــــــــرْأى

لا تـــــرى شـــــيئًا علـــــى اللـــــ ـــــــهِ مـــــن الأشـــــياءِ يَخْفـــــى[1]

يظهر من هذه اللوحة الزهدية عظمة الله –عز وجل– وبأن الله هو الباقي، وأن الله علّام الغيوب، ويعلم كل ما في الكون، وكل نفسٍ في هذه الدنيا إلى زوال وفناء، ونلحظ خلو هذه اللوحة من الخمرة أو ذكرها.

وفي لوحة أخرى في "مصرع والبة" الشاعر الكوفي الماجن " ابن الحباب الأسدي" يقول أبو نواس في نصفها الثاني دون أن يتطرق إلى الخمرة:

لا تبعـــــدَنَّ أبـــــا أســـــامةَ؛ فالمنيـــــــــــةُ واجبـــــــــهْ

كـــــــلُّ امـــــــرئٍ تغتالـــــــهُ منهـــــا سِـــــــهامٌ صـــــائِبَهْ

كُتِـــبَ الفنـــاءُ علـــى العبـــا دِ فكـــــلُّ نفـــــسٍ ذاهِبَـــــهْ

كـــمْ مـــن أخٍ لـــك قـــدْ تركْـــ ـــــتَ همومَـــهُ بـــك ناصِـــبَهْ

قـــد كـــانَ يعظـــمُ قبـــل مـــوْ تِـــكَ أن تنـــوبَ النائِبَـــهْ[2]

وفي قصيدة زهدية أخرى، وبعد أنْ يسبّحَ علام الغيوب، ويذكّر بمقدرة الله –عز وجل– على تصريف الأمور، وقبض أرواح البشر، يوجه خطابه لنفسه التي طالما أصابها الغرور بطول الأمل

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:27.

[2] **المصدر السابق**. ص:82.

الخادع؛ ولذا ما عليها إلا التوبة والاستغفار؛ لأن الموت من شرع الله وحكمته والسعي في طلب التقى واجب؛ فالقليل من ينجيه تقواه، لولا أن تتداركه رحمة الله العظيم.

ونلحظ هنا خلو هذه القصيدة من ذكر الخمرة، وفيها يقول أبو نواس:

سبحانَ علامِ الغيوبِ عجبًا لتصريفِ الخطوبِ

تغدو على قطفِ النفو سِ وتجتني ثمرَ القلوبِ

حتّى متى يا نفس تَغْـ ـترّينَ بالأملِ الكذوبِ

يا نفسُ توبي قبلَ أن لا تستطيعي أن تتوبي

واستغفري لذنوبِكِ الـ ـرَّحْمنَ غفارَ الذنوبِ

والموتُ شرعٌ واحدٌ والخلقُ مختلفوا الضّروبِ

والسعيُ في طلبِ التُّقى مِنْ خَيْرِ مكسبةِ الكسوبِ[1]

وفي حديث الشاعر عن مراقبةِ اللهِ للبشر يقول مبتعدًا عن ذكر الخمرة:

إذا ما خَلَوْتَ الدهرَ يومًا؛ فلا تقلْ خلوتُ؛ ولكن قلْ عليَّ رقيبُ

ولا تحسبنَّ اللهَ يغفلُ ساعةً ولا أنّ ما يخفى عليك يغيبُ

لهَوْنا بعمرٍ طالَ حتّى تَرادَفَتْ ذنوبٌ على آثارِهنّ ذُنوبُ![2]

وفي قصيدة زهدية لأبي نواس يسجل فيها أجمل المعاني الدينية والخلُقية، دون أن يتطرق لذكر الخمرة، فيقول فيها:

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:83-84.

[2] **المصدر السابق**. ص:86.

رضـــــيتَ لنفسِـــــكَ سَـــــوْآتِها ولـــــم تـــــألُ جُهْـــــدًا لمرضـــــاتِها

وَحَسّـــــــنْتَ أقـــــــبحَ أعمالِهـــــــا وصَـــــــغَرْتَ أكبـــــــرَ زلّاتِهـــــــا

وكـــــم مـــــن طريـــــقٍ لأهـــــلِ الصِّـــــبا ســـــــــلكتَ ســـــــــبيلَ غِواياتِهـــــــا

وأَيُّ المحـــــــــارمِ لـــــــم تنتهـــــــكْ وأيُّ الفضـــــــائِحِ لـــــــمْ تأتِهـــــــا[1]

ففي هذه الأبيات يعنف الشاعر نفسه على فعله للمنكرات، وإصراره على القبائح والفضائح من الأعمال، ثم نأتي بعد ذلك إلى الجزء الذي يذكر به الشاعر بيوم القيامة وأهوالها وأشراطها فيقول:

وهـــــذي القيامـــــةُ قـــــدْ أَشْـــــرفَتْ تُريـــــــكَ مَخـــــــاوِفَ فَزْعاتِهـــــــا

وقـــــــدْ أقبلـــــــتْ بمواعيـــــــدِها وأهوالِهـــــــا، فـــــــارعَ لوْعاتِهـــــــا

وإنّـــــي لفـــــي بعـــــضِ أشـــــراطِها وآياتِهـــــــــــا وعلاماتِهـــــــــــا

ثم يأتي الشاعر إلى المقطع الأخير مذكرًا بمحنة الدنيا وإغراءاتها للإنسان؛ لعله يرعوي أو يتراجع عن غيّه وضلاله وانحرافه فيقول:

فمـــــــا تَرْعَـــــــوِي لِأعاجيبِهـــــــا ولا لِتَصَـــــــــــرُّفِ حالاتِهـــــــــــا

نُنـــــــافسُ فيهـــــــا وأيامُهـــــــا تَـــــــرَدَّدُ فينـــــــا بآفاتِهـــــــا

أَمَـــــــا يتفكـــــــرُ أحياؤُهـــــــا فيعتبـــــــــــرونَ بأمواتِهـــــــــــا

وأرى أن البيت الأخير هو بيت القصيد، وكأن القصيدة كلّها تهيئ للبيت الأخير، والذي هو دعوة من الشاعر للأحياء للتفكر في هذه الحياة الدنيا الفانية ومغرياتها، لعلَّهم يعتبرون ويغيرون من سلوكهم السلبي، الذي سيقودهم إلى سخط الله –عز وجل–.

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:110–111.

وفي اللوحة التالية التي يؤكد فيها أبو نواس على الموت، وضرورة الاعتبار بأن الإنسان مهما طال أجله فإنه لا بد راحل عن هذه الدنيا الفانية، وما عليه إلّا أن يتزود لما بعد الموت، وخير الزاد التقوى، وقد خلت هذه الأبيات الشعرية من ذكر الخمرة، وبقي يركز الشاعر على الموت وغرور الإنسان، وفيها يقول:

المـــــــوتُ منّـــــــا قريـــــــبٌ ولـــــــيسَ عنّـــــــا بنـــــــازحْ

فـــــي كـــــلِّ يـــــومٍ نعِـــــيٌّ تصـــــيحُ منـــــه الصـــــوائحْ

والمـــــوتُ فـــــي كـــــلِّ يـــــومٍ فـــــي زنـــــدِ عَيْشِـــــكَ قـــــادحْ

فاعمـــــلْ ليـــــومٍ عبـــــوسٍ مـــــن شـــــدةِ الهـــــولِ كـــــالِحْ

ولا يَغُرَّنْـــــــــك دنْيـــــــــا نعيمُهـــــا عنـــــكَ نـــــازحْ[1]

وفي مقطوعة أخرى يركز الشاعر فيها على الشيب كمذكّرٍ بالآخرة، وباتباع الحق، والأمل بالزواج من الحور العين، اللواتي مهورهن العمل الصالح، والتقوى هي عنوان التجارة الرابحة، ويبتعد الشاعر هنا كذلك عن التطرق إلى الخمرة، وفي هذه يقول:

للهِ درُّ الشَّـــــيْبِ مـــــن واعـــــظٍ وناصـــــحٍ لـــــو سُـــــمِعَ الناصـــــحُ

يـــــأبى الفتـــــى إلّا اتبـــــاعَ الهَـــــوى ومـــــنهجُ الحـــــقِّ لـــــهُ واضـــــحُ

فاســـــمُ بعينيْـــــك إلـــــى نســـــوةٍ مهـــــورُهُنَّ العمـــــلُ الصـــــالحُ

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:145.

مـــــن اتقـــــى فـــــذلك الـــــذي ســـــيق إليـــــه المتجـــــر الـــــرابحُ[1]

وفي ندمه على ذنوبه يقول (دون أن يذكر الخمرة):

أَقِلْنِـــي، قـــدْ نـــدمتُ علـــى ذُنـــوبي وبـــــالإقرارِ عُـــــذْتُ مِـــــنَ الجحـــــودِ

وإن تصـــــــفحْ فإحســـــــانٌ جديـــــــدٌ ســـــبقْتَ بـــــه إلـــــى شـــــكرٍ جديـــــدِ[2]

أما في قصيدته التي عنونها بـ "الخير عادة" تظهر لأول وهلة أنها في الزهد والعبادة، ولكن من يدقق فيها يجد أنها أقرب إلى المراء والنفاق وإظهار الزهد والتعبد أكثر منه حقيقة؛ ولذا سأكتفي بذكر مطلعها، دون أن أعلق عليها أو أذكر أبياتًا أخرى منها:

أنـــت يـــابن الربيـــعِ أَلْزمتَنِـــي النُّسْـــ ـــــكَ وعوّدتنيـــــهِ والخيـــــرُ عـــــادَهْ

فـــــارعوى بـــــاطلي، وأَقْصَـــــرَ حَبْلـــــي وَتَبـــــــدلْتُ عِفـــــــةً وزهـــــــادهْ[3]

وأحيانًا أجد أبا نواس يجمع بين الزهد والحكمة في ثوب واحد فيقول دون أن يتحدث عن الخمرة:

إنّ مـــــع اليـــــومِ فـــــاعلَمَنّ غـــــدا فـــانظرْ بمـــا ينقضـــي مجـــيءُ غـــدِهْ

مـــــا ارتـــــدَّ طـــــرفُ امـــــرئٍ بلذتِـــــهِ إلّا وشـــــيءٌ يمـــــوتُ مـــــن جســـــدهْ[4]

وفي أخرى يتحدث أبو نواس عن فناء العمر، وزيادة الذنوب، وإحصاء الملائكة كل شيء، فرغم وعود الإنسان بعدم العودة للذنب، إلا أنه يعود حتّى لو دنت منيته، فلا يرعوي، ويستمر في فعلته، وفيها يقول الشاعر (دون أن يتطرق إلى الخمرة):

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:146

[2] **المصدر السابق**. ص:180.

[3] **المصدر السابق**. ص:181.

[4] **المصدر السابق**. ص:193.

أفنيـــتَ عمـــرَكَ والـــذنوبُ تزيـــدُ والكاتـــبُ المُحْصـــى عليـــكَ شـــهيدُ

كـــم قلـــتَ لســـتُ بعائـــدٍ فـــي سَـــوْءةٍ ونـــذرتَ فيهـــا ثـــم صِـــرْتَ تعـــودُ

حتّـــى متـــى لا ترعـــوي عـــن لـــذةٍ وَحِسَـــابُها يَـــوْمَ الحســـابِ شـــديدُ[1]

وفي مقطوعتين متتاليتين في ديوانه يتحدث فيهما عن الزهد والحج والخمرة، فيقول في أولاهما:

قـــالوا تنسَّـــكْ بعـــدَ الحـــجِ قلـــت لهـــم: أرجـــو الإلـــهَ وأخشَـــى طيزنابـــاذا

أخشـــى قُضَـــيِّبَ كـــرْمٍ أنْ ينـــازعَني فَضْـــلَ الخِطـــامِ وإنْ أَسْـــرعتُ إغـــذاذا[2]

ويقول في الثانية:**وقائلٍ تريدُ الحَجَّ؟ قلتُ لـهُ نعـــم، إذا فنيـــتْ لـــذّاتُ بغـــدادِ**

فكيـفَ بـالحجِّ لـي مـا دمـتُ مُنْغَمِسًـا فـــي بيـــتِ قـــوّادةٍ أو بيـــتِ نَبَّـــاذِ

وَهَبْـكَ مـــن قصـــفِ بغـــدادٍ تُخَلِّصُـــنِي كيـــفَ الـــتخلصُ لـــي مِـــنْ طيزنابـــاذِ[3]

وقوله يرجو غفران ربه وإن عظمت ذنوبه، (مع خلوها من الخمرة):

تَكَثَّـــرْ مـــا اســـتطعتَ مـــن الخطايـــا فإنـــك قاصـــدٌ ربًّـــا غفـــورًا[4]

ومن قصيدته الزهدية التي مطلعها صبر وختامها أسف، دون أن يذكر الخمرة، فيقول مبديًا ندمًا وحسرة على ما فات:

اصـــبرْ لمـــرِّ حَـــوَادثِ الـــدَّهْرِ فَلَتَحْمَـــدَنّ مغبـــةَ الصـــبرِ

---

1 أبو نواس: **ديوانه**. ص:192.

2 **المصدر السابق**. ص:199.

3 **المصدر السابق**. ص:199-200.

4 **المصدر السابق**. ص:259.

إلى قوله: **يا سَوْأَتا مِمَّا اكتسبتُ ويا أسفي على ما فاتَ مِنْ عُمري!**[1]

ومن زهده في أخرى يستجير بالله من سوء فعاله، ويبدي ندمه وحسرته على ما مرّ، مع عدم ذكره للخمرة:

أيا منْ ليسَ لي منهُ مُجيرُ بِعَفْوِكَ مِنْ عذابِكَ أستجيرُ

فإنْ عَذَّبتَنِي فبسوءِ فِعْلي وإن تغفرْ فأنتَ بهِ جديرُ

أفرُّ إليكَ منكَ، وأينَ إلا إليكَ يفرُّ منكَ المستجيرُ[2]

وفي قصيدة أخرى في الزهد يذكر أبو نواس بالموت والقبر، دون أن يلج في ذكر الخمرة، ومما قاله فيها:

يا بني النَّقْصِ والعِبَرْ وبني الضَّعْفِ والخَوَرْ

أينَ منْ كانَ قبلَكُم مِنْ ذوي البأسِ والخطَرْ

سبقونا إلى الرحيـ ـلِ وإنّا على الأَثَرْ

مَنْ مَضى عِيْرةٌ لنا وغدًا نحنُ مُعْتَبَرْ

رحمَ اللهُ مُسْلمًا ذكرَ اللهَ فازْدَجَرْ

غفرَ اللهُ ذنبَ مَنْ خافَ فاستشعرَ الحَذَرْ[3]

وانتظارًا من أبي نواس لعفو الله يقول (دون أنْ يذكر الخمرة):

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:291.

[2] **المصدر السابق**. ص:292.

[3] **المصدر السابق**. ص:292-293.

يـــــــا نُواسِـــــــيُّ تَـــــــوَقَّرْ وتجمّـــــــــــــلْ وتصـــــــــــــبَّرْ

ســـــــاءكَ الـــــــدهرُ بشـــــــيءٍ وبمـــــــــا ســـــــــرَّكَ أَكْثَـــــــــرْ

يـــــا كبيـــــرَ الـــــذنبِ عفـــــوا للهِ مِـــــــنْ ذَنبِـــــــكَ أَكْبَـــــــرْ

أكبـــــرُ الأشـــــياءِ عـــــنْ أصـــــ ـــــــــغرِ عَفْـــــــوِ اللهِ أَصْـــــــغَرْ

لـــــــــــيسَ للإنســـــــــــانِ إلّا مـــــــا قَضَـــــــى اللهُ وقـــــــدّرْ

لـــــــيس للمخلـــــــوقِ تدبـــــــ ـــــــيرٌ بـــــــلْ اللهُ المُـــــــدَبِّرْ[1]

وفي أخرى يقول أبو نواس (دون ذكر الخمرة):

يـــــا ســـــائلَ اللهِ فـــــزتَ بـــــالظَّفْرِ وبـــــــالنوالِ الهنـــــــيّ لا الكَـــــــدِرِ

إن الـــــــذي لا يخيـــــــبُ ســـــــائلُهُ جـــــوهرُهُ غيـــــرُ جَـــــوهَرِ البَشَـــــرِ[2]

ومن قوله في الزهد وقد ذكر الخمرة في مقطوعته، وفيها يدعو إلى التمسك بعفو الله وغفرانه:

اتـــــركْ التقصـــــيرَ فـــــي الشُّـــــرْ بِ وَخُـــــــــــــذْهما بنشـــــــــــــاطِ

لِـــــــمْ وعفـــــــوُ اللهِ مبـــــــذو لٌ غـــــــدًا عنـــــــدَ الصِّـــــــراطِ

خُلِـــــــــــقَ الغفـــــــــــرانُ إلّا لامـــــرئٍ فـــــي النـــــاسِ خـــــاطي[3]

ومما قاله في الدنيا الغرّارة (دون أن يذكر الخمرة):

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:293.

[2] **المصدر السابق**. ص:293.

[3] **المصدر السابق**. ص:344.

أَرى كـــلَّ حـــيٍّ هالكًـــا وابـــنَ هالِـــكٍ وذا نَسَـــبٍ فـــي الهـــالِكِينَ عَريـــقِ

فقـــلْ لقريـــبِ الـــدار: إنـــك ظـــاعنٌ إلـــى منـــزلٍ نـــائِي المَحَـــلِّ ســـحيقِ

إذا امـــتحنَ الـــدنيا لبيـــبٌ تَكَشَّـــفَتْ لـــه عـــنْ عَـــدُوٍ فـــي ثيـــابِ صـــديقِ[1]

وقوله في مقطوعة أخرى (دون أن يتطرق لذكر الخمرة):

أخـــي مـــا بـــالُ قلبِـــكَ لـــيسَ يَنْقَـــى كأنـــكَ لا تظـــنُّ المـــوتَ حقّـــا

أَلَا يـــابنَ الـــذينَ فَنَـــوْا وبـــادُوا أمـــا واللهِ مـــا مـــاتوا لِتَبْقَـــى

ومـــا للـــنفسِ عنـــدكَ مـــنْ مُقـــامٍ إذا مـــا اســـتكملَتْ أجـــلًا ورِزْقـــا[2]

ومن قصيدته "لبيك إن الحمدَ لك" يقول في جزء منها (دون أن يذكر الخمرة):

لبيـــــكَ إن الحمـــــدَ لَـــــكْ والمُلْـــــكَ؛ لا شـــــريكَ لـــــكْ

كـــــلُّ نَبِـــــيٍّ ومَلَـــــكْ وكـــــلُّ مَـــــنْ أَهَـــــلَّ لَـــــكْ

وكـــــلُّ عبـــــدٍ سَـــــأَلكْ سَـــــبَّحَ أو لَبّـــــى فَلَـــــكْ[3]

ومن قصيدته الزهدية الدعائية قوله (مع عدم ولوجه في الخمرة)، طالبًا من الله العفو وغفران الذنوب وأن لا ملجأ من الله إلا إليه:

يـــا رَبِّ إنْ عَظُمَـــتْ ذُنـــوبي كَثْـــرةً فلقـــدْ علمـــتُ بـــأنَّ عفـــوَكَ أعظـــمُ

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:398.

[2] **المصدر السابق**. ص:399.

[3] **المصدر السابق**. ص:410-411.

إنْ كـــانَ لا يرجـــوكَ إلا مُحْسِـــنٌ فَـــبِمَنْ يلـــوذُ، ويســـتجيرُ المجـــرمُ

أدعـــوكَ ربِّ كَمـــا أَمَـــرْتَ تَضَـــرُّعًا فـــإذا رددْتَ يـــدي فَمَـــنْ ذا يَـــرْحمُ[1]

ومن مقطوعة أخرى (يذكر فيها آنية الخمرة) في البيت الأول ثم يقول:

فـــإني قـــدْ شـــبعتُ مِـــنَ المعاصـــي ومِـــنْ لَـــذّاتِها وَشَـــبِعْنَ مِنِّـــي

ومـــن أَسْـــوَا وأقـــبحُ مـــن لَبيـــبٍ يـــرى مُتَطَرِّبًـــا فـــي مثـــلِ سِـــنّي[2]

ويرجو عفو الله في مقطوعة أخرى (دون ذكر الخمرة) فيقول:

غيـــرَ أَنّـــي علـــى الإســـاءةِ والتفـــ ـــريطِ راجٍ لِحُسْـــنِ عَفْـــوِ اللهِ[3]

وفي تحريمه للهوه يقول (دون أن يصرح بذكر الخمرة):

كـــم ليلـــةٍ قـــد بِـــتُّ ألهـــو بهـــا لـــوْ دامَ ذاكَ اللهـــوُ للّاهِـــي

حَرَّمَهـــا اللهُ وحَلَّلْتُهـــا فكيـــفَ بـــالعفوِ مِـــنَ اللهِ[4]

المبحث السابع: السخرية والفكاهة.

وهو فن شعري قلّما ورد في ديوان الشاعر أبي نواس، يلجأ فيه الشاعر إلى التسرية عن نفسه، أو عن الآخرين، من خلال لجوئه للسخرية والاستهزاء، وإيراد الفكاهة؛ لإدخال البهجة والسرور في نفس المتلقي.

---

1 أبو نواس: **ديوانه**. ص:508.

2 **المصدر السابق**. ص:580.

3 **المصدر السابق**. ص:602.

4 **المصدر السابق**. ص:602.

وقد تَطَرَّقَ أبو نواس إلى مثل هذا اللون من الشعر في نحو تسع مناطق شعرية ذكر الخمرة في اثنتين منها.

يقول أبو نواس في مقطوعته الأولى، وقد خلت من ذكر الخمرة:

يـــــا مـــــادحَ القـــــومِ اللّئـــــا ... مِ وطالبًـــــا رِفْـــــدَ الشّـــــحَاحِ

أَشْـــــغِلْ قريضَـــــكَ بالنسيـــــ ... ـــــبِ وبالفكاهـــــةِ والمُـــــزاحِ[1]

ويقول في نتفة من شعره، دون أن يذكر الخمرة:

أمـــــاتَ اللهُ مِـــــنْ جـــــوعٍ رِقاشًـــــا ... فلـــــولا الجـــــوعُ مـــــا ماتَـــــتْ رِقـــــاشُ

ولـــــو أَشْـــــمَمْتَ موتـــــاهم رغيفًـــــا ... وقـــــد سَـــــكَنُوا القبـــــورَ إِذَنْ لعاشـــــوا![2]

وفي فكاهة أخرى تخلو أيضًا من ذكر الخمرة:

رأيـــــتُ الفضـــــلَ مكتئبـــــا ... يُنـــــاغِي الخبـــــزَ والسّـــــمَكَا

فقطّـــــبَ حـــــينَ أبصـــــرَنِي ... ونكَّـــــسَ رأسَـــــهُ وَبَكَـــــى

فلمـــــا أنْ حلفـــــتُ لـــــهُ ... بـــــأَنِّي صـــــائِمٌ ضَـــــحِكَا[3]

وقوله في أخرى دون ذكر الخمرة:

أأشـــرسُ، إنْ يكـــنْ مـــا قِيـــلَ حقًّـــا ... وأَحْـــرِ بِـــهِ فقـــدْ ظَفِـــرَتْ يَـــداكا

أَبَحْـــتَ مِـــنْ ابـــنِ أُختِـــكَ غيـــرَ حِـــلٍّ ... وَقُلْـــتَ عهـــدتُ أَشْـــياخِي كَـــذاكا

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:144.

[2] **المصدر السابق**. ص:336.

[3] **المصدر السابق**. ص:406.

فمـــا نِلْـــتَ ابـــنَ أختِـــك قَـــطُّ حَتَّـــى بـــدأتَ بأمِّـــهِ مـــن قَبْـــلِ ذاكـــا[1]

وفي نتفة له أخرى في ابن حُديج، ودون أن يذكر الخمرة:

يـا ابـنَ حُـدَيْجٍ، أَطْـرِقْ علـى مَضَـضٍ لا تَبْـــرَ مـــن سَـــلْعَةٍ ولا حَسَـــكِ

فَلَسْـــتَ مِـــنْ آكـــلِ المُـــرَارِ ولا الـــ ـــــفارسِ ربِّ الرِّبـــابِ والمُلُـــكِ[2]

وفي مطولته الفكاهية، التي زادت على ثلاثين بيتًا، يخاطب فيها يزيدَ، ويخلط فيها السخرية بالفكاهة، بأسلوب سهلٍ في العرض وفي اختيار الكلمات التي تصلح للغناء، دون أن يدخل الخمرة أو صفة من صفاتها فيقول في بعضها:

يزيـــــــدُ! مـــــــاذا دَهَاكـــــــا جننـــــــتَ؟ أم مـــــــا اعتراكـــــــا؟

مُلْـــــكٌ زهـــــا بـــــكَ بَعْـــــدِي أَمْ صـــــــــــاحبٌ أغواكـــــــــــا؟

أم غفلـــــــةٌ حَـــــــدَثَتْ فيـــــــ ـــــــكَ أَمْ هَـــــــوَى أَضْـــــــناكا؟

وقولــه: **وكنـــتَ فـــي الحُسْـــنِ فـــردًا لَمَـــــا احتملـــــتُ جَفَاكَـــــا**

لا تَهْـــــــــــوَيَنَّ يزيـــــــــــدًا بعـــــدَ الـــــذي قـــــدْ أَراكـــــا

إلــى قولــه: **حتّـــى إذا لـــمْ تُطِـــقْ مِـــنْ وقـــــــعِ الصـــــــفيرِ حَرَاكـــــــا**

اسْـــــــتَعْتَبَاكَ فـــــــإنْ عُـــــــدْ تَ بعـــــــدَها صَـــــــلَبَاكا![3]

أما في مقطوعته التالية التي يصرح فيها بذكر الخمرة متسائلًا وساخرًا فيقول:

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:407.

[2] **المصدر السابق**. ص:408.

[3] **المصدر السابق**. ص:408-410.

سألتُ أخي أبا عيسى وجبريلُ لهُ عَقْلُ

فقلتُ: الخمرُ تُعْجِبُني! فقالَ كثيرُها قَتْلُ

فقلتُ لهُ: فَقَدِّرْ لي! فقالَ وقولُهُ فَصْلُ:

وجدتُ طَبَائعَ الإنسا نِ أربعةً هي الأصلُ

فأربعةٌ لأربعةٍ لكلِّ طبيعةٍ رِطْلُ[1]

وفي نتفته الأخيرة في هذا اللون يذكر أبو نواس الخمرة فيقول:

نجوتُ من اللصِّ المغيرِ بسيفهِ إذا ما رماهُ بالتِّجارِ سبيلُ

وسَلَّطْتُ خَمَّارًا عَلَيَّ بِخَمْرِهِ فراحَ بأثوابي، ورحتُ أميلُ[2]

وأجد أبا نواس في فنّه هذا يذكر السخرية والفكاهة في شعره نحو تسع مرات، ورد ذكر الخمرة في اثنتين منها تقريبًا. ولعل "أبا نواس" ذكر الأطلال في شعره ضمن باب من أبواب السخرية والاستهزاء بالعرب وبشعرائهم، على طريق الشعوبية الذين يلذّ لهم سماع مثل هذا اللون من السخرية، وهي موجودة في شعر أبي نواس بكثرة، وإن كان أحيانًا يقدم الطلل في شعره مضطرًا لذلك؛ لأنه بهذا التقديم يرضي الخليفة، ولا يقول ما يخالف رضا الخليفة[3]، ومن ذلك قوله:

أعِرْ شِعْرَكَ الأَطلالَ والدِّمنَ القفرا فقد طالَ ما أَزْرَى بهِ نَعْتُكَ الخمرا

دعاني إلى وصفِ الطّولِ مُسَلَّطٌ تضيقُ ذِراعي أنْ أجوِّزَ لهُ أَمْرا

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:414.

[2] **المصدر السابق**. ص:415.

[3] كرزازي، علي: **استراتيجية الموقف السخري عند أبي نواس**. مجلة فكر ونقد، الرباط، المغرب، السنة الثانية، ع:14، 1998م، ص:115.

فســـمعٌ أميـــرَ المـــؤمنينَ وطاعـــةٌ وإن كنـــتَ قـــدْ جَشَّـــمْتَنِي مَرْكَبًـــا وَعْـــرا[1]

المبحث الثامن: العتاب والاعتذار.

خير من يمثل الاعتذاريات شعرًا في التاريخ الأدبي العربي هو الشاعر النابغة الذبياني، الذي أغاظ ذهابه إلى الغساسنة النعمانَ الثالث "أبا قابوس" ملك الحيرة؛ فلذلك أخذ النابغة يقول شعرًا ندمًا واعتذارًا منه للنعمان ملك الحيرة على ما بدر منه، ومن ذلك قوله في معلقته الدالية:

أنبئـــتُ أنَّ أبـــا قابـــوسَ أَوْعَـــدَنِي ولا قـــرارٍ علـــى زَأْرٍ مـــن الأســـدِ[2]

ويسجل لنا التاريخ اعتذار كعب بن زهير، في حضرة النبي ﷺ، عندما نظم قصيدته البردة، وألقاها أمام النبي –عليه السلام–، والتي منها:

أنبئـــتُ أَنَّ رســـولَ اللهِ أَوْعَـــدَنِي والعفـــوُ عنـــدَ رســـولِ اللهِ مـــأمولُ

مهـــلًا هـــداكَ الـــذي أعطـــاكَ نافلـــةَ الـــ ـــقرآنِ فيهـــا مَـــواعيظُ وتفصـــيلُ

لا تأخـــذنِّي بـــأقوالِ الوُشـــاةِ ولـــمْ أُذْنـــبْ ولـــو كثـــرتْ عَنِّـــي الأقاويـــلُ

إنَّ الرســـولَ لنـــورٌ يستضـــاءُ بِـــهِ مُهَنَّـــدٌ مِـــنْ سُـــيوفِ اللهِ مســـلولُ[3]

هذا اللون من الشعر وجد في شعر أبي نواس في متن بعض قصائده، وفي بعض مقطوعاته، وهو لون يحاول فيه الشاعر أن يدافع عن نفسه عند من يلومه، أو يعتب عليه في كثير من أحواله الشخصية الخاصة؛ كزندقته وتعاطيه للخمرة والإسراف فيها، كذلك تهتكه مع الغلاميات والغلمان – كساق أو ساقية– فاللوم كان من أجل ترك مثل هذه السلوكات الفاضحة، والتي تبعده عن الدين

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:203–204.

[2] التبريزي، يحيى: **شرح المعلقات العشر المذهبات**. ص:329.

[3] ضيف، شوقي: **العصر الإسلامي**. ص:86.

والخلق والرجولة.. ونلحظ هنا أنَّ أبا نواس هو من يلام وهو الذي يجب أن يعتذر، ولكننا نلحظ أنه يرد على من يلومه ويعتب عليه ردًا غير مناسب في أغلب الأحيان، وأحيانًا نجد أبا نواس هو من يعتب أو يعتذر.

وإذا تتبعنا القصائد والمواضع التي جاء فيها لوم وعتاب واعتذار عند أبي نواس، فإننا نجدها في نحو(24) موضعًا وقصيدة، انتشرت عبر محطات ديوانه المختلفة، غطت منها الخمرة سبعة مواضع، فنجده يبدأ ديوانه بلوحة حول اللوم الذي يقاومه بشدة، فيقول لمن يلومه:

دعْ عنكَ لَوْمِي فإنَّ اللومَ إغْراءُ ... وداوِني بالتي كانتْ هِيَ الداءُ[1]

وقوله في أخرى يطلب من لائمته أن تكف عن لومها وعتابها:

أَعَاذِلَتِي اقصِرِي عن بعضِ لَوْمِي ... فراجِي توبتي عندي يَخيبُ

غُرِرْتِ بتوبتي وَلَجَجْتِ فيها ... فَشُقِّي اليومَ جيبَكِ لا أَتوبُ[2]

وقد وجدت هذه الأبيات في قصائد تحدث فيها الشاعر عن الخمرة وصفاتها ومزاياها، وعن غزله بالغلمان.

وفي مقطوعة شعرية يقول أبو نواس في مطلعها:

أعاذلَ قد كَبرتُ عن العتابِ ... وبانَ الأَطْيبانِ مع الشبابِ

أعاذلَ عَنْكِ مَعْتَبَتِي ولَوْمِي ... فَمِثْلِي لا يُقَرَّعُ بالعتابِ

أعاذلَ ليسَ إطْرَاقِي لِعِيٍّ ... وهلْ مِثْلِي يكِلُّ عن الجَوَابِ؟![3]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:7.

[2] **المصدر السابق**. ص:32-33.

[3] **المصدر السابق**. ص:64.

فأبو نواس في أبياته هذه يحاول أن يقنع من يلومه بأنه فوق العتاب؛ فقد كبر أبو نواس، ومثله لا يوبخ ويعاب عليه، ويُكْثَرُ له من اللوم والعتاب، وما امتناعه عن ردِّ الجواب في بعض الأحيان، عن عيٍّ وضعف منه. وأجده فيما تبقى من أبيات يجنح إلى تذكير الآخرين بأنه مشغول بشرب الخمرة والغزل بالمذكر من الغلمان.

ثم نجده يقول في بعضها مع شيء من الغزل بالمذكر:

ولكنِّـــي فتـــى أفنيـــتُ عمـــري بأطيـــبِ مـــا يكـــونُ مِـــنَ الشَّـــرابِ

وَمَقْـــدودٍ كقـــدِّ السَّيْـــفِ رَخْـــصٍ كـــأنَّ بِخَـــدِّهِ لَمْـــعَ السّـــرابِ[1]

وفي مطلع قصيدة أخرى يقول أبو نواس:

أعـــاذلَ أعتبـــتُ الإمـــامَ وأَعْتَبـــا وأعربـــتُ عَمَّـــا فـــي الضـــميرِ وأَعْرَبـــا[2]

وبعد هذا البيت الذي هو مطلع القصيدة، يبدأ الشاعر بوصف المعاصي التي تشغل همه؛ فيتحدث ويصف الساقي متغزلًا به، ثم يصف الخمرة وما تفعله بمن يشربها.

ومن قصيدته "مالي وللعاذلات" يقول:

مـــــا لـــــي وللعـــــاذلات زَوَّقْـــــنَ لـــــي تُرَّهـــــاتِ

سَـــــعَيْنَ مـــــنْ كـــــلِّ فـــــجٍ يَلُمْـــــنَ فـــــي مَـــــوْلاتِي

يـــــــأْمُرْنَنِي أنْ أُخَلِّـــــــي مِـــــنْ راحَتـــــيَّ حَيـــــاتي[3]

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص: 65.

[2] **المصدر السابق**. ص:33.

[3] **المصدر السابق**. ص:100-101.

ويبدو أن الشاعر في قصيدته هذه التي قاربت الثلاثين بيتًا، يحاول أن يثبت تمسكه برأيه، وأنه لا يهتم للوم اللائمين؛ لأنهم لم يشعروا بشعوره، ولم يعيشوا حياته، ولم يجربوا تجربته، وألحظ هنا خلو هذه القصيدة من الخمرة وذكرها أو وصفها.

أما في قصيدته التالية؛ فالشاعر يوجه عتابه ولومه فهي التي أقنعته بجفاء المحبوب وهجره، فيقول لها مخاطبًا ولائمًا بل ومعنفًا لنفسه، التي تسببت في هجران من أحب:

يـــــا نفـــــسُ كيـــــف لَطُفْـــــتِ للصـــــــبرِ حتّـــــــى صَـــــــبرتِ

ألســـــــتِ صـــــــاحبتي يـــــــو مَ ودّعُـــــــــونـي ألســـــــــتِ؟!

يـــــا نفـــــسُ ليتَـــــكِ مِنِّـــــي يـــــــومَ الفِـــــــراقِ ســـــــقطتِ

حتّى أنهى قصيدته هذه بتشبيه نفسه باليهودي فيقول:

فكنـــــــتِ مثـــــــلَ اليهـــــــوديّ فعلَـــــــــهُ مـــــــا خَرَمْـــــــتِ

احتجـــــــتُ يومًـــــــا إليـــــــهِ فقـــــــال: ذا يـــــــومُ سَـــــــبْتِ![1]

وألحظ في هذه القصيدة أن الشاعر لم يتحدث فيها عن الخمرة أو أيٍّ من صفاتها وميزاتها. ويظهر لي أن هذا النوع من العتاب واللوم هو من النوع الثاني الموجه من قبل الشاعر إلى غيره.

ويظهر العتاب عند شاعرنا أبي نواس خلال قصيدة له ملأها غزلًا بالمذكر وشيئًا من الخمرة فيقول في عتابه:

أكلّمـــــا جَـــــدَّدَ لـــــي موعِـــــدًا أَخْلَفَـــــهُ التَّنْغـــــيصُ مـــــن عِلَّتِـــــهْ

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:103.

أُضْـــمِرُ فـــي البعـــدِ عِتابًـــا لـــهُ فـــإنْ دَنـــا أُنْســـيتُ مِـــنْ هَيْبَتِـــهْ[1]

وما تبقى من القصيدة فهو –كما أشرت– خمرة وغزل بالمذكر ولوم وعتاب، حيث يقول:

يَحـــارُ رَجْـــعُ الطَّـــرْفِ فـــي وجهِـــهِ وصـــورةُ الشـــمسِ علـــى صـــورَتِهْ

خمرتـــــهُ فـــــي الكـــــأسِ مَمْزُوجـــــةٌ كالـــــذهبِ الجـــــارِي علـــــى فِضَّـــــتِهْ[2]

وفي قصيدته التالية يعتب ويلوم محبوبه بشدة على تقصيره نحوه، دون أن يذكر الخمرة في متن قصيدته هذه:

يـــــــا لاعبًـــــــا بِحَيـــــــاتِي وهـــــــاجِرًا مـــــــا يُـــــــؤَاتِي

وزاهِـــــــدًا فـــــــي وِصَـــــــالي وَمُشْـــــــمِتًا بـــــــي عُـــــــداتِي

وحامـــــــلَ القلـــــــبِ منِّـــــــي علـــــــى سِـــــــنانِ قَنـــــــاةِ

هـــــــذا كتـــــــابي إلـــــــيكم مِـــــــــدادُهُ عَبَراتـــــــــي

مـــــــذكر حـــــــين يَبْـــــــدو مُؤَنَّـــــــثِ الخلـــــــواتِ

وشـــــــــاربٍ تـــــــــيلالا حـــــين ابتـــــدَا فـــــي النبـــــات[3]

وفي لوحة عتابية تصدر من الشاعر، يعتب فيها على حبيبه الذي هجره وابتعد عنه، وأبو نواس رغم موقف حبيبه منه، إلا إنه يعده بأن يبقى على حبه له، وعلى وفائه، ولن يسلوه أو ينساه، وهو في لوحته هذه يبتعد تمامًا عن ذكر الخمرة، وفيها يقول:

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:104،105.

[2] **المصدر السابق**. ص:104،105.

[3] **المصدر السابق**. ص:106،107.

أيـــــا ليـــــلُ لا انْقَضَـــــيْتْ ويـــــا صُـــــبْحُ.. لا أتيـــــتْ

ويـــــا ليـــــلُ إن أَردتَ طريقًـــــا فـــــلا اهتـــــدَيْتْ

حبيبـــــي بـــــأي ذنـــــبٍ بهجرانِـــــكَ ابتليـــــتْ

ووالله لا قَطَعْتُـــكَ إن زرتَ أو نأيـــــتْ

ولا زلـــــتُ عاشـــــقًا لـــــكَ إنْ شِـــــئتَ أو أَبَيْـــــتْ[1]

أما في قصيدته التالية التي يعلن فيها صراحة –لمن تلومه– تمسكه بما هو عليه من حب، وميل للغلمان، وبأنه لن يتراجع عن هذا الميل حتّى الممات، وأجده هنا يوظف آية قرآنية لغير ما نزلت من أجله، في تفضيل البنين على البنات، وهو اقتباس في غير محله، أو في غير ما فهم من الآية الكريمة، والجدير ذكره هنا خلو هذه اللوحة من ذكر الخمرة أيضًا. وفي هذه القصيدة يقول:

وعاذلـــةٍ تلـــومُ علـــى اصْـــطفائِي غلامًـــا واضـــحًا مثـــل المَهـــاةِ

وقالـــت: قـــد حُرِمـــتَ، ولـــم تُوَفّـــقْ لِطيـــبِ هـــوى وصـــالِ الغانيـــاتِ

دعينـــــي لا تلـــــوميني فـــــإني علـــى مـــا تكـــرهينَ إلـــى المَمَـــاتِ

بـــذا أَوْصَـــى كتـــابُ اللهِ فينـــا بتفضـــيلِ البنـــينَ علـــى البَنـــاتِ[2]

وفي لوحة عتابية خمرية يرد فيها أبو نواس على من يلومه على تعاطي الخمرة، فيقول:

عـــاذِلي فـــي المُـــدامِ غيـــرَ نَصـــيحِ لا تلُمْنِـــي علـــى شَـــقيقةِ رُوحـــي

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:108.

[2] **المصدر السابق**. ص:109.

لا تلُمْنـــي علـــى التـــي فَتَنَتْنِـــي وأَرَتْنـــي القبـــيحَ غيـــرَ قبـــيحِ

قهـــوةٌ تتـــركُ الصـــحيحَ ســـقيمًا وتُعيـــرُ الســـقيمَ ثـــوبَ الصـــحيحِ[1]

فأبو نواس يعدّ الخمرة شقيقة روحه؛ وبالتالي لن يستجيب لطلب من يلومه عليها بتركها والتخلي عنها.

وفي لمسة عتاب نواسية، وَهَمْسة اعتذار منه للخليفة؛ آملاً أن يعفو عنه، ويخفف من حكمه نحوه، يقول:

قـــــلْ للخليفـــــةِ إننـــــي حتّـــــى أَراكَ بِكُـــــلِّ بـــــاسِ

مـــنْ ذا يكـــونُ أبـــا نواسِـــك إذ حَبَسْـــتَ أبـــا نـــواسِ!؟

أَقْصَـــــــــيْتَهُ وَنَسِـــــــــيتُهُ ولعهـــدهِ بـــكَ غيـــرُ نـــاسِ

إنْ أنـــتَ لـــمْ ترفـــعْ لـــهُ رأسًـــا فُـــدِيتَ فنصـــفَ راسِ[2]

ونلحظ هنا خلو هذه المقطوعة العتابية من ذكر الخمرة؛ لأن أبا نواس في حضرة الخليفة.

وفي اعتذار واضح من أبي نواس يقول:

وحَيَـــاةِ رَأْسِـــكَ لا أعـــو دُ لِمِثْلِهـــا وحيـــاةِ راســـكْ

مـــن ذا يكـــونُ أبـــا نـــوا سِـــكَ إنْ قتلـــت أبـــا نواسِـــكْ[3]

وهذه أيضًا خلت من ذكر الخمرة؛ احترامًا للخليفة، ولطبيعة الموضوع.

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:124.

[2] **المصدر السابق**. ص:324.

[3] **المصدر السابق**. ص:325.

وفي لوحة شعرية جديدة مزج فيها أبو نواس بين العتاب والاعتذار مع التودد للآخر الذي أسخط أبا نواس، وتخلّيه تمامًا عن ذكر الخمرة، وفيها يقول:

أكـــذا ســـريعًا صـــارَ حَبْـــ ـــــلُكَ ســـيدي مُتَنَقَّضَـــا

أَبْغضـــتَنِي يـــا ســـيدِي أفـــديكَ حِبًّـــا مُبْغِضَـــا

لا زلـــتُ صـــائمَ سُـــخْطِكُمْ حتّـــى يفطّرنـــي الرّضـــا

عجبًـــا لمـــنْ لامَ المُحِـــ ـــبَّ أمـــا أحـــبَّ وأُبْغِضَـــا[1]

أما قصيدته التالية فحوت اللوم والعتاب والخمرة والغزل بالساقي؛ فقد خلع عليهما؛ أي على الخمرة والساقي أجمل الصفات والسمات، التي تجعل من أبي نواس محبًا لهما حبًا كأنه دِينٌ يُتَّبع. ومن ذلك قولـه:

ومُلِحَّـةٍ فـي العَـذْلِ ذاتِ نصـيحةٍ ترجـو إنابـةَ ذي مُجـونٍ مـارقِ

بَكَـرتْ تُبَصِّـرُني الرشـادَ وشـيمتي غيـرُ الرشـادِ ومَـذْهَبِي وخَلائقـي

لمـا ألحّـتْ فـي العتـابِ زجرتُهـا فتـأخرتْ عنـي بقلـبٍ خَـافقِ

كـمْ رُضْـتُ قلبـي فـاعْلَمِي وَزَجَرْتُـهُ فـرأى اتبـاعَ الرشـدِ غيـرَ مُوافـقِ

ومدامـةٍ مثـلِ الخَلـوقِ عتيقـةٍ حُجِبَـتْ زمانًـا فـي كَنـائسِ دابـقِ

باكرْتُهـا مِـنْ كَـفِّ أغْيَـدَ شـادِنٍ حَسَـنِ التـنغّمِ فـوقَ سُـؤْلِ العاشِـقِ[2]

وفي مقطوعتين شعريتين متتاليتين في ديوان أبي نواس، أجده يوظف هذا اللون العتابي من الشعر، مع خلوهما من ذكر الخمرة، ففي الأولى يقول:

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:341-342.

[2] **المصدر السابق**. ص:378-379.

فـــديتُكِ فـــيمَ عَتْبُـــكِ مـــنْ كَـــلامٍ نَطَقْـــتِ بـــهِ عَلـــى وجـــهٍ جميـــلِ؟!

وقولُـــكَ للرّســـولِ عليـــكَ غَيْـــرِي فلـــيسَ إلـــى التَّواصُـــلِ مـــنْ ســـبيلِ[1]

وقوله في الثانية:

أيـــنَ الجـــوابُ وأيـــنَ ردُّ رَسَـــائِلي؟ قالـــت: تَنَظّـــرْ ردّهـــا فـــي قابِـــلِ

فَمَـــدَدْتُ كَفِّـــي، ثـــم قلـــتُ: تَصَـــدَّقِي! قالـــتْ نعـــم؛ بحِجـــارةٍ وجنـــادلِ[2]

ويقول في مقطوعة أخرى تخلو أيضًا من ذكر الخمرة:

عِتـــــابٌ لـــــيسَ يَنْصَـــــرِمُ وَحُـــــبٌّ لـــــيسَ يَنْكَـــــتِمُ

وجاريـــــةٍ بُليـــــتُ بِهـــــا كـــــأنَّ بَنانِهـــــا عَـــــنَمُ[3]

وقوله في أخرى على سبيل النتفة الشعرية مع خلو من الخمرة:

أيهـــا العـــاذلانِ لا تَعْـــذِلاني فـــي مُناســـاةِ خلّـــةِ الإخـــوانِ

مـــرضَ الـــودُّ والإخـــاءُ وبـــادا فـــدعاني مِـــنَ المـــلامِ دَعـــاني[4]

أما اللوحة الأخيرة في هذا الفن الشعري؛ فيعرض أبو نواس فيها لومه على من يلومه أو يعتب عليه في شرب الخمرة وذكرها فيقول مصرحًا بها:

أيهـــا العاتـــبُ فـــي الخمـــ ـــرِ متـــى صِـــرْتَ سَـــفيهَا

---

1 أبو نواس: **ديوانه**. ص:432.

2 **المصدر السابق**. ص:432.

3 **المصدر السابق**. ص:488.

4 **المصدر السابق**. ص:579.

كنـــــتَ عنـــــدي بِسِـــــوى هـــــــ ـــــــذا مِـــــنَ النُّصْـــــحِ شَـــــبيهَا

لَـــــــوْ أَطَعْنـــــــا ذا عِتـــــــابٍ لأَطَعنـــــــــــــا اللهَ فيهـــــــــــا

فاصْـــــــطَبِحْ كـــــــأسَ عُقَـــــــارٍ يـــــــا نـــــــديمي واسْـــــــقِنيها

إننـــــــي عِنْـــــــدَ مَـــــــلامِ الـــــــ ـــــــنَّاسِ فيهـــــــا أَشْـــــــتَهيها[1]

وقد تجلى هذا اللون من الشعر عبر مناطق مختلفة من ديوان الشاعر، نافت على خمسٍ وعشرين قصيدة ومقطوعة ونتفة وموضعًا. وقليلًا ما كان أبو نواس يغطي فنه هذا بالخمرة، ولم يلجأ إليها إلا في نحو ست مناطق من شعره العتابي والاعتذاري، أما ما تبقى بعد ذلك فقد خلت من الخمرة أو ذكر صفاتها وميزاتها.

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:586.

الفصل الرابع

الخصائص الفنية في شعر أبي نواس عامة، والخمري خاصة.

المبحث الأول: الخصائص الفنية لشعر أبي نواس (شعر الخمرة خاصة).

المبحث الثاني: اللغة في شعر أبي نواس.

المبحث الثالث: الصورة الفنية.

المبحث الرابع: تبادل الحواس (تراسل الحواس).

المبحث الخامس: التناص.

المبحث السادس: الطباق.

المبحث السابع: الجناس.

الفصل الرابع: الخصائص الفنية في شعر أبي نواس عامة، والخمري خاصة.

المبحث الأول: الخصائص الفنية لشعر أبي نواس (شعر الخمرة خاصة).

لم يترك أبو نواس فنًا من فنون الشعر إلا أبدع فيه وخاض فيه، فهناك فنون شعرية تفوق فيها على غيره من الشعراء، كالخمرة والعبث والمجون، ومنها ما أجاده ولم يقصر فيها؛ كالمدح والهجاء والطرد والزهد، ومن أشعاره ما لم يجد فيها كالرثاء والغزل البريء؛ ولذلك فكما يرى بطرس البستاني فإن شعر "أبي نواس" يقسم إلى ثلاثة أقسام: "قسم يطبعه بطابعه الخاص، ويحتكره احتكارًا لا ينازعه فيه أحد، وقسم يشارك فيه غيره من الشعراء، وقسم يجري به وراء المجلّين فما يشق لهم غبارًا"[1].

كما أجمع علماء الشعر ونقاده وفحول الشعراء، على أن أبا نواس أشعر المحدَثين بعد بشار، وأكثرهم تفننًا، وأبدعهم خيالًا، مع دقة لفظ، وبديع معنى، وأنه شاعر مطبوع برز في كل فن من فنون الشعر، وامتاز بقصائده الخمريات، ومقطعاته المجونيات، وأراجيزه الطرديات، وكان شعره لقاح الفساد، والقدوة السيئة؛ لنقله الغزل من أوصاف المؤنث إلى المذكر وإبداعه في وصف الخمرة؛ فكان نموذج سوء لمن تأخر[2].

ونرى أن شعر "أبي نواس" قد تميز بإبداع الخيال ودقة اللفظ وبديع المعنى، وكان أبو نواس حاضرًا في كل الفنون الشعرية، حيث إنه كان يكثر في قصائده من ذكر الخمرة، وكان ماجنًا، ومجونه تميز بنقله الغزل بالمؤنث إلى الغزل بالمذكر.

ويعدّ شعر أبي نواس ظاهرة فنية فريدة من نوعها، والذي دعّم ذلك وقوع شعره على حافة تفصل بين مرحلتين ثقافيتين، تمثّلان حجر الزاوية في تطور الأدب العربي القديم، فقد وقف أبو نواس

---

[1] البستاني، بطرس: **أدباء العرب في الأعصر العباسية**. ص:73.

[2] الهاشمي، أحمد: **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**. ج:1، ص:171.

على القصيدة الشعرية العربية والصورة الفنية، بما يمكن أن يسمى تظاهرًا، ولكنه رفض البنية الثلاثية التي ميّزت القصيدة الجاهلية، واستعاض عنها بالوقفة الخمرية، حيث إنه ثار أيضًا على الصورة الشعرية التقليدية، واستحدث صورًا جديدة كتشخيص الخمرة، والاعتماد على الاستعارة أساسًا قويًا في تشكيل صورته الشعرية والفنية، والدارس للصورة الشعرية عند أبي نواس يستطيع أن يظفر بأنواعها المختلفة، فلديه الصورة الواحدة التي تعتمد على التشبيه أو الاستعارة، ولديه الصورة التي تتألف من مقطع واحد، والتي تجسّد موقفًا متكاملًا، ولديه المقطوعة الكاملة أو القصيدة التي تكون في مجموعها صورةً كلية لتجسيد رؤية واحدة[1].

واتكأ الأسلوب الشعري عند أبي نواس كثيرًا على الأساليب الطلبية، ولا سيما في الأمر والنداء؛ في دلالة على استحضار الذات الشاعرة ذات الآخر، عبر تقنيات النداء والطلب، وأيضًا أسلوب الحكي والقص والحوار والاقتراب من بنية الكلام بطاقة الشعر، مما أتاح للشاعر فرصة أكبر للمزج بين الأساليب الإنشائية والخبرية، ومستوى الحضور والغياب والذكر والحذف، وفرصة أكبر في القدرة على تحويل البنى الجزئية في الجملة، وإمكان اللعب بشكل أوسع على تشكيل البنى اللغوية وانتهاك الرتب بالتقديم والتأخير[2].

لقد ظهرت بعض الألفاظ الدينية في خمريات أبي نواس وغزله، حيث يقول متغزلًا:

ولـــدتُ فـــي حُبِّـــكِ يـــا مُنْيَتِـــي بِطـــــالِعٍ لـــــيسَ بِمِعْطـــــاءِ

هـــذا وَرِيحـــي مِـــنْكُمُ صَرْصَـــرٌ تَجِـــفُّ دونـــي كـــلُّ خَضْـــرَاءِ[3]

---

[1] الشمري، حنان بنت سعود: **القيم الإسلامية في شعر أبي نواس**. ص:175.

[2] المحجري، محمد عبد الله محمد: **الخصائص الأسلوبية في شعر أبي نواس**. أطروحة دكتوراه، جامعة أم درمان، السودان، 2000م، http://www.iwan7.com/forum

[3] أبو نواس: **ديوانه**. ص:17.

فهو يردد في غزله عبارات دينية، تدل على تأثير تلك العلوم التي تلقاها في أول حياته، فأثرت عليه بشكل أو بآخر، وظهرت في أشعاره، وعلى صعيد آخر كان هناك تأثر واضح لدى الشاعر بالثقافات التي عاصرها، ودرس شيئًا منها لا سيما الفارسية واليونانية والهندية، وظهر هذا التأثير في بعض ألفاظه ومعانيه، كما ظهر تأثره بعلم الكلام في بعض أشعاره، لكن في الحقيقة أن أثر هذه الثقافات كان واضحًا في شعره الخمري وفي غزله[1].

إن صور أبي نواس بدت ذات نضج فنيّ؛ فمالت إلى الإيحاء والخروج على المألوف، وقد عكست واقع الشاعر بكل حيثياته، ولولا وجود الاستعداد الفطري لجاءت ركيكة سطحية، وعلى الرغم من أنها تمس الواقع في بعض مواضعها دون زخرفة، إلا إنه تماس يؤثر في الفاعلية الفنية والقيمة النفسية والصدق، وهو تماس غير مقصود، وليس لفتور فني أو قصور خيالي لدى الشاعر، ويغلب التشبيه على الصور الشعرية عند أبي نواس في خمرياته، وفي هذه التشبيهات تظهر الخمرة محبوبة فاتنة، وتؤدي دور المثير الأصلي الذي تدور حوله تلك التشبيهات وتتداعى، إذ يؤدي التشبيه هنا وظيفة توكيدية، إضافة إلى وظيفته الجمالية في تشكيل الصورة الفنية، فيبرز الشاعر أثناء عملية التشبيه حجم ذلك الجمال، من خلال التدفق التشبيهي المسترسل، الذي يقوم على تشقيق فكرة الجمال وإبرازها، ويجيء التشبيه أوغل في الخيال كما في قوله:

جُنِنْـــتُ علـــى عَـــذراءَ غيـــرِ قويـــةٍ شـــديدةِ بطـــشٍ فـــي الزجـــاجِ شَـــموسِ

تـــرى كأْسَـــها عنـــدَ المِـــزاجِ كأنَّهـــا نَثَـرْتَ عليْهـا مـن حَلْـيِ رأْسِ عَـرُوسِ[2]

فالخمرة أصبحت عروسًا، يشتاق إليها كل من أحبها، ولكن الشعر يزيد لوعة المشتاق إليها، حين يصور ما اعتلاها من حباب ناتج عن المزج بالماء، يشبهه بزينة العروس المنشور على رأسها

---

[1] الشمري، حنان: **القيم الإسلامية في شعر أبي نواس**. ص:201.

[2] أبو نواس: **ديوانه**. ص:307.

الحلي، وهذه المعطيات تشكل عنصر جذب للقارئ والشارب معًا، فهي تشدهم إليها؛ لتتمكن من الإيقاع بهم وكشف أسرارهم وهتك خباياهم، فالسحر الذي طغى على صورتها جعلها قادرة على أخذ ما تريد من شاربها، فصارت هي الفاعلة وغيرها المفعول بهم[1].

المبحث الثاني: اللغة في شعر أبي نواس.

استخدام أبي نواس غريب اللغة: خاصة في أراجيزه في الصيد والطرد، إضافه إلى أسلوبه الذي يشبه أسلوب الجاهليين في ابتداءاتها، التي جاءت مفعمة بغريب اللغة، ومحاكاة للغة الأعراب، في الوقت الذي شاع فيه جمع اللغة من مظانها وتدوينها، ووضع قواعد النحو ورواية الشعر القديم، على يد طائفة من علماء العربية كالخليل وأبي عمرو بن العلاء والأصمعي وغيرهم[2].

ويعد أبو نواس أكبر شاعر اهتم بفن الطرديات، فقد أولع بفن الطرد والصيد وكلاب الصيد، فمثلًا يقول: **قد أغتدي والطيرُ في مثْواتِها لم تُعْرِبِ الأفواهُ عنْ لُغاتِها**

بأكلبٍ تمرحُ في قِدَاتِها تعدُّ عِينَ الوحشِ منْ أَقْواتِها[3]

ويكاد أبو نواس يتشابه في شعره الطردي مع الشعر الجاهلي، فنجد الصورة كاملة مثلًا في شعر امرئ القيس، ولكننا نجد الشعر الطردي في الجاهلية يشكل جزءًا من قصيدة، بينما في العصر العباسي نجده قد تحول إلى قصيدة كاملة، كما هو عند الشمردل، وأبي نخيلة الراجز، اللَّذَيْنِ جعلا قصائدهما كاملة وخالصة لموضوع الطرد وعلى بحر الرجز، ثم صارت طريقتهما تقليدًا فنيًا تطور على يد أبي نواس[4]. ولعل في اعتماد شعر الطرد وبحر الرجز دائمًا، يوحي بعلاقة بين هذا الوزن

---

[1] الحجاجرة، سعاد: **خمريات أبي نواس ومسلم بن الوليد دراسة أسلوبية**. ص:205.

[2] المنصوري: **البداوة في شعر العصر العباسي الأول**. ص:201.

[3] أبو نواس: **ديوانه**. ص:111.

[4] المنصوري: **البداوة في شعر العصر العباسي الأول**. ص:204.

وموضوع الصيد؛ إذ في هذا الوزن من الحركات المتتالية السريعة ما يلائم موضوع الصيد، وكأن في ذلك ما يؤكد على بدوية هذا الشعر[1].

كما نلحظ العلاقة القوية بين لغة الشعر الطردي وموضوعه، حيث يلجأ الشاعر إلى استخدام غريب اللغة ووحشيها، والغريب في بداوة الشعر وسمة التقليد فيه، ونجد ازدواجية لدى أبي نواس من حيث تقليده للنهج القديم؛ مما جعل شعره يتسم بالجزالة في اللغة ووضوح المعاني ودقتها، إلا إننا نرى أن أبا نواس قد شنّ هجومًا لاذعًا على حياة البداوة والبدوي، صَوَّرَ ذلك في لغة شعوبيةٍ حاقدة، جعلت من شعره لا يتصف بالصدق والوفاء للإنسان البدوي وبيئته وعروبته، فهو من جهة يمدح هذه الحياة والبيئة البدوية، ومن جهة أخرى يذمها ويحتقرها ويصفها بأقذع الأوصاف والألفاظ، فهو يتحرك في شعره بحسب الموضوع وفنونه.

المبحث الثالث: الصورة الفنية.

بداية أقول: إن التشبيه من الخصائص الفطرية في الإنسان، وعملية أساسية في التفكير من حيث الإدراك والتأليف، وهو من أوليات الصور البيانية في النشأة التاريخية، فهو يسبق وجود المجاز والكناية زمنيًا، ولذا شاع كثيرًا في تراث العرب شعرًا ونثرًا[2]. ويرى الدكتور شوقي ضيف أن الوظيفة الأصلية والأساسية للتشبيه هي التصوير والتوضيح، وذلك بالانتقال من شيء إلى شيء آخر يشبهه ويشاكله، يعبر به الشاعر أو الكاتب عن معنى في نفسه، وكلما كان أبعد وأغرب كان أروع وأجمل[3].

---

[1] المنصوري: **البداوة في شعر العصر العباسي الأول**. ص:205.

[2] العيسوي، عبد الحميد: **بيان التشبيه**. ط:1، مطبعة القاهرة الجديدة، 1988م، ص:23-25.

[3] ضيف، شوقي: **في النقد الأدبي**. ط:2، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص:171.

وقد كان لتشبيهات القرآن الكريم أثر في كلام العرب، فأدارها الشعراء في قصائدهم، واتخذها الكتاب أساسًا في تصويرهم[1]، وبذلك تعد الصورة الفنية هي "الوعاء الذي يحاول به الأديب نقل فكرته وعاطفته معًا إلى قرائه أو سامعيه"[2].

وإذا ما تتبعنا الصور الفنية عند أبي نواس، نجدها قد تناثرت في مختلف أغراضه الشعرية، خاصة في شعر الخمرة والطرد والقصف واللهو والمجون، وغزلياته المنوعة وغير ذلك، مما يدل على أن أبا نواس هو شاعر الصورة الخمرية والطردية والغزلية، وقد تفنن في إيرادها على اختلافها وفي معظم محطاته الشعرية.

فمثلًا أجد أبا نواس في همزيته الأولى (دع عنك لومي..) يقول مصورًا الخمرة:

قامـــتْ بِإبْرِيقِهـــا والليـــلُ معتكـــرٌ فـــلاحَ مِـــنْ وَجْهِهَـــا فـــي البيـــتِ لَأْلاءُ

فأرســـلَتْ مـــن فـــمِ الإبريـــقِ صـــافيةً كأنمـــا أخـــذُها بـــالعينِ إغفـــاءُ

رقّـــتْ عـــن المـــاءِ حتّـــى مـــا يلائمَهـــا لطافـــةً وَجَفَـــا عـــن شَـــكْلِها المـــاءُ

فلـــو مزجْـــتَ بهـــا نـــورًا لَمَازجَهـــا حتّـــى تَوَلَّـــدُ أنـــوارٌ وأضـــواءُ[3]

وهنا ألحظ أنّ أبا نواس أراد أن يصور صفاء الخمرة وإشعاعها، فجعل منها سببًا في تبديد الظلام بنورها الذي هو كاللآلئ المضيئة، ثم يصور الناظر إليها، وإلى صفائها الجذاب عندما تبدو من فم الإبريق، لدرجة أن الناظر إليها بإمعان تصيب عينه إغفاءة؛ بسبب الراحة النفسية التي يشعر بها كل من ينظر إليها، فهي لشدة نورها لو مزجت بالنور لامتزجت به؛ حتّى يؤدي ذلك لتوليد أنوار وأضواء تنسجم مع نور الخمرة الصافية المشعة.

---

[1] الصغير، محمد حسين: **أصول البيان العربي**. (د.ط)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د.ت)، ص:64.

[2] الشايب، أحمد: **أصول النقد الأدبي**. ط:2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1973م، ص:242.

[3] أبو نواس: **ديوانه**. ص:7.

ولعل هذه الصورة الشعرية الخمرية التي عمل الشاعر على تركيبها وإبرازها، ما هي إلا إعادة إنتاج عقلية لتجربة عاطفية[1] عاشها أبو نواس ويعيشها كلما جرّه هواه إلى الخمرة والفسق والمجون.

وفي لوحة قصف وخمرة في مجلس تهتك وفجور يقول فيها:

واشـــربْ سُـــلافًا كعـــينِ الـــديكِ صـــافيةً　　مـــن كـــفِّ ســـاقيةٍ كـــالريمِ حـــوراءِ

صـــفراءُ مـــا تركـــتْ، زرقـــاءُ إن مُزِجَـــتْ　　تســـمو بِحَظَّـــيْنِ مِـــنْ حُسْـــنٍ ولَأْلاءِ

تنـــزو فَواقِعُهـــا منهـــا إذا مُزِجَـــتْ　　نَـــزْوَ الجَنَـــادِبِ مِـــنْ مَـــرْجٍ وأفيـــاءِ[2]

وضمن هذه الصور المتلاحقة التي نسج خيوطها أبو نواس في قصيدته هذه، لا بد أن أذكر بأن الجرجاني لاحظ دور المعاني في تشكيل الصورة عندما قال "وإنما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش"[3].

ولعل معطيات الصورة في هذه الأبيات ومكوناتها، لفت الجرجاني أنظارنا إليها بدراسة الصور الحسية بأنواعها كاللون والهيئة والحركة والصوت والذوق واللمس[4].

وعند ملاحظتي للصور الواردة في المقطع الشعري السابق، أجد أن أبا نواس استخدم في البيت الأول التشبيه العادي: المشبه: "سلافًا، كفِّ ساقيةٍ"، أداة التشبيه: الكاف، المشبه به: "عين الديك, الريم"، وجه الشبه: صافية، حوراء، وهذا النوع من التشبيه المباشر يلجأ إليه الشاعر في بعض الأحيان في مقدمة قصيدته أو مطالع صوره. ثم يلجأ الشاعر إلى ذكر الصور اللونية كما في البيت

---

[1] ويليك، رينيه، (وزميله): **نظرية الأدب**. تر: محيي الدين صبحي. مراجعة: حسام الخطيب. ط:3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1987م، ص:194.

[2] أبو نواس: **ديوانه**. ص:9-11.

[3] الجرجاني، عبد القاهر: **دلائل الإعجاز في علم المعاني**. تصحيح: محمد عبده. تعليق: محمد رشيد رضا. (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص:70.

[4] الجرجاني، عبد القاهر: **أسرار البلاغة في علم البيان**. تصحيح: محمد عبده. تعليق: محمد رشيد رضا. ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص:71.

الثاني أعلاه عندما وصف الخمرة بأنها صفراء، وزرقاء، ومضيئة، ثم يذهب الشاعر إلى الصور الحركية كما في البيت الثالث السابق عندما شبه حركة فقاعات الخمرة في دنّها، بحركة الجنادب وسط المروج الخضراء، وفي صورة أخرى جمع الشاعر بين الصورة البصرية والحركية عندما قال:

لهـــا ذيـــولٌ مِـــنَ العِقْيـــان تَتْبَعُهـــا فـــي الشـرقِ والغـربِ فـــي نـــورٍ وظَلْمـــاءِ

تغـــدو وترجـــعُ لـــيلًا عـــن مســـارِبها إلـــى ملـــوك ذوي عِـــزٍ وأَحِبَّـــاءِ

ثم أجد في هذه القصيدة صورة صوتية سمعية عندما قال:

مـــن مُقـــربٍ عُشَـــراءِ ذاتِ زمزمـــةٍ وعائـــذٍ مُتَّبَـــعٍ منهـــا، وعـــذراءِ

ولهذا "فالصورة تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدّمتها، فأغلب الصور مستمدة من الحواس، إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية"[1].

وفي لوحة خمرية أخرى يعدد أبو نواس صوره فيها، ومنها:

ومُدَامـــةٍ سَـــجَدَ الملـــوكُ لِـــذِكْرِها جلّـــتْ مِـــنَ التَّصْـــرِيحِ بالأســـماءِ

شـــمطاءُ تـــذكرُ آدمًـــا مـــع شِـــيثِهِ وَتُخَبِّـــرُ الأخبـــارَ عـــن حَـــوَّاءِ

صـــاغَ المـــزاجُ لهـــا مِثـــالَ زُبُرْجَـــدٍ متـــأَلِّقٍ ببـــدائِعِ الأَضْـــواءِ

فـــالخمرُ فينـــا كالبِجـــادِيّ حُمـــرةً والكـــأسُ مـــن ياقُوتَـــةٍ بيضـــاءِ

والكـــوبُ يضـــحكُ كـــالغزالِ مُسَـــبِّحًا عنـــدَ الرّكـــوعِ بلثغـــةِ الفأفـــاءِ

---

[1] البطل، علي: **الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري؛ دراسة في أصولها وتطورها**. ط:3، دار الأندلس، بيروت، 1983م، ص:30.

وكـــأنَّ أقـــداحَ الزجـــاجِ إذا جَـــرَتْ وسْـــطَ الظـــلامِ كواكـــبُ الجـــوزاءِ

يســعى بهــا مــن وُلْــدِ يافــث أَحْــوَرٌ كقضــيبِ بــانٍ فــوقَ دِعْــصِ نقــاءِ

وفتــى كــأطوَعِ مَــنْ رأيــتَ إذا انتشــى غَنَّـــى بحُسْـــنِ لَبَاقـــةٍ وَحَيَـــاءِ[1]

والشاعر في هذه الأبيات يرسم لوحة جميلة لمشروبه المفضل (الخمرة)، ويزينها بأحسن الأسماء والصفات، فالخمرة (المدامة) يخلع عليها صفة قدسية عندما قال: (سجد الملوك لذكرها)، ثم يتحدث عن قدمها في العصور الغابرة منذ عهد آدم وحواء، فهي شمطاء لها تاريخ عميق وبعيد في التصنيع، ثم يعمل الشاعر على تحويل المعنوي إلى محسوس ملموس، عندما يتحدث عن المزاج الذي تحول إلى صانعٍ أو صائغ يصوغ من الزبرجد والأحجار الكريمة، مثلًا لؤلئِيًا متألقًا مزينًا بالأضواء الجميلة، ثم يشبه الخمرة بالثوب الأحمر المخطط، وكأس الخمرة مصنوعة من الياقوت الأبيض، ولعل أجمل ما في هذه الأبيات هو البيت الخامس عندما جعل الكوب كائنًا حيًا يشعر ويضحك مشبهًا إياه بالغزال المسبِّح في ركوعه، وإني لأجد الشاعر في شعره يذكر بعض المفردات أو المعاني الإسلامية، وإن كان يذكرها في مواقف سلبية لا تليق بها. ثم يشبه كاسات الخمرة الزجاجية وهي تتحرك، أو تدور بين شاربيها في حانة الخمرة كأنها كواكب سماوية مضيئة، وهنا أجد كذلك حرص الشاعر في جل مناطق ذكره للخمرة يذكرها، مضيئةً أو منيرة أو متلألئة إلى غير ذلك من مفردات اللمعان والإشعاع، بعدها تطرق إلى الساقي الذي شبه حوره كغصن البان الطري اللين، فوق كومة من الرمال المستديرة، ثم يتحدث ويصف الغلام بأنه كأطوع من رأى؛ عندما ينتشي ويفرح تتجلى على مظهره اللباقة الحسنة والحياء، وهي صفات يحبها رواد الخمرة في الساقي. ولعل الشاعر في لوحته التصويرية هذه، يحاول

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:16-17.

أن يقدم للمتلقي الصورة الأجمل والأفضل للخمرة وشاربيها وسقاتها، في بيئته الحانة الجميلة التي باكتمال عناصر الجمال فيها تزيد من إقبال الناس عليها.

ويبدو أن أبا نواس يعمل على التكثيف الشعري في صوره الشعرية، وهذا التكثيف ناتج عن تلاشي الأبعاد أو القيود الزمنية التي تفصل بين الأشياء[1]. ولعل إحساس أبي نواس الفاعل والمؤثر هو الذي يمنح الصورة الحركة والفاعلية في النص الشعري، ولا سيما أن "الصورة أثر خلّفه الإحساس على نحو لا يمكن تفسيره"[2] وهذا ما يعمد إليه الشاعر أبو نواس في كثير من مناطق عرض صوره الفنية، التي في أغلبها تنتج عن شعوره المكثف وإحساسه العميق في إنشاء مثل هذه الصور، وكذلك فإني أرى أن أبا نواس يوظف الصور الجزئية ليكون منها صورًا كلية، وهنا "يقتضي أن تؤدي كل صورة وظيفتها في داخل التجربة الشعرية التي هي الصورة الكلية، وذلك أن تكون الصورة الجزئية مسايرة للفكرة العامة، أو الشعور العام في القصيدة، وأن تشارك في الحركة العامة للقصيدة حتّى تبلغ الذروة في النماء، ثم تنتهي إلى نتيجتها الطبيعية التي تؤلف وحدتها العضوية"[3]، وسأعرض هنا كذلك صورة للخمرة من وجهة نظر الشاعر أبي نواس مجتزأة من لوحة شعرية شاملة للأطلال والشعوبية والغزل بالمذكر والزندقة والمجون، فيقول في وصف الخمرة التي أخذت منه عقله، وأصبح لا يعمل إلا من أجلها:

قبل حديثه عن الخمرة يمهد لها فيقول:

إذا رابَ الحليـــــبُ فَبُـــــلْ عليـــــهِ ولا تُحْـــرَجْ فمـــا فـــي ذاكَ حـــوبُ

---

[1] إسماعيل، عز الدين: **الشعر العربي المعاصر؛ قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية**. ط:3، دار العودة، ودار الثقافة، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص:138.

[2] ريتشاردز، أ، أ: **مبادئ النقد الأدبي**. تر: مصطفى بدوي. (د.ط)، المؤسسة العربية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1963م، ص:172.

[3] هلال، محمد غنيمي: **النقد الأدبي الحديث**. (د.ط)، دار العودة، بيروت، 1982م، ص:446.

ثم يقول: **فأطيبُ منه صافيةٌ شَمولٌ يطوفُ بكأسِها ساقٍ أَديبُ**

أقامتْ حِقْبةً في قَعْرِ دَنٍّ تفورُ وما يُحَسُّ لها لَهيبُ

كأن هديرَها في الدَّنِّ يحكي قِراةَ القَسِّ قَابَلَهُ الصليبُ

تمدُّ بها إليكَ يَدا غلامٍ أغنَّ كأنهُ رشأٌ ربيبُ[1]

إن هذه الأبيات المأخوذة من لوحته العامة، هي مكونة في حدّ ذاتها من صور جزئية لتكون في النهاية الصورة الكلية العامة للخمرة وشربها، واجتماع مثل هذه الصور في اللوحة العامة يشكل الوحدة العضوية للصور الكلية المختلفة.

فأبو نواس في بيته الأول هنا يتهجم على العرب وعلى غذائهم المكون من الحليب والبول، رغم أن أبا نواس عاش فترة طويلة في بادية العرب، ويعلم عدم صدق هذا الحديث، ولكنه يريد أن يهزئ العرب ويحط من مقامهم؛ متأثرًا بشعوبيته الحاقدة، وحتّى –كذلك– يُرِيَ العربَ بأن خمرته أفضل من حليبهم وغذائهم. ولذلك ألبس الخمرة ثوبًا جميلًا جاذبًا عندما قال عنها واصفًا لها، بأنها أطيب من الحليب، وصافية، ويحملها ساقٍ أديب، وأن هذه الخمرة استمرت فترة طويلة من الزمن أسفل قعر الدنّ وهي تفور (صورة حركية)، دون أن يُحَسَّ بلهيبها الناتج عن فورانها داخل الدن (صورة حسية مكملة للأولى)، ثم يصور هدير الخمرة داخل الدنّ، بأنها تشبه صورة القسيس الذي يقف أمام الصليب يقرأ ويتمتم، وهي تكاد تكون من أجمل (بل أجمل) الصور الحسية الشعورية الحركية المعبرة، التي قالها أبو نواس في شعره، ثم يكمل هذه اللوحة المُجْتَزَأَة، بصورة الغلام الذي يمدّ بكؤوس الخمرة على شاربيها؛ بأنه كالغزال الصغير الأغنّ (في صوته غنة).

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:32.

وفي مجلس قصف وخمرة ومجون يجتمع أبو نواس مع بعض الندامى على مائدة الخمرة والقصف والغزل بالمذكر، فيقول:

سـقى اللهُ ظبيًـا مبـديَ الغُـنجِ فـي الخطْـرِ ... يمـيسُ كغصـنِ البـانِ مـن رقـةِ الخصْـرِ

بعينيـــهِ ســـحرٌ ظـــاهرٌ فـــي جُفونِـــهِ ... وفـــي نَشْـــرِهِ طِيـــبٌ كفائحـــةِ العِطْـــرِ

هـــو البـــدرُ إلّا أنّ فيـــهِ مَلاحـــةً ... بتفتيـــرِ لحـــظٍ لـــيسَ للشـــمسِ والبـــدرِ

ويضـــحكُ عـــنْ ثغـــرٍ ملـــيحٍ كأنـــهُ ... حُبَـــابُ عُقـــارٍ، أو نقـــي مـــن الـــدُّرِّ

وقولـه: **سـقى اللهُ أيامًـا ولا هَجْـرَ بَيْنَنَـا ... وعـودُ الصِّـبا يهتـزّ بـالورقِ النضـرِ**

يُباكِرُنـــا النـــوروزُ فـــي غَلَـــسِ الـــدُّجى ... بِنَـوْرٍ علـى الأغصـانِ كـالأنجمِ الزُّهْـرِ

يلـــوحُ كـــأعلامِ المطـــارفِ وَشْـــيُهُ ... من الصّفرِ فوقَ البيضِ والخُضرِ والحُمرِ

وقولـه: **ومسـمعةٍ جـاءتْ بـأخرسَ نـاطقٍ ... بغيـــرِ لســـانٍ ظـــلَّ ينطـــقُ بالسِّـــحْرِ**

لتبـــدي بســـرِّ العاشـــقينَ بصـــوتِهِ ... كمـــا تنطـــقُ الأقـــلامُ تجهـــرُ بالسّـــرِّ

أَصـــابِعُها مخضـــوبةٌ وهـــي خمســـةٌ ... تَخَـــتَّمْنَ بالأَوْتـــارِ فـــي العُسْـــرِ واليُسْـــرِ

تقـــولُ وقـــدْ دبّـــتْ عُقَـــارٌ كأنهـــا ... دمٌ ودمـــوعٌ فـــوقَ خـــدٍّ إذا تجـــري[1]

هذه الأبيات اخترتها من لوحة حب خمري، ولهو وقصف ومجون، حاول فيها شاعر الخمرة الأول، أن يرسم معالم هذه اللوحة بألوانها المزركشة والمعبرة، لعله يصل نهاية الأمر إلى قلب المتلقي؛ ليملأه فرحًا وشوقًا وإقبالًا على الحياة، التي اختار هو نهجها وخط سبيلها.

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:228-230.

وأبو نواس هنا يبدأ هذه اللوحة بالدعاء بالسقيا –على عادة كثير من الشعراء قدامى ومحدثين– والشاعر هنا يحرص على وصف محبوبه –غزاله– بأفضل الصور والأوصاف التي تليق به، فهو بداية يصوره كظبي غنج مدلل متبختر، يتمايل كغصن البان في تثنيه ورقة خصره، ثم يصور سحر عينيه وجماله، ورائحته الطيبة العطرة، ثم نجد شاعرنا يصور محبوبه بصورة يكاد يصل فيها إلى حدّ الغلو الذي هو "امتناع الوصف المُدَّعَى عقلًا وعادةً"[1]، حيث جعل ظبيهُ فيه ملاحة البدر المتصف بالذبول، والتي تتفوق على ملاحة الشمس والقمر وجمالهما، حتّى إن ثغره يكشف عن جماله عندما يضحك، ولكن الجمال الذي صوره الشاعر كأنه حباب العقار (المكون من الخمرة) أو يشبه في نقائه وصفائه الدر واللآلئ اللامعة والثمينة. ثم يكرر دعاءه بالسقيا لأيام الحبيب التي يأمل أن تكون متواصلة لا هجر فيها ولا فراق، لعلّ أيام الصِّبا تبقى متصلة ومتواصلة بيننا، ونضرة خضراء أبد الدهر، ثم يأتي الشاعر بتشبيه تمثيلي يجمع فيه بين صورتين الصورة الأولى هي لعيد النيروز الفارسي، عندما أطلّ علينا من ظلام الليل الداجي، تشبه صورة الأزهار على أغصانها كأنها نجوم مزهرة لامعة، وفي الصورتين أجده يشبه عيد النيروز بالأزهار على الأغصان، وظهور العيد ولمعانه يشبه الأزهار على أغصانها، كأنها نجوم لامعة مضيئة في ظلام ليل داجٍ... ولعل الناحية الجمالية والفنية لهذه الصورة المركبة تظهر مدى مقدرة أبي نواس على التخيل والإبداع، ويبدو أن هذه الصورة هي ما قد يطلق عليه البعض بالصورة المتوسعة التي "هي تلك التي تفتح فيها كل عبارة فسحة عريضة للمخيلة، كما إن كل عبارة تُعدِّل تعديلًا قويًا العبارة الأخرى"[2]، ثم يكمل الشاعر صورة النوروز بأنه يشبه الأعلام الموشاة والمزينة بالألوان المختلفة، زيادة في البهجة والجمال، بعدها يأتي الشاعر بصورة مركبة أخرى: عندما استخدم صورة "العود" تلك الآلة الموسيقية، التي تأتي بأعذب

---

[1] عتيق، عبد العزيز: **علم البديع**. (د.ط)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 2004م، ص:81.

[2] ويليك، رينيه وزميله: **نظرية الأدب**. ص:211.

الألحان الممزوجة بسرّ العاشقين، التي تكشف عنها أنغام العود، تنطق كما تنطق الأقلام بالأسرار، ثم يصف الأنامل التي تضرب أوتار العود بأنها مخضبة ملونة، تمر على أوتار العود في العسر واليسر، ويستمر في صوره إلى أن يشبه دبيب العقار في دنّها عند فوران الخمرة، كأنها دم ودموع تسيل فوق الخد.

وإني لأجد الشاعر في مثل هذه الصور المتحركة والمعبرة، والتي نسجها من خياله الوثاب صورًا متلاحقة متتابعة كأنها شريط سينمائي، أو لوحة مصورة حيث لو أعطيت لفنان لرسم منها أجمل الصور واللوحات، وطبعًا ديوان الشاعر مليء بمثل هذه الصور والأوصاف التي تنمّ عن مقدرة عالية، واقتدار كبير، لدى الشاعر في تأليف أشعاره بأعذب الألحان، وأجمل الرسومات والصور.

المبحث الرابع: تبادل الحواس (تراسل الحواس).

قد يعتمد الشاعر الفلسفة التجريبية المتركزة على الحواس في إيصال المعرفة والصورة، حيث عدَّت هذه الفلسفة "الحواس منافذ للمعرفة، وبها نرى الأشياء ونسمعها ونشمها، ونتذوقها ونلمسها، فتنطبع صور المحسوسات في الذهن وتتولد عنها الأفكار"[1]؛ ولذا فالحواس كذلك وسائط معرفة، تنقل العالم الخارجي إلى النفس، فتتولد في الذهن صور ذهنية، نستطيع بها التعرف على الأشياء[2].

وقد يستخدم الشاعر الرموز وسيلة من وسائل التعبير الرمزي، يصطنعها الشاعر لتصوير حالة نفسه بالقياس إلى فراق من يهوى[3]. ولهذا نجد أن في شعر بعض الشعراء، إلى جانب الصور التي لا تحصى والتي ليس لها محدودية الرموز، عدة صور هي بالتأكيد رموز[4].

---

[1] نصرت، عبد الرحمن: **في النقد الحديث؛ دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية**. ط:1، دار جهينة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، 2007م، ص:19.

[2] **المرجع السابق**. ص:195.

[3] البهبيتي، نجيب محمد: **تاريخ الشعر العربي حتّى آخر القرن الثالث الهجري**. (د.ط)، دار الثقافة والدار البيضاء، 1982م، ص:454.

[4] ويليك، رينيه وزميله: **نظرية الأدب**. ص:197.

ويبدو أن "النص الشعري هو أكثر أنواع الخطاب احتفالًا بالرموز، والإيحاء والتصوير والمجاز والعلامات، مما يجعله محتاجًا إلى تفسير دلالات تلك الرموز والعلامات والصور، واستبانة مقاصدها، والبحث عن العلاقات التي تجمع بينها"[1].

إن الرمز والرمزية وتراسل الحواس هي مجموعة من المفهومات التي تنحدر من المعنى الأصلي لكلمة (رمز)، فتراسل الحواس أو توافق الحواس أو تزامن الحواس أو نظرية العلاقات، كلها دُرست في إطار "التمازج في التفاعل الحسي". ويقسم التراسل أو التوافق إلى: **التراسل الأفقي**، وهو التزامن بين المدارك التي تنتمي إلى حواس مختلفة كالصوت والرائحة.., **والتراسل العمودي** وهو العلاقة بين العالم المادي والعالم الروحي، ويحتل تراسل الحواس مكانة خاصة في المدرسة الرمزية؛ لأن جوهر الشعر الرمزي يرتكز على فكرة أن المعنى الحقيقي للعالم يختفي خلف العادات والمظاهر والأفكار الجامدة، ويظهر أن هناك تراسل سري بين العالم المادي والروحي، وتوافق بين ما هو مرئي وما هو غير مرئي، وتقع على عاتق الشاعر مهمة اكتشاف تراسل الحواس هذا، والبحث عن كل ما هو روحي وسط مظاهر العالم المادي[2]. إن أقرب المعاني للتراسل في اللغة هو (تبادل الحواس)، وفي الاصطلاح: هو خلع وظيفة حاسة على حاسة أخرى، كأن يسمع الشاعر بالعين، ويرى باللسان، ويذوق باللمس. ولعل جمال الصور الفنية المتولدة من التراسل، يكمن في رؤية التماثل في اللاتماثل، أي قبول الصور الغريبة المتخيلة، والتآلف معها كما لو كانت واقعية، مع علمنا المسبق باستحالة وجودها[3]. ويقسم تبادل الحواس (المُدْرَكات) إلى[4]:

---

[1] الرواشدة، سامح: **إشكالية التلقي والتأويل**. ط:1، منشورات أمانة عمان الكبرى، 2001م، ص:13-14.

[2] **تراسل الحواس**، درر العراق، المنتدى الثقافي العام، 3. 2. 2015م، ت:2، 3، 2020م، ص:1.

[3] الصائغ، عبد الإله: **الصورة الفنية معيارًا نقديًّا**. (د.ط)، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 2007م، ص:305.

[4] ينظر: **المرجع السابق**. ص:307-310.

1) **التجسيم:** يسعي هذا المصطلح إلى جعل المعنوي حسيًا، وهناك من يفرق بين التجسيم الذي هو عام لكل المحسوسات، والتجسيد (الجسد) خاص بالإنسان، فالتجسيم يحول المعنوي المجرد إلى حسيات ترى أو تسمع أو تلمس أو تشم أو تذاق.

والتجسيم هو عنصر من عناصر تزيين الصورة، ووسيلة مهمة لتوضيح المعنى وجلائه. فالذي ندركه بالحس هو الذي نستطيع تخيله؛ إذ ليس ثمة تخيل منقطع عن الحواس.

2) **التجسيد:** هو إضفاء صفات محسوسة على المعنويات، أو هو إطلاق الماديات على المعنويات مثل: كذب المساء، ضحك الفجر. ويرى "عبد الإله الصائغ" أن الجسد مختص بجسم الإنسان، فالتجسيد يكسب الصور المعنوية أو الحسية، ملامح الإنسان أو صفاته وأفعاله، وهو أدخل في هذا المعنى من التشخيص: الذي يعني: سواء الإنسان أو غيره، فنراه من بعيد، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه.

3) **التشخيص:** هو إضفاء صفات إنسانية على كل المحسوسات والماديات مثل: الأمواج تمشي، تزوجت الجبال.

4) **التجريد:** هو إضفاء صفات معنوية على المحسوسات، لتزيل الفوارق بين المادي والمحسوس، وتقيم بدلًا منها علاقات ذاتية، مثل: يضيء تفاح المدينة.

ولي في مصطلح تبادل (تراسل) الحواس، أن أوضح بأن هذا المصطلح هو إطلاق صفة حاسة ما على حاسة أخرى، أو أن تتبادل الحاسة الواحدة صفاتها، كأن ترى العين الأبيض أسود، وترى الظلام نورًا، مثل: والصوت أسود، فالصوت مدرك سمعي وصف بالسواد الذي هو مدرك بصري، فتبادلت حاستا السمع والبصر الصفات، وأصبح كل منهما يعبر عن الآخر، وإني أجد كذلك

أن تتبدى الصورة عنصرًا حيويًا من عناصر التكوين النفسي للتجربة الشعرية، ولتبلورها اللغوي في بنية متشابكة، لها نموها الداخلي وتفاعلاتها الفنية[1].

لقد تعددت مناطق انطلاق مثل هذه الرموز، التي قد تشكلها المدركات الحسية على ساحة التلقي والتأويل، والذي قد يضيق بها ذرعًا إذا زادت عن الحد المعيّن والمناسب لها، وهنا قد ينطفئ إشعاع الرمز الأول مثلًا؛ لانتهاء فاعليته؛ بسبب إشعاع الرمز المجاور له أو الذي يليه، وبالتالي يؤثر مثل هذا التتابع على المتلقي في سرعة التصرف والتأويل حيال الرمز التالي وهكذا[2]. والشاعر قد يلجأ في صوره إلى جعل النص مفتوحًا على بعض التأويلات التي هيأها النظام السيميائي للغة الشعرية، أو فلنقل بسبب الفجوة بين النظام المعياري المألوف، والنظام الشعري الذي جاء عليه نص هذه اللوحة[3].

ومن أمثلة التشخيص الذي جاء به الشاعر أبو نواس قوله:

والأربعـــاءِ كَسَـــرْنا حـــدَّ سَـــوْرَتِها والكـــأسُ يضـــحكُ فـــي تيجانهـــا الزبـــدُ[4]

وقولــه: **وُرْقٌ بتفجعـــةٍ تنـــوحُ أَلِيفَهـــا غَلَـــسَ الدُّجُنَّـــةِ فـــي ذُرَى الأَعـــوادِ**[5]

وقولــه: **فـــي مجلـــسٍ يضـــحكُ تفاحُـــهُ بـــينَ الريـــاحينِ إلـــى خُضْـــرَتِهْ**[6]

وقولــه: **كأنمـــا وجهُـــهُ والشـــعرُ مُلبِسُـــهُ بـــدرٌ تـــنفسَ فـــي ذي ظُلْمـــةِ داجِ**[7]

---

1 أبو ديب، كمال: **جدلية الخفاء والتجلي**. ط:2، دار العلم للملايين، بيروت، 1981م، ص:19.

2 الرواشدة، سامح: **إشكالية التلقي والتأويل**. ص:71.

3 **المرجع السابق**. ص:54.

4 أبو نواس: **ديوانه**. ص:154.

5 **المصدر السابق**. ص:162.

6 **المصدر السابق**. ص:105.

7 **المصدر السابق**. ص:118.

وقولـه: **الـوردُ يضـحكُ، والأوتـارُ تَصْـطَخِبُ** **والنـــايُ ينـــدُبُ أحيانًـــا وَيَنْتَحِـــبُ**[1]

وقولـه: **يـا إِخْـوَتِي ذا الصـباحُ فاصْـطَبِحُوا** **فقـــدْ تغنـــتْ أطيـــارُهُ الفُصُـــحُ**[2]

وقولـه: **ولَّـى الصـيامُ وجـاءَ الفِطْـرُ بِـالفَرَحِ** **وَأَبْـــدَتِ الكـــأسُ ألوانًـــا مِـــنَ المُلَـــحِ**[3]

ومن أمثلة التجسيد عند الشاعر قوله:

حتَّـــى إِذا أَلْقَـــى قِنَـــاعَ الحَيـــا **ودارَ كَسْـــرُ النـــومِ فـــي مُقلتِـــهْ**[4]

وقولـــه: **وَعَسْـــكَرُ الحـــبِّ حَـــوْلِي** **بِخَيْلِـــــــــــهِ وَجُنُـــــــــــودِهْ**[5]

وقولـــه: **مرحبًـــا مرحبًـــا بخيـــرِ إِمـــامٍ** **صِـــيغَ مِـــنْ جَـــوْهَرِ الخلافـــةِ بَحْتـــا**[6]

وقولـــه: **لَمَّـــا مَشَـــى فـــي نَعْـــلِ هِمَّـــ** **ـــــــتِهِ إلـــــى العليـــاءِ زلّـــتْ**[7]

وقولـه: **فمـا هَجَـمَ الصَّـباحُ عَلَـيَّ حَتَّـى** **رأيـــــتُ الأرضَ دائِـــــرَةَ الفِجَـــاجِ**[8]

وقولـه: **ظَبْـيٌ كـأنَّ الثُّرَيَّـا فـوقَ جَبْهَتِـهِ** **والمُشـتري فـي بيـوتِ السَّـعْدِ والسُّـرُجا**[9]

وقولـــه: **أنـــتَ غَـــزالٌ غَـــنِجُ** **بِـــــــهِ يتيـــــــهُ الغَـــــــنَجُ**[10]

---

1 أبو نواس: **ديوانه**. ص:43.

2 **المصدر السابق**. ص:125.

3 **المصدر السابق**. ص:128.

4 **المصدر السابق**. ص:105.

5 **المصدر السابق**. ص:184.

6 **المصدر السابق**. ص:109.

7 **المصدر السابق**. ص:109.

8 **المصدر السابق**. ص:115.

9 **المصدر السابق**. ص:118.

10 **المصدر السابق**. ص:119.

وقولـه: **مُحكَّمُ الطـرْفِ يُـدْمي سَـيْفُ نـاظرِهِ إذا نَحـــاهُ لقلـــبٍ قـــالَ لا حَرَجـــا**[1]

وقولـه: **مــنْ قَهْـوةٍ جاءَتْـكَ قبـلَ مِزَاجِهـا عُطُـــلًا فَأَلْبَسَـــهَا المِـــزاجُ وِشَـــاحَا**[2]

ومن أمثلة التجريد قول أبي نواس:

كَأَنَّهـــا عِنْـــدَ مَـــسّ المـــاءِ مِـــنْ جَـــزَعٍ والمـــاءُ يَجْـــزَعُ مِنْهـــا شِـــبْهَ فَـــرَّارِ[3]

وقولــه: **فَكَأَنَّهـــا والكـــأسُ سَـــاطِعَةٌ بِهَـــا صُـــبْحٌ تَقَـــاربَ أَمْـــرُهُ فانْصـــاحَا**[4]

وقولــه: **وجـــدتُّ أَلَـــذَّ عاريـــةِ الليـــالي قِـــرانَ الـــنَّغْمِ بـــالوَتَرِ الفصِـــيحِ**[5]

ومن أمثلة التجسيم قول أبي نواس:

وزارِكَ اللهـــوُ فـــي إِبَّـــانِ دَوْلَتِـــهِ مُجَـــدَّدَ اللَّهْـــوِ بَـــيْنَ العـــودِ وَالقَـــدَحِ[6]

ولعل مصطلحات المدركات: التجسيم والتجسيد والتشخيص والتجريد، وتبادل أو تراسل الحواس، هي مصطلحات جاءت من بيئة التلقي والتأويل في شعر أبي نواس، بل أحسن الشاعر في توظيفها موضوعيًّا وفنيًّا، وهذا يدل على سعة أفق الشاعر ومقدرته الشعرية، والحديث يطول إذا ما حاولنا الاستعراض الفني لموضوعات أبي نواس الشعرية؛ ولذا أكتفي بما وضعته تقيدًا بحجم الرسالة وعدد صفحاتها.

---

1 أبو نواس: **ديوانه**. ص:118.

2 **المصدر السابق**. ص:123.

3 **المصدر السابق**. ص:220.

4 **المصدر السابق**. ص:124.

5 **المصدر السابق**. ص:127.

6 **المصدر السابق**. ص:128.

المبحث الخامس: التناص.

التناص هو "خروج من النص إلى نصوص أخرى غائبة يجب استحضارها؛ ليكتمل النص الحاضر، بمعنى أن النص غير قائم بذاته، وإنما يحتاج إلى ما هو خارجه"[1] ومنهم من يعده بأنه "الوقوف على حقيقة التفاعل الواقع في النصوص في استعادتها أو محاكاتها لنصوص سابقة عليها، بدل المفهوم التقليدي الذي يتعامل مع كل نص مصدره فيه، وغايته واقعة فيه كذلك"[2]، وقد وجدت أن "النص الغائب مصطلح نقدي جديد ظهر في الاتجاهات النقدية الجديدة، ويعني أن العمل الأدبي يدرك في علاقته بالأعمال الأخرى، فالأدب ينمو في عالم مليء بكلمات الآخرين، والنص تشكيل لنصوص سابقة ومعاصرة أعيدت صياغتها بشكل جديد"[3]. وكثيرًا ما نجد التناص يقع في شعر أبي نواس بأشكال وطرق متعددة، وهذا الأمر يدل على مقدرة الشاعر في استيعاب النصوص الأخرى، وتذويبها وتوظيفها في نصه الشعري على اختلاف أغراضه الشعرية، ولهذا أجد أن التناص عند أبي نواس –وبعد تطبيقه العملي واستخدامه عنده– يعني "أن يتضمن نص أدبي ما، نصوصًا أو أفكارًا أخرى سابقة عليه، عن طريق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك، من المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه؛ ليتشكل نص جديد واحد متكامل"[4].

ومن بين أنواع التناص التي تعامل معها أبو نواس في ديوانه:

- **التناص الديني:** وهو التناص الذي يقوم فيه الشاعر المبدع بإدخال نصوص دينية من القرآن الكريم، أو الحديث الشريف، أو الأخبار الدينية ضمن نصوصه الشعرية، التي يوظفها الشاعر

---

[1] الزعبي، أحمد: **التناص نظريًّا وتطبيقيًّا**. ط:2، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2000م، ص:17.

[2] داغل، شربل: **التناص سبيلًا إلى دراسة النص الشعري وغيره**. فصول، مجلة النقد الأدبي، القاهرة، م:16، ع:1، 1997م، ص:127.

[3] عزام، محمد: **النص الغائب وتجلياته في الشعر العربي**. (د.ط)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م، ص:11.

[4] الزعبي، أحمد: **التناص نظريًّا وتطبيقيًّا**. ص:11.

لصالح نصه الشعري، وتدعيمه وتقويته وسبك مفرداته؛ لتدخل إلى قلب المتلقي بكل قوة واقتدار، فمثلًا أجده يقول على سبيل المثال:

صـــــبَّ عليـــــهِ اللهُ مِـــــنْ أعدائِـــــهِ سَـــوْطَ عـــذابٍ صُـــبَّ مـــنْ ســـمائِهِ[1]

وهو متأثر بقول الله تعالى: "فصب عليهم ربُّك سوط عذاب"[2] المضمون المعنوي والبنيوي الذي استقاه أبو نواس في قصيدته من قوله تعالى؛ يدل على شدة وقع الثعلب على فريسته، وكأنه عذاب مصبوب عليه. وكذلك في قول الشاعر:

مثـــلَ تَلَظِّـــي النـــارِ فـــي التِظائِهـــا مِـــنْ ســـودِ أَعجـــازٍ ومـــنْ رَهائِهـــا[3]

تناص الشاعر في هذا البيت مأخوذ من الآية الكريمة "فأنذرتكم نارًا تلظّى"[4] ليأخذ الشاعر ألفاظ النار وشدتها وارتفاع حرارتها متناغمة مع الآية الكريمة.

وفي قول الشاعر:

فَلَمَّـــا أَنْ قضـــتْ وَطـــرًا وهمّـــتْ علـــى عَجَـــلٍ إلـــى أخـــذِ الـــرداءِ[5]

استحضر الشاعر هنا قوله تعالى: "فلما قضى زيد منها وطرا.."[6] وقد تشابهت الألفاظ في بيت الشعر مع الآية الكريمة، ورغم أن استخدام الله عز وجل لألفاظ قرآنه الكريم لا يقارن بما يستخدمه أبو نواس من ألفاظ قرآنية أو معانٍ دينية في أشعاره؛ لدرجة أنها تصل إلى مرحلة لا تليق هذه الألفاظ القرآنية الربانية المقدسة المتعبد بقراءتها، مع ما يستخدمه أبو نواس في شعره الخمري أو الغزلي أو

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:22.

[2] **الفجر**:13.

[3] أبو نواس: **ديوانه**. ص:24.

[4] **الليل**:14.

[5] أبو نواس: **ديوانه**. ص:24.

[6] **الأحزاب**:37.

الماجن الفاحش، إلا أننا نستدل من استخدام أبي نواس هذا، ولكل التناص الديني، ربما ليظهر مقدرته الشعرية، وثقافته العامة خاصة الدينية –وإن أساء استخدامها–.

وفي قول الشاعر:

لـــــــيسَ غيـــــــرَ اللهِ يَبْقَـــــــى مَـــــنْ عَـــــلا فـــــاهُ أَعْلـــــى[1]

مأخوذ من قوله تعالى: "ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام"[2].

وقـول الشـاعر: **كـــل مســـتخفٍ بســـرٍ فَمِـــــــــــــنَ اللهِ بِمَـــــــــــــرْأى**

لا تَـــــرى شـــــيئًا علـــــى اللـــــ ـــــهِ مـــــنَ الأشـــــياءِ يَخْفـــــى[3]

فيه تناص مع قوله تعالى: "إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون"[4]، ومع قوله تعالى: "وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى"[5].

وفي قول الشاعر:

يـــــا بنـــــي حَمَّالـــــةَ الحَطَـــــبِ! حَرْبِـــــي مـــــن ظَبْـــــيِكُم حرَبـــــي![6]

مع قوله تعالى: "وامرأته حمالة الحطب"[7].

بعدها أجد الشاعر يتعامل مع الأمور أو المصطلحات الفقهية، كمفردة راكعات وهي جمع مؤنث لراكعة، والشاعر هنا يقول واصفًا:

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:28.

[2] **الرحمن**:27.

[3] أبو نواس: **ديوانه**. ص:28.

[4] **يس**:76.

[5] **طه**:7.

[6] أبو نواس: **ديوانه**. ص:67.

[7] **المسد**:4.

يُصْـــــغِينَ للكُـــــؤوسِ راكِعـــــاتِ فهْـــي إذا شُـــجّتْ علـــى العِـــلاتِ[1]

فهو يشبه كؤوس الخمرة في صفوف كأنهن نساء صافات يصغين في صلاتهن وهن راكعات.

وأنتقل في نطاق هذا التناص إلى تعامل الشاعر مع الحديث النبوي الشريف، فيقول الشاعر:

إنَّ القلـــــوبَ لأجنـــــادٌ مُجَنَّـــــدَةٌ للهِ فـــــي الأرضِ بـــــالأهواءِ تختلـــــفُ

فمـــا تَعـــارفَ مِنْهـــا فهـــو مُؤْتَلِـــفٌ ومـــا تَنَـــاكَرَ مِنْهـــا فهـــوَ مُخْتَلِـــفُ[2]

تناص فيه الشاعر مع الحديث الشريف، قال ﷺ: "الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف"[3].

- **التناص الشعري (مع أشعار السابقين):** عاش أبو نواس في صحراء العرب لمدة ربما نافت على عام كامل، يتعلم العربية من مظانّها، ويحفظ الأشعار من شعرائها ورواتها، وما كان له أن يكون من الشعراء المعدودين إلا بعد أن حفظ مئات القصائد، وآلاف الأبيات، وعشرات الدواوين... عندها يصبح شاعرًا له قيمته ومكانته، وعندها يستطيع أن يضمّن شعره ما يراه مناسبًا من أشعار السابقين ومعانيهم، ومنهم من لا يعد ذلك سرقة إذا كان ضمن ضوابط معينة.

وسأضع بين يدي المتلقي بعض النصوص الشعرية –أو مقتطفات منها– السابقة والتي ضمنها أبو نواس في أشعاره، موظفًا لها، ومنوهًا لقيمتها ومعناها، ومؤكدًا في ذلك على المعاني التي استخدمها لها في قصائده، ومن ذلك قوله:

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:97.

[2] **المصدر السابق**. ص:360.

[3] البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي: **الجامع المسند الصحيح (صحيح البخاري)**. تح: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط:1، دار طوق النجاة، 01422، 4/ 133-134.

– مسلم، ابن الحجاج أبو الحسن: **المسند الصحيح المختصر (صحيح مسلم)**. تح: محمد فؤاد وعبد الباقي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، (2031/4) (159-2638).

أَلَا يـا اسْـلَمي يـا دارَ مـيّ علـى الـبِلا ولا زالَ مُـــنْهَلًّا بِجَرْعَائِـــكِ القَطْـــرُ[1]

وهذا البيت لذي الرمة بحسب شارح الديوان، حيث عدَّ أبو نواس النعمة التي هو فيها من مجونه وتهتكه، جعلت الغلام يرضى بما هو فيه، ويتغنى ببيت ذي الرمة، وداعيًا لأبي نواس وداره... بالطيب والسعادة. وأما قول الشاعر أبي نواس:

فتًـــى لا يُحِـــبُّ الكَسْـــبَ إلا أَحَلَّـــهُ ولا الكَنْـزَ إلّا مـن ثَنـاءٍ وَمِـنْ وَشُـكْرِ[2]

وهذا البيت يتناص فيه الشاعر مع الشاعرة البكاءة في الجاهلية، الصابرة المتحسبة في الإسلام، ألا وهي الخنساء بنت عمرو بن شريد السلمية عندما رثت أخاها صخرًا. وقول أبي نواس:

إذا مِـتُّ فـادْفِنِّي إلـى جَنْـبِ كَرْمَـةٍ تـروِّي عِظـامِي بعـدَ مَـوْتي عُروقُهـا[3]

وهو مأخوذ من الشاعر المخضرم الصحابي أبي محجن الثقفي.

وفي قول أبي نواس:

هَيْفـاءُ تُسْـمِعُنَا، والعـودُ يطرِبُنَـا: (ودِّعْ هريـرةَ إن الرَّكْـبَ مُرْتَحِـلُ)[4]

وذلك عن قول الأعشى في مطلع معلقته:

ودّعْ هريـرةَ إنَّ الرّكْـبَ مرتَحِـلُ وهـلْ تُطيـقُ وَداعًـا أَيُّهـا الرجـلُ[5]

وكذلك قول أبي نواس للشطر نفسه الخاص بالأعشى:

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:211.

[2] **المصدر السابق**. ص:280.

[3] **المصدر السابق**. ص:371.

[4] **المصدر السابق**. ص:417.

[5] التبريزي، يحيى: **شرح المعلقات العشر المذهبات**. ص:301.

فقـــالَ هـــاتِ وأَسْـــمِعْنا علـــى طَـــرَبٍ: "وَدِّعْ هريـــرةَ إن الركـــب مُرْتَحِـــلُ"[1]

وقول أبي نواس:

ثـــمَّ اسْتَهَشّـــتْ إلـــى صَـــوْتٍ تُمَلِّحُـــهُ "إنـــا مُحَيّـــوكَ فاسْـــلَمْ أيهـــا الطَلَـــلُ"

وقوله في القصيدة ذاتها:

"إنَّ العيـــونَ التـــي فـــي طَرْفِهـــا مَـــرَضٌ" فَرَجَّعَتْـــــهُ بِلَحْـــــنٍ وَقْعُـــــهُ شَـــــكِلُ

حيث الشطر الأول مأخوذ من قول جرير:

إنَّ العيـــونَ التـــي فـــي طَرْفِهـــا حَـــوَرٌ قَتَلْنَنـــا ثـــمَّ لـــمْ يُحْيـــينَ قَتْلانـــا[2]

وقال أبو نواس:

"خليلـــيَّ عُوجَـــا مـــن صُـــدورِ الرَّواحـــلِ بِجُمْهُـــورِ حُـــزْوَى فابْكِيـــا فـــي المنـــازلِ"[3]

مأخوذ من شعر ذي الرمة.

وقال أبو نواس:

بصـــوتِ أخـــي الحجـــازِ؛ فهـــاجَ شـــوقي: "لمَـــــنْ طلـــــلٌ برامـــــةَ لا يَـــــرِيمُ"[4]

وقد أخذه الشاعر من بيت لزهير بن أبي سُلمى عندما قال:

لِمَـــــنْ طَلَـــــلٌ برامـــــةَ لا يَـــــريمُ عَفـــــا وأحالَـــــهُ عهـــــدٌ قـــــديمُ

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:418.

[2] **المصدر السابق**. ص:419.

[3] **المصدر السابق**. ص:426.

[4] **المصدر السابق**. ص:470.

وقال أبو نواس لما قاله جرول (الحطيئة) في الأمثال من قبله:

تـــــأَنَّ مواعيـــــدَ الكـــــرامِ؛ فربَّمـــــا حَمَلْتَ من الإلحـاحِ سَمحًا علـى البخـلِ[1]

ونعرج هنا على قول أبي نواس متذكرين في ذلك أن هذا البيت ذاته هو للحطيئة:

مـــنْ يَفْعَـــلِ الخيـــرَ لا يَعْـــدَمْ جوازيَـــهُ لا يـــذهبُ العُـــرْفُ بـــينَ اللهِ والنـــاسِ[2]

ولَعَلِّي فيما ذكرته هنا من أمثلة على التناص في شعر أبي نواس، يدل دلالة واضحة على عمق التجربة الشعرية عند أبي نواس، وعلى سعة مخزونه من محفوظه الشعري، الذي تراكم عنده منذ أيام الطفولة الشعرية له، وقد استطاع أبو نواس أن يوظف هذا المحفوظ لديه في أشعاره، كل في مكانه المناسب من قصيدته الشعرية، والتي استطاعت أن تنير ما غمض من مفردات أو معان شعرية ساقها أبو نواس في قصائده على اختلافِ أغراضه الشعرية، محاولًا التخفيف في مواقفه من بعض القضايا، كالأطلال والخمرة والمجون والزندقة والغزل المتهتك اللاأخلاقي إلى غير ذلك، فهو أحيانًا يأتي بمثل هذه التناصات ليشعل نارًا حول قضية معينة كالتي أشرت، أو يخفف من تأثيرها في مواقف أخرى متخذًا من التناص سبيلًا لذلك في الحالتين.

فمثلًا عندما يأتي أبو نواس بقول أبي محجن: (إذا مت...) كأنه يريد أن يوهم المتلقي بأنه ليس هو وحده الذي يتحدث عن الخمرة بمثل هذه الكلمات، فقد سبقه أبو محجن الثقفي، وفي وقت أقرب منه الآن إلى الخلفاء الراشدين المبشرين بالجنة، وكذلك الأمر في عيون الحور عند (جرير) القاتلات، وكذلك عن فعل الخير عند الحطيئة... وفي كل حالة من التناص الشعري وقبله الديني وبعده الأنواع الأخرى، أجد الشاعر يمهد لهذه الحالات ويهيئ الجو النفسي والعقلي للمتلقي، حتّى يتقبل ما يتناص الشاعر به بروح إيجابية ووثابة ومقبولة.

---

[1] أبو نواس: **ديوانه**. ص:455.

[2] **المصدر السابق**. ص:306.

وفي الحقيقة أن الناقد لشعر أبي نواس، والباحث فيه عن مواقف نقدية وفنية وأسلوبية، سيجد فيه الشيء الكثير الذي يستطيع أن يؤلف كتابًا حول مثل هذه السمات الفنية والنقدية والأسلوبية؛ لأن شعر أبي نواس كما ذكرت –آنفًا– من الناحية الفنية والموضوعية فيه الشيء الكثير الذي يستطيع الناقد والباحث أن يقوله، وإن كنت أرى أنه من الناحية الأخلاقية فعليه الكثير الكثير من المآخذ، والتي لا يجدر بالمسلم أن يقولها أو يتلفظ بها.

وقبل أن أختم هذا الموضوع بهذا الإيجاز أقول: إن هناك الكثير من أنواع التناص أذكرها ولن أستفيض بها وسأتركها لقابل الأيام؛ وذلك لكثرتها، ونماء البيئة التي وجدت أو ولدت فيها، وذلك مثل: التناص التاريخي والجغرافي، والتناص الاجتماعي، والتناص التراثي، والتناص مع العادات والتقاليد وغير ذلك.

من خلال ما تقدم أرى أن التناص يمنح "الخطاب بعدًا ملمحيًا يتساوق مع التجارب الشعرية للشعراء، ونوازعهم النفسية للتعبير، عن خلاص الإنسان وطموحه ومكابدته في استشراف مستقبل أفضل"[1].

كما أرى أن إبداع الشاعر في استخدام أنواعٍ مختلفة من التناص، وتوظيفها التوظيف المناسب، يدل على أن لديه ثقافة واسعة ومتنوعة، ومقدرة شعرية عالية، وهذا ما لمسته عند شاعرنا الخمري الماجن أبي نواس.

---

[1] موسى، إبراهيم نصر: **آفاق الرؤية الشعرية؛ دراسات في أنواع التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر**. ط:1، وزارة الثقافة الفلسطينية، الهيئة العامة للكتاب، 2005م، ص:71.

المبحث السادس: الطباق.

الطباق لغة: هو التطابق بين شيئين بمعنى تساويا، وطابقت بين الشيئين بمعنى جعلتهما على حذو واحد وألزمتهما[1]، واصطلاحًا: هو الجمع بين معنيين متضادين[2]. وقال الباقلاني: "وأكثرهم على أن معناها أن بذكر الشيء وضده كالليل والنهار والسواد والبياض"[3]. وعدّ بعضهم أن اجتماع الضدّين من الحلي البديعية الذي سماه البلاغيون الطباق؛ لأن المتكلم طابق بين الضدين[4].

وإن خريطة المطابقة أو التضاد عند أبي نواس قد توزعت على مناطق شاسعة في ديوانه الشعري الضخم، بحيث لا تكاد تخلو قصيدة أو مقطوعة أو نتفة شعرية منه، وهذا يظهر مدى تمكن العرب عامة، وأبي نواس خاصة، من الجملة اللغوية والبلاغية التي تنبئ بالصور الفكرية العظيمة، والدفقة الشعورية الفياضة، وهذا الأسلوب يوحي بجمالية المفارقات الدلالية، وكأن البنية التركيبية لا تقوى إلا باجتماع الشيء وضده، وعلى المتلقي أن يستنبط إيحاءاتها الجمالية وغيرها[5].

وقد اشتملت صور الطباق عند أبي نواس في شعره على: الكلمة وضدها، الكلمة ونفيها، وسرى الطباق على الأفعال والأسماء وغير ذلك، سأعرض لنماذج من الطباق النواسي التي تعم مناطق مختلفة من الديوان:

---

[1] مصطفى، إبراهيم، وزملاؤه: **المعجم الوسيط**. مادة: **طبق**.

[2] غوادرة، فيصل حسين: **الوافي في علم البلاغة**. ط:1، دار السواقي العلمية للنشر، عمّان، الأردن، 2015م، ص:201.

[3] الباقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب: **إعجاز القرآن**. تح: أحمد صقر. ط:5، دار المعارف، القاهرة، 1973م، ص:80.

[4] لاشين، عبد الفتاح: **البديع في ضوء أساليب القرآن**. ط:3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1986م، ص:23.

[5] جمعة، حسين: **جمالية الخبر والإنشاء؛ دراسة بلاغية جمالية نقدية**. (د.ط)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005م، ص:48. www.awa-dam:ors

الأفعال	
الفعل ونفيه	**صل:لا تصل ص:200/ بكيت:ما أبكي ص: 203/ شمطت:ما شمطت ص:307/ ابك:لا تبك ص:308/ تجرب:غير تجريب ص:83/ فاسقني:لا تسقني ص:202**
الفعل وضده	**وصلوا:مبتوت ص:93/ ألزه:أزجره ص:98/ أبرقت:رعدت ص:103/ خذها:هات ص:97+215/ تطفى:تطير ص:101/ طال:قصر ص:202/ خفّتْ:الوَقْر ص:204/ خرجنا:أقمنا ص:204/ أظهرت:إضمار ص:212/ تُكِنُّ:أَجْلَتْ ص:216/ قصّر:طولها ص:105/ بُخْ:سِتْر ص:202/ تهتك+تبدي:حبسي ص:307/ دع:عاطني ص:417/ استفتحت:مغاليق ص:508/ حرمها:حللْتها ص:602/ يموت:حيص:608/ أعطيت:كسبت ص:76/ تأتي:تتجنب ص:76/ تحمدنّ:تذمنّ ص:83**
الأسماء	
الاسم ونفيه	**مقلوبة:لم تقلب ص:86/ مختضبًا:ما خضب ص:89/ دارسة:غير دارسة ص:96/ سُقْيَا:لا سُقْيا ص:97/ لنا خمر:ليس بخمر ص:99/ به سِحْرًا:ليس به سِحرًا ص:203/ عَمْرٌو:لا عَمْرًا ص:204/ صبح:لا صبح ص:207**
الاسم وضده	**جيئة:ذهاب ص:88/ فقرًا:غنى ص:89/ الليل:الصباح ص:98/ اللين:الشديد ص:98/ طورًا:تارات ص:98/ خوفًا:آمنات ص:100/ الظاهر:الباطن ص:101/ سكون:حركات ص:101+106/ سرورًا:حسرات ص:102/مصائف:مشاتي ص:202/ صاف:تكدير ص:202/ موت:نشور ص:202/ سرًا:الجهر ص:202/ الغَبْن:الغُنم ص:202/ صاحيًا:السكر ص:202/ صوم:الفطر ص:203/ خيرًا:شرًا ص:204/ ظاهرْ:يضمر المكنون ص:204/ بريئًا:صِفرا ص:204/الليل:النهار ص:214+205/ صغارًا:كبارًا ص:214+205/ عيان:ضمار ص:206/ ليل:نهار ص:206/ أبوها:أمها ص:209/ صاحيا:أسكرا ص:210/ ليلة:فجر ص:210/ أول:آخر ص:211/ ظهر:باطن ص:211/ محاسن:نوائب ص:211/ جهارًا:سرارًا ص:214/ جديد:دارس ص:305/ سلم:حرب ص:306/ نعيم:بؤس ص:306/ يسْر:إفلاس ص:308/ واقفًا:جلس ص:309/ يُسْري:إفلاسي ص:310/ اليسر:العسر ص:310/ القرب:البعد ص:311/ الإطماع:الياس ص:311/ الحرام:الحلال ص:416/ الطويل:قصيرًا ص:416/ دنيائي:آخرتي ص:83/ المولى:العرب ص:78/ حل:مرتحل ص:78/ الترائب:الصلب ص:77/ شرق:مغرب ص:77/ أول:آخر ص:75/ السخل:الذيب ص:72/ جيئه:ذهاب ص:71/ أم:أب ص:68/ الإعجام:الإعراب ص:65/ المعافى:المبتلى ص:434/الإساءة:الحسن ص:602/ خلفه:أمامه ص:602/ مؤخر:قدام ص:509/ الليل:الصبح ص:508/ آكلات:شاربات ص:508/ الصحة:السقام ص:508/ نيام:قيام ص:508/ الصمت:الكلام ص:508**

وعند إمعان النظر في خريطة الطباق العشوائية في ديوان الشاعر أبي نواس، والتي مثلت نحو (10%) من مجموع صفحات الديوان والتي نافت على (600) صفحة، فإني أجد الآتي:

- **حدث الطباق في الأفعال المنفية = (6) حالات.**
- **حدث الطباق في الأفعال وضدها = (21) حالة.**

المجموع = (27) حالة في الأفعال.

- **حدث الطباق في الأسماء المنفية = (8) حالات.**
- **حدث الطباق في الأسماء وضدها = (62) حالة.**

المجموع = (70) حالة في الأسماء.

- **مجموع حالات الطباق في النوعين = (97) حالة.**

ومن ذلك يتبين لي:

أن استخدام الشاعر للنفي في الأفعال والأسماء شكل (14) حالة من (97) حالة المجموع للنوعين، بينما استخدام الشاعر للكلمة وضدها (فعلًا أو اسمًا) وصل إلى (83) حالة من المجموع الكلي، وبالتالي فإني أرى أن الشاعر كان يكثر من استخدام الكلمات وضدها أكثر من استخدامه للكلمة ونفيها، وهذا يظهر مقدرة الشاعر على التصرف بالألفاظ، وأنه أكبر من أن يضع الكلمة منفية، ولكن استعماله لها على شكل الضد، تحوجه أن يبحث في اللغة بشكل أكثر وبعمق ودلالة أعمق.

ولهذا فإنني أجد أبا نواس يجمع في ذاكرته طاقة لغوية هائلة، ومقدرة عجيبة على التصرف بالمفردات، والإتيان بالكلمات المرادفة للفظة الواحدة، فالصحراء والخمرة والناقة وألفاظ الغزل بأنواعه وغير ذلك كثير، يثبت ما ذهبت إليه، فله في كل واحدة منها نحو عشرات الألفاظ التي تدل على معنى واحد، وربما تختلف الكلمة عن الأخرى في معنى بسيط وبحسب السياق.

إضافة إلى ذلك فإن الشاعر باعتماده على الطباق بشكل التضاد؛ يعطيه مساحة أكبر من استخدام المفردات ودلالاتها ومعانيها المتنوعة ويسهل عليه كذلك استخدام الصور والتشبيهات بطريقة أعمق وأكثر شمولًا وتنوعًا.

ويبدو أن الشاعر إذا لم يستخدم الطباق فإنه في شعره –أحيانًا– يميل إلى الرتابة والفتور، والحال يختلف عندما يلجأ الشاعر إلى فاعلية الطباق وأثره، فإن الأمر يخرج من الرتابة والفتور إلى دينامية الطباق وتأثيره وفعاليته، فيزداد أثر المفاجأة عندها، وينتقل المتلقي إلى مرحلة من كسر التوقع

التي تعطي المتلقي راحة نفسية، ولذة ومتعة لا تنافس ولا تقارن، وعليه "إذا كان المؤثر الجديد يأتي دائمًا بإشباع للتوقع، فإن المفاجأة واختلاف التوقع لا يقلان أهمية عن إشباعه، إذ إن الإشباع المستمر يحدث فتورًا وإعراضًا، وهذا ما تحدثه المقابلة حيث تجمع بين الشيء ونقيضه، فتنتج تلك الموسيقا الداخلية التي تعقب مفاجأة كسر التوقع"[1] ولذا فإن التضاد "يكتسب أهمية كبيرة عند حضوره في سياق شعري؛ إذ إنه يشكل مخالفة، والمخالفة تغدو فاعلية أساسية يتلقاها القارئ عبر كسر السياق والخروج عليه"[2]. وربما كان للطباق دور في إبراز الحالة النفسية لأبي نواس وتصويرها، وإظهار المعاناة النفسية التي يعاني منها؛ بفعل ترك والدته له صغيرًا وفقده لحنانها، وإرشاداتها له في تربيته، وما إقباله على الفواحش والمجون والخمرة والغزل الشاذ، والزندقة، والبعد عن التدين إلا ردة فعل لمعاناته؛ ولذا فالطباق بأنواعه له دور في إظهار هذه المعاناة، ثم العمل على التخفيف منها[3].

المبحث السابع: الجناس.

الجناس هو الكلمة التي تجانس الأخرى في تأليف الأحرف، أو في الاشتقاق، وأحيانًا في المعنى[4]. لدرجة أن التكرارية تبقى ملحوظة في التجنيس، حتّى مع اختلاف بعض عناصر المشابهة بين المفردات، والذي يسمى بالتجنيس الناقص[5]. ولكن إذا تساوت أنواع الحروف وأعدادها وترتبها وهيئاتها بين كلمتين، ينتج عنهما صورة لفظية لها إيقاعها الخاص وهي الجناس[6]، وذلك نظرًا لما

---

[1] موافي، عبد العزيز: **نحو نظرية إيقاعية في موسيقا الشعر**. مجلة جذور، ج:10، م:6، السنة الخامسة، 2002م، ص:250-251.

[2] ربابعة، موسى: **الأسلوبية: والاتصال والتأثير**. من كتاب: جماليات التلقي والتأويل، إشراف: عز الدين إسماعيل. ط:1، المؤتمر الدولي الأول للنقد الأدبي، القاهرة، 1999م، ص:63.

[3] انظر: غوادرة، فيصل حسين: **أشعار عباسية وتلقيات نقدية**. ط:1، دار السواقي العلمية، عمّان، الأردن، 2018م، ص:62.

[4] الباقلاني، القاضي أبو بكر: **إعجاز القرآن**. ص:83.

[5] عبد المطلب، محمد: **بناء الأسلوب في شعر الحداثة؛ التكوين البديعي**. (د.ط)، (د.ن)، 1988م، ص:113.

[6] عبد المطلب، محمد: **البلاغة والأسلوبية**. (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م، ص:218.

يمثله التجنيس من ثنائية صوتية خالصة تتوافق فيها الصورة اللفظية بين الكلمتين[1]. وعند البحث في حنايا الديوان، وجدت أبا نواس قد انطلقت سجيته الشعرية في مدّ خطوط جوية شعرية يحلق فيها حيثما أراد وكيفما يشاء في البناء الشعري، الذي أقام أعمدته من جوهر قصائده الشعرية، وطار بها محلقًا ليحط بها على مدارج كلماته، ومختاراته الشعرية، بطريقة فعّالة ومثيرة للمتلقي؛ لتجذبه نحو المرامي الشعرية التي قصد الشاعر أن يقولها أو يعنيها في ألفاظه ومعانيه.

وعند التعامل مع فئة قليلة من شعره فيما يخص الجناس، وجدته يندرج كما يلي:

[1] عبد المطلب، محمد: **بناء الأسلوب في شعر الحداثة**. ص:60.

الجناس	
الجناس التام	حَرْبي_حَرَبي ص:67/ طلبي_الطّلَبِ ص:67/ أَلْهى به_إلهابه ص:85/ هِجْنا_هِجنا ص:84/ أُبْتُ_أُبِتِ ص:89/ ذات_اللذاذات ص:97/ متْ_متُّ ص:104/ عشْ_عشتُ ص:104/ صورة_صورة ص:105/ الحُسْن_حُسْنه ص:105/ صُبْح_صُبْح ص:207/ وصلْتُ_وصلْتُه ص:211/ خِدْر_الخِدْر ص:25/ ريحانة_رَيْحانه ص:308/ راحها_راح ص:427
الجناس الناقص	أَعْتبتُ_أعتبا ص:33/ أعربتُ_أعربا ص:33/ هاهابه_إهابهِ ص:84/ عَلْهَب_ثَعْلَب ص:86/ ثُقْلب_تَوْلَب ص:86/ الشدّ_شدة ص:87/ أنسابه_أصلابهِ ص:90/ نابه_بابه ص:90/ أسلابه_سحابه ص:90/ التهابه_نهابهِ ص:91/ إهابة_المُهيب ص:91/ صالُوا_وَصَلوا ص:93/ هيت_هات_ياهيتي ص:95/ الغَبْن_الغُنْم ص:202/ النَّهْي_نَهَى ص:203/ الصبّ_صَبْر ص:211/ بطن_الباطن ص:211/ ليلي_ليل ص:212/ النار_العار ص:212/ لحنًا_لحظًا ص:216/ دارِ_دارِس ص:305/ شَمّاس_مِقْباس ص:305/ بأسُها_باسِ ص:306/ محبوس_الكؤوس ص:306/ اليأس_ياسه ص:309/ اليُسْر_العُسْر ص:310/ راح_رحت ص:415/ المُقِيل_المُقَال ص:415/ أزال_لم أزلْه ص:415/ أُنادمُهم_أديمهم ص:417/ هذا لذاك_هذا وذاك لذا ص:417/ نبات_نبت ص:436/ نيام_قيام ص:508/ خدّ_خطّ ص:509/ الحَبَاب_حبيب ص:502/ فأدارتْ_فدارا ص:205/ الليل_ليل ص:206/ سِرار_السّرَار ص:206/ الطّيش_العَيش ص:210/ راحًا_الرّيحان ص:210/ الحيزوم_الخيشوم ص:510/ التَّنْويم_التشويم ص:510/ الميم_الجيم ص:510/ كُمِّه_ضَمِّه ص:511/ العُلا_علاها_فَعلا ص:600+98/ المُقِيم_المُقَام ص:602/ السهو_لساهٍ ص:602
الجناس الاشتقاقي	أَلْهبته_اللّهَبِ ص:67/ يجذبن_جَذْبا ص:67/ مَكْسَبة_الكسوب ص:84/ استغفري_غفار ص:84/ يشبُّ_شبوب ص:86/ صكّه_صكا ص:87/ الجَلَب_الجلّاب ص:88/ مختضبًا_خضب ص:89/ مرغوب_راغب ص:89/ يهتز_هزّك ص:89/ مُلْتَهِبا_التهابهِ ص:91/ حسابه_المحسوب ص:92/ غانمة_كغنم ص:94/ تلهيك_ملهية ص:95/ فاعف_عفوت ص:95/ نقا_القناة ص:104/ تجني_جنتْ ص:93/ تعتصرها_الأعاصير ص:201/ صار_الصِّير ص:201/ صُدْغَه_فالصّدغ ص:202/ الرّاح_يريحِها ص:202/ مجانة_مجون ص:202/ بكيت_أبكي ص:203/ أجدْتَ_جَوّد ص:204/ مغنٍ_تَغنّى ص:205/ خَمْر_خُمَار ص:206/ وقِّرْ_الوقار ص:206/ مخمور_الخُمار ص:207/ مصَوَّرة_بِصورة ص:207/ مخمور_خمرة ص:207/ فسّد_مسْوَدّ ص:207/ باعَ_بَيْعا ص:214/ وِسادًا_توسّد_وِسَاده ص:216/ يبدي_تبدو ص:216/ بادرتُ_مبادرةْ ص:217/ حَبِستُ_لَحَابِس ص:305/ احسُ_حاسيها_الحاسي ص:306+308/ قس_بقياس ص:307/ طَيّبَةٌ_طِيب ص:308/ نزعتُ_النّزْع ص:308/ مديح_مدحهم_فامدح ص:308/ طيبا_طيبه_فطاب ص:309/ اقبس_بمقباس ص:310/ السوس_السوسا_بالسوس ص:311/ حيا_تحيّة ص:415/ اعدِلْ_عَدَلُوا ص:417/ مغنية_الغناء ص:417/ بَرَاها_بَرْي ص:417/ أَلْجَم_بلجام ص:508/ اعتلى_عالية ص:510/ هاجيته_أهاجيه ص:600/ غدا_أغداها ص:600/ غَضْبَة_أغضبُها ص:601/ دنيا_أدناها ص:601/ مُخَرَّقَة_الخروق ص:601/ أَمْقُتُ_مَقْتُ ص:601/ دنيا_نادته ص:601/ نهتني_النُّهى_ناهٍ ص:602/ ألهو_اللّهو_للّاهي ص:602/ يُؤيُؤ_اليائي_يؤيؤٌ ص:602/ المُبْتَلَى_المُبتلِي_المبتلَى ص:434

سبق أن تعرفنا في خريطة الطباق السابقة على محسّن بديعي معنوي، والآن سنتعرف على محسّن بديعي لفظي وهو الجناس، ولعل هذه العينة الجناسية التي تشكلت منها خريطة الجناس،

متماثلة مع الصفحات التي أخذت منها خريطة الطباق السابقة، وقد وجدت من خلال استعراضي لخريطة الجناس الآتي:

عدد حالات الجناس التام (تقريبًا) = (16) حالة.

عدد حالات الجناس الاشتقاقي (تقريبًا) = (62) حالة.

عدد حالات الجناس الناقص (تقريبًا) = (47) حالة.

المجموع = (125) حالة موزعة على (77) صفحة من مجموع صفحات الديوان البالغة (610) صفحة. أي ما يقارب نحو (13%) من صفحات الديوان تقريبًا.

وبشكل عام فإن انتشار حالات الجناس على هذه العينة العشوائية من صفحات الكتاب؛ ينبئ بمدى التغطية التي يغطيها الجناس للديوان، وهذا يدل على مدى تمكن الشاعر من اللغة العربية، وكيفية توظيف مفرداتها والتلاعب فيها فيما يخدم السياق، ويؤثر في المتلقي تأثيرًا له فاعليته وديناميته وديمومته، خاصة إذا ما اجتمع مع الطباق على صعيد واحد، فالفاعلية والإيقاعية الموسيقية تكون أعظم أثرًا وأوسع مدى، في تحريك الخاصية الشعرية للمفردة اللغوية عند المتلقي، والتي تعمل –أو تساعد– في نهاية الأمر على الخروج عن الرتابة الشعرية والفتور الكلمي، إلى كسر التوقع والإطاحة به في سياق ونسق الجملة الشعرية ودفقتها الشعورية؛ لتقديم الأفضل والأجمل إلى مطبخ عقلية المتلقي، والذي عندها يقبل بنهم قوي لقراءة الأشعار الصادرة وتلقيها من الشاعر المبدع؛ ولهذا فإن الجناس يوصف بأنه ظاهرة إيقاعية بلاغية، وقد عرفه البلاغيون بأنه "تشابه لفظين في النطق، أو تقاربهما في اللفظ واختلافهما في المعنى، وتجيء للتوكيد أو الوصول إلى معنى مزدوج، ويستخدم لتحسين الأسلوب"[1]. لأن الأديب المبدع هو الذي يبرع باستخدام مثل هذه المرتكزات الفنية التي تلبس

[1] التونجي، محمد: **المعجم المفصل في الأدب**. (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ص:328.

أدبه ثوب الجمال البارع، والذي لا تسقط عند زينته –الفنية هذه– مهما مرّ الزمن عليها، أو طالت الأيام.

ولعل أبا نواس قد أفاد من تقنية ثنائيات الجناس التي "تؤدي إلى وجود وظيفة إيقاعية جمالية، تنتج عن التشابه الكبير في البنية الصوتية المتمثلة في عدد الحروف ونوعها، وترتيبها وحركاتها، وعن التعادل الوزني من الناحية الصرفية، مما يجعل الكلمات أكثر بروزًا وإشعاعًا من غيرها في النص"[1].

وأكتفي هنا بالحديث العام عن الجناس؛ لأن الوقوف على كل نوع وحالة منها سيحتاج إلى زمن ووقت قد يطول؛ ولذا أترك للمتلقي مجاله في التقاط ملامح التأويل والانحراف؛ ليُؤَوِّلَها وفق ما يستطيع أو يريد، أو يتطلبه النص الأدبي، وبالنظر إلى التركيز القوي للجناس، الذي يتشابه مع الطباق من حيث الكم، فإنهما يكادان يتقاربان من حيث التوزيع الجغرافي على خريطة الديوان الشعري، الأمر الذي يحدث انسجامًا واندماجًا بين المستوى السطحي النطقي اللساني (الجناس) مع المستوى الأعمق وهو المستوى النطقي الفكري وهو ما يتصل بالفصاحة المعنوية (الطباق)[2] ولعل الشاعر أراد من تكثيف هذين النوعين (الجناس والطباق) أن يؤكد على أن بنية التكرار من أهم البنى التي يتعامل معها، ليتم توظيفها بكثافة لإنتاج الدلالة[3].

---

[1] أبو حمادة، عاطف: **البنية الإيقاعية في جدارية محمود درويش**. مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع:25، م:2، 2011م، ص:71.

[2] عبد المطلب، محمد: **بناء الأسلوب في شعر الحداثة**. ص:196.

[3] **المرجع السابق**. ص:390.

الخاتمة

لله الحمد والفضل أنْ منَّ على الباحثة بإتمام هذه الأطروحة الموسومة بعنوان: **"أَثَرُ الخَمْرَةِ فِي الاتِّجاهَاتِ الشِّعْرِيَّةِ عِنْدَ أَبِي نُواس: تَقْلِيدًا وَتَجْدِيدًا وَاسْتِحْدَاثًا"**، والتي توزعت على أربعة فصول، وقد تناول الفصل الأول مفهوم الخمرة لغةً واصطلاحًا، وحياة أبي نواس الشعرية واسمه ومولده ولقبه ووفاته، وحياة أبي نواس الشعرية وثقافته وديوانه وملامح من حياته الشعرية. أما الفصل الثاني فتضمن الاتجاهات الشعرية التقليدية عند أبي نواس والتجديد فيها، وأثر الخمرة عليها أيضًا، والتقليد عند أبي نواس، والتجديد فيها، وأثر الخمرة في التجديد. أما الفصل الثالث فتضمن الاتجاهات الشعرية الجديدة (المستحدثة) وأثر الخمرة فيها. وجاء الفصل الرابع ليتحدث عن السمات الفنية لشعر الخمرة عند أبي نواس. وقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- لقد أثرت الخمرة على أغراض شعرية محددة مثل: شعر الأطلال، ووصف الخمرة والغزل الفاضح (مع الغلمان والغلاميات والساقي والساقية) والغزل بالخمرة وفي بعض النساء، والقصف والمجون والشعوبية.

وقد كان التأثير الذي وقع من الخمرة على هذه الفنون الشعرية كبيرًا بحيث غطى مساحات كبيرة من كل غرض أو فن.

- لقد ندر ذكر الخمرة في شعر أبي نواس المتعلق بأغراض: الطرد، والزهد، والوصف –ما عدا وصف الخمرة– والمدح والغزل العذري (العفيف) والهجاء والرثاء، والسخرية والفكاهة والندم والحسرة والعتاب والاعتذار.
- وبشكل عام وجدت أن الموضوعات أو الأغراض التي تأثرت بالخمرة على نحو مرتفع، إضافة إلى التي ندر ذكر الخمرة فيها، يكاد يتناصف مع المجموع الكلي لأغراض الديوان الكلي وموضوعاته.

- لقد أحصيت في رسالتي هذه تأثير الخمرة على كل لون من الأغراض الشعرية؛ لهدف إحصائي بحثي؛ لأتعرف على مدى تأثير الخمرة على أغراض أبي نواس الشعرية على اختلافها، حتّى أعطيه حقه دون ظلم له، لما يشاع عنه بأنه شاعر الخمرة الأول في العصر العباسي؛ واستبان لي صحة هذا القول بأنه شاعر الخمرة الأول.
- المعجم اللغوي بشكله العام يميل إلى الجزالة والقوة والغرابة، حتّى إن كثيرًا منها يحتاج إلى معجم للتعرف على المقصود من الألفاظ الغريبة، خاصة قصائده الوصفية والطردية، وغير العربية، كقصيدته "قد أغتدي قبل الصباح الأبلج" ص 120 من الديوان، حيث امتلأت بكلمات فارسية غير عربية، تحتاج إلى مترجم عارف بالفارسية، ولكنها لا تشكل ظاهرة تستحق الدراسة والوقوف عليها.
- كذلك في شأن للمعجم اللغوي: فإني أجد أبا نواس قد ملأ ديوانه بسيل من الكلمات المترادفة الخاصة بالمعنى الواحد، كما فعل في الكلمات الدالة على: الخمرة وأدواتها، وأماكن صناعتها وتجارتها، وسقاتها ووصفها بأرق الأوصاف، خاصة عند حديثه عنها في سياق الخطبة والمهر وغير ذلك، كما استخدم كلمات كثيرة تدل على الإبل والصحراء والغزل –خاصة الفاحش– وأنواع الطيور، ومجالس الخمرة والطرد... وهذا يظهر مدى وجود الترادف في شعر أبي نواس، بحيث يشكل ظاهرة لغوية في شعره تحتاج إلى الدراسة والوقوف عليها بعناية، كما يظهر مدى تمكن أبي نواس من اللغة حفظًا ومعرفة وتوظيفًا واستخدامًا.
- لقد أجاد أبو نواس في استعماله للصور والتشبيهات وتراسل الحواس والجناس والطباق في جلّ قصائده الخمرية.
- استخدم أبو نواس الحوار القصصي في شعره الخمري، الذي أداره بطريقة فنية محاكيًا بها السرد القصصي.

- مع حرص أبي نواس على إظهار نفسه بأنه حضاري فارسي، إلا أننا نجده في ديوانه يستخدم ألفاظ البداوة كثيرًا.
- مع محاولة أبي نواس إظهار نفسه بأنه يهاجم الأطلال ويفضل عليها الخمرة وحوانيتها، إلا أننا نجد أبا نواس يذكر الأطلال والألفاظ الدالة عليها، كذكر الأماكن وتغير أحوالها كما كان يفعل الشعراء غيره، وإن كان هذا الشعر يتركز عندما يكون في حضرة الخلفاء والأمراء والمسؤولين.

التوصيات

خلصت الأطروحة الموسومة بـ "**أَثَرُ الخَمْرَةِ فِي الاتِّجاهَاتِ الشِّعْرِيَّةِ عِنْدَ أَبِي نُواس: تَقْلِيدًا وَتَجْدِيدًا وَاسْتِحْدَاثًا**" إلى التوصيات الآتية:

- رغم كثرة الأبحاث والدراسات التي تتحدث عن خمريات أبي نواس، إلا أننا ما زلنا نجد بعض المداخل لهذا الشعر تحتاج إلى مزيد من الدراسة والوقوف عليها، وهذا ما أوصي به.
- ربما يضع الكثير من الباحثين والدارسين أبا نواس في مصاف الشعراء الذين لا همّ لهم إلا الخمرة والجنس وكل حرام، والبعض الآخر يحاول أن يجد له بعض الثغرات في تصرفات إيجابية تنحو به نحو التدين والزهد وطلب العفو والمغفرة ..، وأنا أقول: إن الحكم على الإنسان في مثل هذه الأحوال حكم صعب، فلا يعلم بالنتائج ومصائر الناس: إلى الجنة أو النار، إلا الله عز وجل، فلذلك أقول: أترك أمره إلى الله، وهو أعلم بمصيره وأين يضعه؛ فيجب على الإنسان ألا يتعجل بإصدار الأحكام، وليترك الأمور إلى خالقه جل وعلا. ولذلك يلزمنا أن ندرس شعر أبي نواس بموضوعية كاملة.
- إن كثيرًا ممن يوجه طلبة الماجستير أو الدكتوراه الوجهة التي يريدونها، مما ينتج عن ذلك أن يُهْمَلَ جانب مهم من تاريخنا الأدبي الطويل والضخم، على حساب بعض الأفكار التي يروج لها

البعض، فلذلك أوصي بأن يترك للطالب حريته في الاختيار، مع شيء من التوجيه والإرشاد من قبل مسؤوليهم، وذلك لأنني –وبتواضع– أجد التاريخ الأدبي وتراثه ونقده الذي استمر إلى قرون عديدة يحتاج من طلبة الدراسات العليا المزيد من الإقبال على دراسة هذه الفترة والمحصورة بين (300 سنة ق.هـ_500 سنة ب.هـ) أو يزيد، لعلهم يظهرون لآلئ هذه القرون إلى العلن، وعندها تعم الفائدة المرجوة.

قائمة المصادر والمراجع

1) المصادر.

القرآن الكريم.

1- الأصفهاني، علي بن الحسين. **كتاب الأغاني.** ط:2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج:19، 1997م.

2- الأعشى، ميمون بن قيس: **شرح ديوانه.** تح: حنا نصر الحقّي. (د.ط)، دار الكتاب العربي، بيروت، 2010م.

3- الباقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب: **إعجاز القرآن.** تح: أحمد صقر. ط:5، دار المعارف، القاهرة، 1973م.

4- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي: **الجامع المسند الصحيح (صحيح البخاري).** تح: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط:1، دار طوق النجاة، 01422.

5- التبريزي، يحيى بن علي بن محمد الشيباني: **شرح المعلقات العشر المذهبات.** (د.ط)، دار الأرقم، بيروت، لبنان، (د.ت).

6- الجرجاني، عبد القاهر: **أسرار البلاغة في علم البيان.** تصحيح: محمد عبده. تعليق: محمد رشيد رضا. ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).

7- الجرجاني: **دلائل الإعجاز في علم المعاني.** تصحيح: محمد عبده. تعليق: محمد رشيد رضا. (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).

8- ابن خلكان، القاضي أحمد: **وفيات الأعيان.** (د.ط)، مطبوعات دار المأمون، مصر، (د.ت).

9- ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم: **الشعر والشعراء.** ط:3، عالم الكتب، بيروت، 1984م.

10- المرزباني، محمد بن عمران بن موسى: **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء**. تح: محمد حسين شمس الدين. ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1995م.

11- مسلم، إبن الحجاج أبو الحسن: **المسند الصحيح المختصر (صحيح مسلم)**. تح: محمد فؤاد وعبد الباقي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

12- المقري، عمر: **الخمر والنبيذ في الإسلام**. (د.ط)، رياض الريّس للكتب والنشر، بيروت، 2007م.

13- أبو نواس، الحسن بن هاني: **ديوانه؛ الخمريات**. (د.ط)، مكتبة الهلال، 2008م.

14- أبو نواس: **ديوانه**. ط:1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1997م.

2) 1. المراجع.

1- إسماعيل، عز الدين: **الشعر العربي المعاصر؛ قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية**. ط:3، دار العودة، ودار الثقافة، بيروت، لبنان، (د.ت).

2- إسماعيل: **في الأدب العباسي؛ الرؤية والفن**. (د.ط)، دار النهضة العربية، بيروت، 1975م.

3- بروكلمان، كارل: **تاريخ الأدب العربي**. ق:1، أشرف على الترجمة: محمود حجازي. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993م.

4- البستاني، بطرس: **أدباء العرب في الأعصر العباسية**. (د.ط)، دار مارون عبود، (د.م)، 1988م.

5- البطل، علي: **الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري؛ دراسة في أصولها وتطورها**. ط:3، دار الأندلس، بيروت، 1983م.

6- البهبيتي، نجيب محمد: **تاريخ الشعر العربي حتّى آخر القرن الثالث الهجري**. (د.ط)، دار الثقافة والدار البيضاء، 1982م.

7- التطاوي، عبد الله: **القصيدة العباسية؛ قضايا واتجاهات.** ط:1، مكتبة غريب، القاهرة، (د.ت).

8- التطاوي، عبدالله: **مرجعية الشعر العباسي بين الخبر والنص.** ط:1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2006م.

9- التونجي، محمد: **المعجم المفصل في الأدب.** (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.

10- الجفال، خليل إبراهيم: **الشعوبية والأدب؛ أبعاد ومضمونات.** ط:1، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1986م.

11- الحاوي، إيليا: **فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب.** (د.ط)، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (د.ت).

12- حرياتي، سليمان: **الخمرة في المجتمع العربي الإسلامي.** ط:1، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1996م.

13- خريس، حسيني: **حركة الشعر العباسي في مجال التجديد بين أبي نواس ومعاصريه.** ط:1، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1994م.

14- الخواجة، إبراهيم: **شعر الصراع السياسي في القرن الثاني الهجري.** ط:1، الكويت، 1984م.

15- أبو ديب، كمال: **جدلية الخفاء والتجلي.** ط:2، دار العلم للملايين، بيروت، 1981م.

16- الرواشدة، سامح: **إشكالية التلقي والتأويل.** ط:1، منشورات أمانة عمان الكبرى، 2001م.

2) 2. المراجع.

1- الروضان، عبد عون: **موسوعة شعراء العصر العباسي.** ط:1، دار أسامة، الأردن، 2001م.

2- ريتشاردز، أ، أ: **مبادئ النقد الأدبي.** تر: مصطفى بدوي. (د.ط)، المؤسسة العربية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1963م.

3- الزعبي، أحمد: **التناص نظريًّا وتطبيقيًّا**. ط:2، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2000م.

4- الزعيم، أحلام: **أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد**. ط:2، دار الحقائق للطباعة والنشر، بيروت، 1986م.

5- السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور: **الأنساب**. تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي. ط:1، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1962م.

6- الشايب، أحمد: **أصول النقد الأدبي**. ط:2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1973م.

7- الشكعة، مصطفى: **الشعر والشعراء في العصر العباسي**. ط:6، دار العلم للملايين، بيروت، 1986م.

8- شمس الدين، سالم: **أبو نواس في نوادره وبعض قصائده**. ط:1، المكتبة العصرية، بيروت، 2010م.

9- الشيباني، أبو المجد أسعد بن إبراهيم: **المذاكرة في ألقاب الشعراء**. ط:1، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1988م.

10- ابن صالح، هند الشويخ: **التجديد في الشعر العربي**. ط:1، دار محمد علي، تونس، 2008م.

11- الصائغ، عبد الإله: **الصورة الفنية معيارًا نقديًّا**. (د.ط)، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 2007م.

12- الصغير، محمد حسين: **أصول البيان العربي**. (د.ط)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د.ت).

13- ضيف، شوقي: **العصر الإسلامي**. ط:4، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

14- ضيف: **التطور والتجديد في الشعر الأموي**. ط:6، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

15- ضيف: **العصر العباسي الأول**. ط:8، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

16- ضيف: **في النقد الأدبي**. ط:2، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

17- العبادي، عبد الحميد: **صور وبحوث من التاريخ الإسلامي**. ط:1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1953م.

18- عبد المطلب، محمد: **البلاغة والأسلوبية**. (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م.

19- عبد المطلب: **بناء الأسلوب في شعر الحداثة؛ التكوين البديعي**. (د.ط)، (د.ن)، 1988م.

2) 3. المراجع.

1- عتيق، عبد العزيز: **علم البديع**. (د.ط)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 2004م.

2- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين: **تاريخ مدينة دمشق**. (د.ط)، دار الفكر، بيروت، 1995م.

3- العيسوي، عبد الحميد: **بيان التشبيه**. ط:1، مطبعة القاهرة الجديدة، 1988م.

4- غوادرة، فيصل حسين: **أشعار عباسية وتلقيات نقدية**. ط:1، دار السواقي العلمية، عمّان، الأردن، 2018م.

5- غوادرة: **الوافي في علم البلاغة**. ط:1، دار السواقي العلمية للنشر، عمّان، الأردن، 2015م.

6- غوادرة: **التمرد في شعر العصر العباسي الأول**. ط:1، دار جهينة للتوزيع والنشر، عمّان، الأردن، 2005م.

7- الفاخوري، حنّا: **الجامع في تاريخ الأدب العربي؛ الأدب القديم**. ط:2، دار الجيل، بيروت، 1995م.

8- الفاخوري: **الموجز في الأدب العربي وتاريخه**. ط:1، دار الجيل، بيروت، 1985م.

9- الفاضل، أحمد: **تاريخ وعصور الأدب العربي**. ط:1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 2003م.

10- قدور، سكينة: **محاضرات في أدب العصر العباسي**. (د.ط)، المطبوعات البيداغوجية لكلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2013م.

11- لاشين، عبد الفتاح: **البديع في ضوء أساليب القرآن**. ط:3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1986م.

12- معلوف، فادي: **إضاءة على تجليات الحداثة في الأدب العباسي، أبو نواس وأبو تمام نموذجًا**. (Doc) AdiMalouf-Academia.edu...

13- الساديسي، عمر عبد الرحمن (وزملاؤه): **نصوص شعرية(2)**. (د.ط)، جامعة القدس المفتوحة، المكتبة الوطنية، عمّان، الأردن، 2008م.

14- المودودي، أبو الأعلى: **الخلافة والملك**. تعريب: أحمد إدريس. ط:1، دار القلم، 1978م.

15- موسى، إبراهيم نصر: **آفاق الرؤية الشعرية؛ دراسات في أنواع التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر**. ط:1، وزارة الثقافة الفلسطينية، الهيئة العامة للكتاب، 2005م.

16- نصرت، عبد الرحمن: **في النقد الحديث؛ دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية**. ط:1، دار جهينة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، 2007م.

17- النويهي، محمد: **نفسية أبي نواس**. (د.ط)، مكتبة الخانجي، مصر، 1970م.

18- الهاشمي، أحمد: **جواهر الأدب، في أدبيات وإنشاء لغة العرب**. (د.ط)، مؤسسة المعارف، بيروت، (د.ت).

2) 4. المراجع.

1- هدارة، محمد مصطفى: **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري**. ط:2، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ت).

2- هلال، محمد غنيمي: **النقد الأدبي الحديث**. (د.ط)، دار العودة، بيروت، 1982م.

3- ويليك، رينيه، (وزميله): **نظرية الأدب**. تر: محيي الدين صبحي. مراجعة: حسام الخطيب. ط:3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1987م.

3) الأبحاث المنشورة في المجلات المحكمة.

1- أبو حمادة، عاطف: **البنية الإيقاعية في جدارية محمود درويش**. مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع:25، م:2، 2011م.

2- الخلايلة، محمد خليل: **قراءة في قصيدة أبي نواس التي مطلعها: "وفتية كمصابيح الدجى غرر"**. مجلة دراسات، مج:34، ع:3، 2007م.

3- داغل، شربل: **التناص سبيلًا إلى دراسة النص الشعري وغيره**. فصول، مجلة النقد الأدبي، القاهرة، م:16، ع:1، 1997م.

4- الغندور، عبد الصبور السيد: **النزعة الشعوبية في الشعر العباسي**. جامعة الأزهر بالزقازبق، مجلة كلية اللغة العربية، 1985م.

5- كرزازي، علي: **استراتيجية الموقف السخري عند أبي نواس**. مجلة فكر ونقد، الرباط، المغرب، السنة الثانية، ع:14، 1998م.

6- موافي، عبد العزيز: **نحو نظرية إيقاعية في موسيقا الشعر**. مجلة جذور، ج:10، م:6، السنة الخامسة، 2002م.

7- نهزمي، يوسف هادي بور: **دراسة نقدية في مبنى خمريات أبي نواس**. مجلة إضاءات نقدية، السنة الأولى، ع:2، 2011م.

4) 1. الرسائل والأطاريح الجامعية.

1- آدم، عمر بن الخطاب: **صورة المجتمع في العصر العباسي الأول من خلال شعر أبي نواس.** أطروحة دكتوراه، إشراف: بابكر البدوي دشين. جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2006م.

2- الإبراهيمي، كرار عبد الإله عبد الكاظم: **المفارقة في شعر أبي نواس.** أطروحة ماجستير، إشراف: عامر صلال راهي الحسناوي. جامعة المثنى، العراق، 2017م.

3- الحجاجرة، سعاد يوسف محمد: **خمريات أبي نواس ومسلم بن الوليد؛ دراسة أسلوبية.** أطروحة ماجستير، إشراف: حسام الدين التميمي. جامعة الخليل، 2012م.

4- الخلايلة، محمد خليل: **جدلية أبي نواس وعلماء القرن الخامس والسادس والسابع الهجري.** أطروحة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، 2005م.

5- رواق، نور الهدى: **الأنا والآخر في ديوان أبي نواس.** أطروحة ماجستير، إشراف: سامية بوعجاجة. جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2016م.

6- الشمري، حنان بنت سعود: **القيم الإسلامية في شعر أبي نواس.** أطروحة ماجستير، إشراف: محمد بن عبد السلام القاسمي. جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2013م.

7- صالح، صالح محمود سليمان: **الشعوبية وأثرها في الشعر العربي.** أطروحة دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، غزة، 1978م.

8- المحجري: انظر رقم (3) في المواقع الإلكترونية.

4) 2. الرسائل والأطاريح الجامعية.

1- عودة، آلاء عزام عبد الوهاب: **الانقلاب المعرفي والمواجهة الثقافية في شعر أبي نواس.** أطروحة ماجستير، إشراف: عبد الخالق عيسى. جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2014م.

2- المنصوري، حافظ كوزي عبد العالي: **البداوة في شعر العصر العباسي الأول**. أطروحة ماجستير، إشراف: مزهر السوداني. جامعة البصرة، 1989م.

5) المعاجم اللغوية.

1- الفيروزأبادي، محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط**. ط:1، مكتب التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1995م.

2- مصطفى، إبراهيم، (وزملاؤه): **المعجم الوسيط**. ط:2، المكتبة الإسلامية، تركيا، (د.ت).

3- ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**. ط:5، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1998م.

6) المواقع الإلكترونية.

1- جمعة، حسين: **جمالية الخبر والإنشاء؛ دراسة بلاغية جمالية نقدية**. (د.ط)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005م. www.awa-dam:ors

2- عزام، محمد: **النص الغائب وتجلياته في الشعر العربي**. (د.ط)، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2001م. www.awa-dem:org

3- المحجري، محمد عبد الله محمد: **الخصائص الأسلوبية في شعر أبي نواس**. أطروحة دكتوراه، جامعة أم درمان، السودان، 2000م، http://www.iwan7.com/forum

7) المؤتمرات العلمية.

1- ربابعة، موسى: **الأسلوبية: والاتصال والتأثير**. من كتاب: جماليات التلقي والتأويل، إشراف: عز الدين إسماعيل. ط:1، المؤتمر الدولي الأول للنقد الأدبي، القاهرة، 1999م.

8) الأبحاث (غير المحكمة) في مجلات.

1- الخشمان، محمد: **شعوبية أبي نواس**. ع:35، الهامش:2، ص:66، مجلة أفكار، الأردن، 1977م.

9) المنتديات الثقافية.

1- **تراسل الحواس**، درر العراق، المنتدى الثقافي العام، 3. 2. 2015م، ت:2. 3. 2020م، ص:1.

10) الصحف.

1- **أبو نواس... قصيدة العراق إلى العالم**. جريدة البينة الجديدة، ع:1588، 2012م.

فهرس المحتويات

إِهْدَاء ..... ث

شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ..... ج

مُلَخَّص ..... ح

Abstract..... د

مُقَدِّمَةٌ 1

تمهيد..... 4

أولًا: الخمرة في أشعار الجاهليين. 4

ثانيًا: الخمرة في شعر صدر الإسلام..... 6

ثالثًا: الخمرة في الشعر الأموي..... 7

رابعًا: الخمرة في الشعر العباسي..... 8

الفَصْلُ الأَوَّل: حياة الشاعر أبي نواس..... 10

المَبْحَثُ الأَوَّل: تَعْرِيفُ الخَمْرَةِ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا..... 11

المبحث الثاني: حياة الشاعر أبي نواس الشخصية..... 12

المطلب الأول: اسمه ومولده..... 12

المطلب الثاني: كنيته ولقبه..... 14

المطلب الثالث: وفاته..... 14

المبحث الثالث: حياة الشاعر أبي نواس الشعرية. 15

المطلب الأول: ثقافته الشعرية..... 15

المطلب الثاني: ديوانه..... 18

المطلب الثالث: ملامح من حياة أبي نواس الشعرية..... 19

الفصل الثاني: الاتجاهات الشعرية التقليدية عند أبي نواس والتجديد فيها، مع بيان أثر الخمرة فيها.

..... 26

المبحث الأول: من مظاهر التقليد ومسبباته عند أبي نواس..... 26

المبحث الثاني: التجديد في شعر أبي نواس..... 30

المبحث الثالث: فنون أبي نواس الشعرية بين التقليد والتجديد..... 32

المطلب الأول: الغزل في شعر أبي نواس..... 32

الفرع الأول: الغزل العذري العفّ..... 33

الفرع الثاني: الغزل الفاضح الصريح (الغزل بالنساء)..... 37

الفرع الثالث: الغزل الشاذ عند أبي نواس. 44

المطلب الثاني: المدح..... 68

المطلب الثالث: الهجاء..... 76

المطلب الرابع: الرثاء..... 82

المطلب الخامس: الوصف..... 85

المطلب السادس: الفخر..... 90

الفصل الثالث: الاتجاهات الشعرية الجديدة (المستحدثة) عند أبي نواس وأثر الخمرة فيها..... 95

المبحث الأول: الخمريات..... 95

المطلب الأول: الخمريات والمقدمة الخمرية. 97

المطلب الثاني: يصف الخمرة في يد الساقي أو الساقية..... 99

المطلب الثالث: الخمرة عند صانعها وتاجرها (الخمار)..... 102
المطلب الرابع: الخمرة في الدنِّ والزِّقِّ وآنيتها..... 103
المطلب الخامس: الخمرة في الإبريق..... 105
المطلب السادس: الخمرة وتأثيرها على شاربها..... 106
المطلب السابع: الخمرة في الكأس لشاربها..... 108
المطلب الثامن: وصف عام للخمرة..... 110
المطلب التاسع: أهم مناطق صنع الخمرة وأنواعها..... 113
المطلب العاشر: الخمرة ومجالس الشرب واللهو..... 116
المطلب الحادي عشر: الخمرة والالتزام الديني والأخلاقي..... 117
المطلب الثاني عشر: تصوير الخمرة بالقهوة..... 119
المطلب الثالث عشر: الخمرة كالفتاة التي يخطبها..... 121
المطلب الرابع عشر: العمر الزمني للخمرة..... 123
المطلب الخامس عشر: تشبيه الخمرة بالعجوز الشمطاء..... 124
المطلب السادس عشر: مشاعر الخمرة وإحساسها..... 124
المطلب السابع عشر: بين الأطلال والخمرة..... 125
المبحث الثاني: الزندقة..... 130
المبحث الثالث: الطرديات..... 136
المبحث الرابع: المجون..... 143
المبحث الخامس: الشعوبية..... 149
المبحث السادس: الزهد..... 152

المبحث السابع: السخرية والفكاهة. 162

المبحث الثامن: العتاب والاعتذار..... 166

الفصل الرابع: الخصائص الفنية في شعر أبي نواس عامة، والخمري خاصة...... 177

المبحث الأول: الخصائص الفنية لشعر أبي نواس (شعر الخمرة خاصة)..... 177

المبحث الثاني: اللغة في شعر أبي نواس..... 180

المبحث الثالث: الصورة الفنية..... 181

المبحث الرابع: تبادل الحواس (تراسل الحواس). 190

المبحث الخامس: التناص..... 196

المبحث السادس: الطباق..... 204

المبحث السابع: الجناس...... 207

الخاتمة..... 212

التوصيات..... 214

قائمة المصادر والمراجع..... 216

فهرس المحتويات 226